الأمانة العامّة
للعتبة الحسينيّة المقدسّة

مهرجان تراتيل سجادية التاسع

القوة الناعمة

في صناعة التغيير الشخصي

من

منظور الإمام السجاد عليه السلام

تأليف
أ.م.د محسن كاظم مشالي

دار الوارث للطباعة والنشر

الفهرس

الفهرس ١
الإهداء ٥
المقدمة ٨
الفصل الأول تحديد مصطلحات البحث وحصر المفاهيم ١٢
المبحث الأول مدخل مفاهيمي ١٣
المطلب الأول: معنى التغيير في اللغة والاصطلاح. ١٣
المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام السجاد "عليه السلام". ١٦
المبحث الثاني حقيقة النفس الإنسانية وكيفية التعامل معها ٢٠
المطلب الأول: حقيقة النفس لغة واصطلاحا. ٢١
المطلب الثاني: النفس عند المفسرين. ٢٥
المطلب الثالث: النفس في نهج البلاغة. ٢٨
المطلب الرابع: النفس في علم النفس. ٣٥
المبحث الثالث النفس عند الإمام السجاد ع ٤٨
المطلب الأول: منهج التغيير عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. ٤٨
المطلب الثاني: منهج التغيير عند الإمام السجاد (عليه السلام) ٦٣
الفصل الثاني تزكية النفس الإنسانية من منظور الإمام السجاد (عليه السلام) ٦٥
المبحث الاول الاطار النظري لمفاهيم البحث واهمية تزكية ٦٦
المطلب الاول: معنى مفردات العنوان. ٦٦
أولا: الاسس لغة واصطلاحا. ٦٦
ثانيا: معنى المنهج لغة واصطلاحا. ٦٦
ثالثا: معنى التزكية لغة واصطلاحا. ٦٧
رابعا: معنى النفس لغة واصطلاحا. ٦٧
خامسا: معنى تزكية النفس كمصطلح. ٦٨
المطلب الثاني: فائدة معرفة النفس. ٦٩
المطلب الثالث: مقومات تزكية النفس. ٧٢
المبحث الثاني تزكية النفس الإنسانية ٧٧

المطلب الأول: معرفة النفس. ٧٧
اولا: مِمَّ تتكون النفس الانسانية. ٧٩
ثانيا: كيف تتحرك النفس. ٧٩
ثالثا: خصائص النفس. ٨٠
المطلب الثاني: الاصل الثاني في تزكية النفس معرفة الله تعالى. ٨٢
المطلب الثالث: معرفة العدو وهو الشيطان. ٨٧
اولا: في تعريف الشيطان ودوره. ٨٨
ثانيا: خصائص الشيطان التي يجب على الانسان معرفتها. ٨٩
ثالثا: منهج الامام السجاد عليه السلام في التحذير من الشيطان. ٩١
المبحث الثالث اسس تزكية النفس اجرائيا ٩٤
المطلب الأول: الاسس الاجرائية لمعرفة النفس. ٩٤
المطلب الثاني: اسس معرفة الله عز وجل اجرائيا. ٩٧
المطلب الثالث: الاسس الاجرائية في تزكية النفس ضد الشيطان. ٩٩
المطلب الرابع: كيفية علاج النفس الأمارة بالسوء وأنواع محاسبتها وثمرة هذه المحاسبة.
..... ١٠١
أولا: علاج النفس الأمارة بالسوء. ١٠١
ثانيا: أنواع محاسبة النفس. ١٠٦
المبحث الرابع مضامين الأدعية السجادية في تعزيز القوة الناعمة ١٠٩
المطلب الأول: مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها، والتي تتمحور في: ١٠٩
المطلب الثاني: المضامين الاقتصادية. ١١٧
المطلب الثالث: المضامين الاجتماعية. ١٢٢
المطلب الرابع: الاحداث ما بعد واقعة الطف. ١٣٤
المطلب الخامس: في مجال مقاومة الفساد. ١٥٧
الفصل الثالث صناعة التغيير من منظور الإمام السجاد "عليه السلام" ١٧٥
المبحث الأول التغيير الشخصي من منظور الإمام السجاد (عليه السلام) ١٧٦
المطلب الأول: وظيفة الانسان في صناعة التغيير. ١٧٦
المطلب الثاني: منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في صناعة التغيير. ١٨٠
الخاتمة ١٩٤

المصادر والمراجع ١٩٦

الإهداء

إلى سيدي ومولاي.

الإمام الحجّة بن الحسن عجل الله فرجك الشريف .

هذا جهدٌ فقير،

من عبدٍ فقير،

عن جدِّك الذي صنع من دمعته،

وطناً للساجدين

عسى أن يستحسنَ بصرُك الشريف،

ما رأت بصيرتي من نوركم.

فداءٌ لِمَقْدِمِكَ مولاي.

الكاتب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكرِه، وفتح لنا أبوابَ العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيدِه.

وصلِّ اللهمّ عليه خير بريّته، وسيّد رسلِه محمّد، وعلى آلِهِ خزائن علمه، وحفَظَةِ سرّه.

وبعدُ...

فإنّ من السُّنن الاجتماعيّة، والخواصّ الإنسانيّة التي تلازم البشريّة هي الاختلاف في العقائد والأفكار، والتصرّفات، والاختلاف في وجهات النّظَر، والتعارُض في المصالح بين بني البشر، وهذا أمرٌ طبيعيّ كاختلافِهم في الجِنس، واللون، واللُّغة.

وهذا الاختلاف بيّنهُ الخالق جلّ وعلا في سورة هود الآية (١١٨-١١٩)؛ إذ قال سبحانه وتعالى: **﴿وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ....﴾**

وهذا الاختلافُ مدعاةٌ للتّعارُف، والتّعاون، والتبادل المعرفيّ، والفكريّ بين أبناء البشر؛ إذ جاء في قولِه تعالى سورة الحُجرات آية (١٣): **﴿...وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾...**

لذا فجميع الأنبياء، والرسُل، والأوصياء ومن تبِعَهم بإحسانٍ كانوا يضعون القوانين، والضّوابط، والتّكامل في منظومةِ الحياة بين بني البَشر، وردم الفَجوات، وحلّ النِّزاعات، وتأسيس قاعدة شرعيّة، وعُرفيّة لضبط الإيقاع في مختلف أمور الحياة.

فكانتْ (رسالةُ الحقوق) للإمام السجّاد (عليه السلام)، و(الصحيفة السجّاديّة)، و(المناجاة الخمسة عشر)، وهذا النِّتاج الكبيرُ، والواسعُ، والشّاملُ للإمام زين العابدين عليّ بن الحُسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عليهم السّلام).

وكان من الواجب أن تتكفّل بهذا النّتاج جهةٌ رصينةٌ ذاتُ سُمعةٍ علميّة معتدّ بها لتسليط الضّوءَ على هذه الأعمال، وترجمتها إلى اللُّغات المختلفة، ونشرها لتعمّ الفائدة على أبناء الإنسانيّة.

فتصدّتِ الأمانةُ العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة لهذا المشروع المترامي الأطراف في العلم والمعرفة؛ ولتُعلنَ عن إقامة مهرجان تراتيل سجّاديّة منذ عام (٢٠١٤م) إلى يومنا هذا، وقد تكفّلنا بهِ سُعداءَ فرحينَ طلبًا للشّفاعة، وقبول الأعمال، وكانت من ضمن فقرات هذا المهرجان هو التّشجيع على الكتابة عن الإمام السجّاد(عليه السّلام)، وإرثه العلميّ، والعقائديّ، والإنسانيّ.

الحمد لله ربّ العالمين من خلال هذا التوجّه، وبعد هذه السّنوات تمكّنَّا من طباعة أكثر من(٧٠ مؤلّفًا).

وهذا العام تراتيل سجادية بنُسخته التّاسعة، الذي سيُقام في العتبة الحسينيّة المقدّسة في ذكرى استشهاد الإمام زين العابدين عليه السلام في شهر آب ٢٠٢٣م الموافق ٢٥ محرّم الحرام ١٤٤٥هـ نضعُ بين أيديكم هذا المؤلّفَ الجديدَ بنُسختِه ليضافَ إلى مكتبة الإمام السجّاد (عليه السلام).

ومن الله التوفيق...

السيد

جمال الدين الشهرستاني

رئيس اللجنة التحضيرية لمهرجان تراتيل سجادية

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبعد:

يعد الإنسان المسلم منطلق النهضة والتغيير في الأمة من منظور الإسلام؛ لأنه يتحسس محنة التخلف والانحطاط الذي تعيشه أمته، ويشعر بآلامها وأحزانها؛ فيكرس كل همه وجهده لإصلاحها وانتشالها من واقعها المتردي.. ولقد كان الآئمة المعصومون **(عليهم الصلاة والسلام)** الطليعة والرواد والقادة في هذا الميدان، فكانوا هم نقطة البداية، ومنطلق التغيير بما يحملونه من خلق وصفات حسنة.

ويبدأ المسلم الفرد؛ فيقوم بدوره بالإصلاح والتغيير، ثم ينطلق نحو الآخرين فيختار وينتقي من يراه مؤهلا للمشاركة في عملية البناء والتغيير، وتحدي الواقع المختلف عما أنزله الله سبحانه وتعالى من الحق والهدى؛ ليكون بذلك النواة الأولى التي تواجه الباطل والفساد في الأرض.

وهكذا بدأ الأئمة وقبلهم رسل الله تعالى: وأنبياؤه **(عليهم الصلاة والسلام)**؛ فكان مع كل نبي حواريون يمثلون اللبنة الأولى للتغيير؛ ثم تبدأ عملية التعميم والانتشار، حتى تصبح الدعوة إلى النهوض والتغيير والإصلاح تيارا اجتماعيا عارما، لا يستطيع أهل الباطل الوقوف أمامه، ولا التصدي له، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾** [1].

---

[1] سورة الصف، الآية: ١٤.

والمعنى: انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله، فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ـ **(صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وآله)**ـ أن عيسى روح الله وكلمته[1].

من هنا أحببت اختيار موضوع بحثي الموسوم (القوة الناعمة في صناعة التغيير الشخصي من منظور الإمام السجاد(عليه السلام) بما يمتلكه الإمام السجاد(عليه السلام)من رؤية شمولية معصومية لكافة مناحي الحياة وبخاصة في صناعة التغيير.

حيث مثلت الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق كنزا معرفيا وخزينا غنيا بالطرق والمسالك التي من شانها تحقيق عملية التغيير بأقل الخسائر الممكنة.

ومن هنا جاء هذا البحث في مقدمة ومبحثين وخاتمة وعلى النحو الآتي:

الفصل الأول تحديد مصطلحات البحث وحصر المفاهيم

المبحث الأول

مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: معنى التغيير في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام السجاد (عليه السلام).

---

(١) لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف ب تَفْسِيْر الخازن، لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إِبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م: ٦/ ٩٣.

المبحث الثاني

حقيقة النفس الإنسانية وكيفية التعامل معها

المطلب الأول: حقيقة النفس لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: النفس عند المفسرين.

المطلب الثالث: النفس في نهج البلاغة.

المطلب الرابع: النفس في علم النفس.

المبحث الثالث

النفس عند الإمام السجاد (عليه السلام)

المطلب الأول: منهج التغيير عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

المطلب الثاني: منهج التغيير عند الإمام السجاد (عليه السلام) .

الفصل الثاني تزكية النفس الإنسانية من منظور الإمام السجاد (عليه السلام)

المبحث الأول

الاطار النظري لمفاهيم البحث واهمية تزكية

المطلب الاول: معنى مفردات العنوان.

المطلب الثاني: فائدة معرفة النفس.

المطلب الثالث: مقومات تزكية النفس.

المبحث الثاني

تزكية النفس الإنسانية

المطلب الأول: معرفة النفس.

المطلب الثاني: الاصل الثاني في تزكية النفس معرفة الله تعالى.

المطلب الثالث: معرفة العدو وهو الشيطان.

المبحث الثالث

اسس تزكية النفس اجرائيا

المطلب الأول: الاسس الاجرائية لمعرفة النفس.

المطلب الثاني: اسس معرفة الله عز وجل اجرائيا.

المطلب الثالث: الاسس الاجرائية في تزكية النفس ضد الشيطان.

المطلب الرابع: كيفية علاج النفس الأمارة بالسوء وأنواع محاسبتها وثمرة هذه المحاسبة.

المبحث الرابع

مضامين الأدعية السجادية في تعزيز القوة الناعمة

المطلب الأول: مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها.

المطلب الثاني: المضامين الاقتصادية.

المطلب الثالث: المضامين الاجتماعية.

المطلب الرابع: الاحداث ما بعد واقعة الطف.

المطلب الخامس: في مجال مقاومة الفساد.

الفصل الثالث صناعة التغيير من منظور الإمام السجاد "عليه السلام"

المبحث الأول

التغيير الشخصي من منظور الإمام السجاد (عليه السلام)

المطلب الأول: وظيفة الانسان في صناعة التغيير.

المطلب الثاني: منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في صناعة التغيير.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

الفصل الأول

تحديد مصطلحات البحث وحصر المفاهيم

المبحث الأول

مدخل مفاهيمي

المطلب الأول: معنى التغيير في اللغة والاصطلاح.

- **معنى التغيير في اللغة.**

جاء في لسان العرب: تغيّر عن حاله: تحوّل، وغيّره جعله غير ما كان عليه، وحوّله: بدّله[١].

وتقول: غيرّت الشيء فتغيّر، أي بدلتّه فتبدل[٢]. فالتغيير انتقال الشيء من حالة لأخرى، وهو إحداث شيء لم يكن موجودا قبله[٣].

وقال الراغب في المفردات: "التغيير يقال على وجهين: أحدهما لتغيير صورة الشيء دون ذاته يقال غير داره إذا بناها غير الذي كان الثاني لتبديله بغيره نحو غيرت غلامي ودابتي أبدلتهما بغيرهما"[٤].

وعلى هذا فان التغيير هو التبديل، فإذن هو أخص من مجرد الإزالة: أي انه يأتي بشيء محبوب ومندوب، مكان شيء مكروه ومستقبح فيكون عوض عنه[١].

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ: ٥/ ٤٠، مادة (غير)،

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م: ص٧٧٦، مادة (غير).

(٣) التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥: ص٨٧، مادة (غير).

(٤) مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ط١، ١٤٠٤هـ: ص٣٦٨، مادة (غير).

- **معنى التغيير في الاصطلاح.**

والتغيير في الاصطلاح: هو بذل الجهد البشري عبر عملية طويلة ومتدرجة يتم من خلالها صياغة مجتمع متكامل – كيان أمة – يبدأ بالفرد ثم الأسرة ثم المجتمع...والتغيير ضرورة اجتماعية والفريضة شريعة؛ لان معناه تغيير الإنسان من حال إلى حال.. وتغيير وجهته وأفكاره ومشاعره وأهدافه وطرائقه، تغييرا ينفذ إلي روحه ولا يقف عند مظهره فحسب[٢]. وبه يحاول أن يسد نقصه بتحقق الوصول إلى الكمال[٣].

فالتغيير أمر واجب وحتمي وضروري من حيث انه سنة كونية و"قانون اجتماعي مبني على الصراع... ويكون البقاء ووراثة الأرض للأصلح"[٤]. وقد عبر عنه علماء الاجتماع بالظاهرة فقالوا: إنها "أمر واقع... يشاهدها الإنسان المتأمل منذ نعومة أظفاره فيما يجري حوله من الأحداث. وهو من المسلمات التي لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليها"[٥].

ومن جهة أخرى فان التغيير أمر واجب وحتمي من الناحية الشرعية الدينية حيث إن الإنسان مأمور بأن يغير حاله من حالة الضلال إلى الحالة الهدى ومن الفساد إلى الصلاح - ولا سيما الإنسان المسلم- ومنهي عن عكسه، وهذا ما يسميه علماء التنمية البشرية بـ(التغيير السلبي والتغيير الإيجابي).

---

(١) ينظر: فقه تغيير المنكر، محمود توفيق محمد سعد: ص٦٢. موقع الإسلام. http://www.al-islam.com.

(٢) قراءة في ركائز المشروع الحضاري الاسلامي، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ص ٦٥.

(٣) التغيير الاجتماعي، احمد الخشاب، القاهرة، ط١، ١٩٧١م: ص٢٦.

(٤) منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، محسن عبد الحميد، بغداد، ط١، ١٩٨٦م: ص١٧.

(٥) المصدر نفسه: ص٧.

قال الله تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**[1]، وهذا التغيير نوعان: أحدهما أن يبدوا ذلك فيبقى قولا و عملا يترتب عليه الذم والعقاب. لا بل انه يضع أمام الإنسان قوانين التغيير الاجتماعي حتى لا يضل، فيتيه في صحراء التجارب المريرة التي تضيع وقته وماله وجهده"[2].

والثاني أن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحظور، وكذلك ما في النفس مما يناقض محبة الله والتوكل عليه والإخلاص له والشكر له يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة فإذا خلي القلب عنها واتصف بأضدادها استحق العذاب على ترك هذه الواجبات.

وإن كان معنى الإزالة وهو الأقرب من معنى التبديل في الظاهر، لكن من المفهوم بداهة، إن غياب الباطل هو محض وجود الحق، وان إزالة المنكر من الوجود هو تمكين للمعروف. فالحديث قد جاء بالأمر بتغيير المنكر(فليغيره)، وهو أقرب إلى معنى الإزالة إن كان موجوداً قائماً، وإلى المنع منه، إن شارف على الوقوع، وليس ظاهر الحديث آمراً بإزالة المنكر، وإقامة معروف مقامه، وإن كان يغلب تعاقب أحدهما الأخر، فحيث غاب المنكر، كان المعروف، وحيث غاب المعروف، كان المنكر، وكأن الرسول (صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) حين قال: (فليغيره)، يهدي إلى أن تمام الفريضة وكمالها بإقامة معروف مقام ما يزال من المنكر، حتى لا ندع للمنكر مجالاً للعود، فهو لم يقل: من رأى منكم منكراً فليزله، أو فليمنعه، وإنما فليغيره. وإن

---

[1] سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

[2] منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، د- محسن عبد الحميد: ص ٥٦.

من الباطل ما يكون تغييره بمنع صاحبه من القيام به قبل وقوعه، بأي الوسائل والسبل المشروعة، وهو في هذا يكون أقرب إلى النهي منه إلى التغيير، والنهي أعم من التغيير. وعلى هذا فمفهوم التغيير يتفق أو يقترب من مفهوم التربية؛ لأن العملية التربوية تستهدف غرس قيم معينة، في مجتمع ما لتكوين المواطن الصالح الذي ينشده، فهو وسيلة لبنائه حسب هذا التصور، فإذا فقد المجتمع تلك الوسيلة فقد مقومات مجتمعه، فلا أهداف تتحقق ولا قيم تغرس، لأن الفرد هو وسيلة التغيير... [١]. وهو إصلاح ما فسد من الحال[٢].

المطلب الثاني: تعريف موجز بالإمام السجاد "عليه السلام".

- **أسمه الشريف ونسبه.**

"اما اسمه الشريف فقد سماه خير خلق الله كلهم جده الرسول محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حيث روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): دخل عليه الحسين، فضمّه إليه وقبّله وأقعده إلى جنبه، ثم قال: يولد لابني هذا ابن يقال له علي بن الحسين إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من بُطنان العرش: ليقم سيّد العابدين فيقوم هو"[٣].

---

[١] ينظر: فقه تغيير المنكر، محمود توفيق محمد سعد: ص٥٨ - ٦٢- ٣٥٩.

[٢] ينظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ: ص٥٨.

[٣] بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣ هـ: ٤٦/ ٧؛ ينظر: تاريخ مدينة دمشق، الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق:علي شيري، دار الفكر دمشق، د . ط، ١٤١٩هـ: ٥٤/ ٢٧٦؛ تذكرة خواص الامة في خصائص الأئمة، أبو المظفر يوسف

الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وبضعته، أبوه الإمام الحسين (عليه السلام) أحد سيدي شباب أهل الجنة، أمه أسمها (شهربانو) أو (شهربانويه)أو (شاه زنان)بنت يزدجر اخر ملوك فارس[1].

"وقد عُرف بين المؤرخين والمحدّثين بابن الخيرتين؛ لأنّ أباه هو الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمّه من بنات ملك الفرس كسرى، أُسرت في إحدى الحروب وعُرض عليها الزواج فاختارت الإمام الحسين (عليه السلام) فتزوجها تكريماً لها، وقد روي عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم): إنّ لله في عباده خيرتين: فخيرته من العرب بنو هاشم، وخيرته من العجم فارس"[2].

- **ولادته.**

"ولد الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبوية الشريفة في شهر شعبان، واختلف المؤرخون

بن قزاوغلي بن عبد الله سبط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، مؤسسة أهل البيت، بيروت، د. ط، د. ت: ص٢٩١.

[1] ينظر: اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)،لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليه السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ: ٦/ ١٩ - ٤٨.

[2] بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٤٦/ ٤؛ ربيع الأبرار في نصوص الاخيار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤١٢هـ: ١/ ٣٣٤، رقم ٧٣.

في يوم ولادته ومكانها، فبعضهم قال: إنّه ولد في الكوفة"[1]،"فيما قال آخرون إن ولادته كانت في يثرب"[2].

"عاش حوالي سبعاً وخمسين عاماً، قضى بضع سنين منها في كنف جدّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) ثم نشأ في مدرسة عمّه الحسن وأبيه الحسين عليهما السلام سبطي رسول (الله صلى الله عليه وآله وسلم)، واستقى علومه من هذه المصادر الطاهرة"[3].

- **"كنيته (عليه السلام).**

للإمام السجاد(عليه السلام) اربع كنى: أبو الحسين، أبو الحسن، أبو محمد، أبو عبد الله

- **ألقابه(عليه السلام).**

أما ألقابه السامية فهي تخاطب توجهاته الخيرة، وما اتسم به من محاسن الصفات ومكارم الاخلاق، وعظيم الامتثال والطاعة والخضوع والعبادة لله، وهذه بعضها:

---

(1) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت: ١/ ١٠٤.

(2) الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)،علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ: ص١٨٧.

(3) الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)،مركز الرسالة، د. ط، د. ت: ١/ ١٢.

زين العابدين، سيد العابدين، ذو الثفنات[١]، السجاد، الزكي، الامين، ابن الخيرتين"[٢].

وما يهمنا في المقام معرفة سبب تسميته بالسجاد، حيث"قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام: إن أبي علي بن الحسين ما ذكر الله عز وجل نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد، ولا دفع الله عز وجل عنه سوءا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد ولا وفق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمي السجاد لذلك"[٣].

---

[١] الثفنة من البعير ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ وغلظ كالركبتين. ولعلّ وجه إطلاق (ذو الثفنات) على السجّاد عليه السلام كثرة سجوده بحيث صار مواضع سجوده ذا ثفنة وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات، فسمي ذا الثفنات لذلك. ينظر: بحار الانوار، العلامة المجلسي: ٣٦/ ٢٦٠.

[٢] ينظر: تذكرة الخواص، سبط بن الجوزي: ص٢٩١. (لمعرفة المزيد من اسباب الكنية والالقاب). ينظر: عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف– مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، ١٤٣٥هـ: ص٢٠- ٢٤.

[٣] بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣هـ: ٨٣/ ٢٠١.

المبحث الثاني

حقيقة النفس الإنسانية وكيفية التعامل معها

ينطلق الإمام السجاد في عملية التغيير الشخصي من فهمه لطبيعة النفس الإنسانية ونوازعها الوجودية، ولهذا نجده يخصص في رسالة الحقوق مواطن كثيرة للحديث عنها، وهذا ليس بالأمر الغريب؛ فالنفس الانسانية كانت وما زالت لغزا محيرا للكثير.

يقول ابن أبي الحديد في هذا المعنى: قد حار في النفس جميع الورى والفكر فيها قد غدا ضائعا وبرهن الكل على ما ادعوا وليس برهانهم قاطعا من جهل الصنعة عجزا فما أجدره أن يجهل الصانعا.

ونحن انسياقا مع الكلاميين والحكماء نضع خطوطا في تعريف هذه الظاهرة الشائكة، وما وقع فيها من تضارب وخلاف، قبل أن ندخل في صميم البحث، كي يتسنى لنا أن نتسلسل في البحث بشكل منهجي، ونضع المباحث التي يهمنا ذكرها في هذا الدرس في مواضعها الطبيعية من غير أن يختل منهج البحث، ومن دون أن يفوتنا جانب من الحديث فيما نتعرض له من جوانب هذه الدراس. مصدر النفس نقصد من هذه الكلمة أن ننظر إلى النفس من حيث مصدرها. أو بالأصح من حيث هي نظرة إجمالية لا تبتني على الأقيسة ومقدماتها، بل على شئ أدل وأقوى منها ومن الحواس والتجربة في أي شئ آخر. وذلك بإلقاء أسئلة تكمن في أعماق النفس، ويتطلب الجواب عنها كل من يملك الاحساس والإدراك، وهذا طرف منها:

أين كانت الروح قبل اتصالها بالبدن؟ وإلى أين تذهب بعد انحلاله؟ ومن الذي أعطاها له، ثم سلبها منه؟ وكيف حوت طاقات جبارة تستوعب إدراك الكون، وترقى بها إلى أقصى الكواكب، وتكتشف المجهول، وتتذكر الماضي،

وتضع تصميم المستقبل؟ وكيف اتصلت بالطبيعة وانفصلت عنها في آن واحد، إلى عشرات الأسئلة التي لا تجد لها.

المطلب الأول: حقيقة النفس لغة واصطلاحا.

أولا: النفس لغة.

ورد في اللغة العربية الكثير من معاني النفس، وسأذكر بعض ما يتعلق بعمل النفس وما فيها من أمور على النحو الآتي:

١. النفس بمعنى الروح: يقال: خرجت نفس فلان، أي: روحه [١]، ومنه قوله تعالى: ﴿**أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ**﴾[٢].

٢. النفس بمعنى العين والحسد، يقال: أصابته نفس، أي: عين [٣].

٣. النفس ما يكون به التمييز، والعرب تجعل النفس التي يكون بها التمييز نفسين، وذلك أن النفس قد تأمر بشيء وتنهى عنه، وهذا يكون عند الإقدام على أمر مكروه، فجعلوا التي تأمره نفسا، والتي تنهاه كأنها نفس أخرى [٤].

---

[١] القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ: ٢٦٤/٢؛ لسان العرب، ابن منظور: ٢٣٣/٦.

[٢] سورة الأنعام، من الآية: ٩٣.

[٣] ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، مطبعة الكتاب الرابع، القاهرة، د. ط، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م: ٩٧/٥.

[٤] ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٢٣٣.

وقد عرفها الإمام الجرجاني بأنها:"النفس هي الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية وسماها الحكيم"[٥].

هذه بعض المعاني اللغوية للنفس ويكون جمعها أنفسا ونفوسا[٦].

ثانيا النفس اصطلاحا.

وردت النفس في القرآن الكريم في مواضع عديدة، وجاءت معانيها بحسب سياق الآيات التي وردت فيها، وهذا يظهر لنا أن النفس لها معان كثيرة، ومن هذه المعاني:

١. النفس بمعنى الروح: ومنها قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾** يريد الأرواح [١].

٢. النفس بمعنى القوة المفكرة في الإنسان وهي العقل، ومنه قوله تعالى: **﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾** [٢].

٣. النفس بمعنى الخير والشر، ومنه قوله تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨)﴾** [٣].

---

[٥] التعريفات، للجرجاني: ص٣١٢.

[٦] ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٤٤٦/٢.

[١] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م..: ٣٦٨/١.

[٢] سورة المائدة من الآية ١١٦؛ ينظر: التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤ هـ: ١١٥/٧.

[٣] سورة الشمس، الآيتان: ٧- ٨.

ومن هذا المعنى نجد أن الله قد ألهم هذه النفس معنى الخير والشر؛ لأن فيها قوة كامنة واعية مدركة، فمن استعمل هذه القوة في الخير وغلّبها على الشر فقد أفلح، ومن ظلم هذه القوة وجناها وأضعفها فقد خاب، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ [٤].

وإذا نظرنا إلى هذه التعاريف اللغوية والاصطلاحية نجد أنها متقاربة فيما بينها ولذا لا فرق في تعريف النفس بين اللغة والاصطلاح على الظاهر؛ لأن اللغة العربية اعتمدت في أساسها على القرآن التي نزل بها.

ثالثا: تعريف النفس عند علماء النفس القدامى والمعاصرين.

إذا نظرنا إلى تعريف علماء النفس للنفس التي هي أساس اختصاصهم نجد أنهم تناولوها بكثير من التعريفات التي توضح معنى النفس، ونجد أن جميع تعريفاتهم تدور في الجمع بين الروح والجسد والإدراكات الذاتية وغيرها وقبل أن أذكر تعريف المعاصرين سأذكر تعريف الغزالي- رحمه الله -.

فقد عرف الغزالي النفس بأنها:"اللطيفة التي هي حقيقة الإنسان وذاته، ولكنها توصف بأوصاف مختلفة بحسب أحوالها"، ونجد أن الغزالي قد ذكر الألفاظ المقاربة للنفس وهي القلب والروح والعقل وذكر تعريفا لكل منها، ولكنها بمجموعها تعطي معنى واحدا من حيث عملها، وقد ذكر لكل منها تعريفين أحدهما علمي-أي طبي- والآخر ما اصطلح عليه علماء النفس [١].

---

[٤] سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠؛ ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ٣٩١٧/٦.

[١] ينظر: روضة الطالبين وعمدة السالكين، من مجموعة رسائل الغزالي دار الفكر، بيروت، نسخة مصححة محققة، د. ط، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م: ص١١٣، ١١٤.

وقد عرفها بعض العلماء كأبي بكر الباقلاني والأشعرية بأنها، أي: النفس:"هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس، والروح عرض وهو الحياة فقط، وهو غير النفس"[٢].

ولعلماء النفس المعاصرين تعريفان هما:

١- النفس هي همزة الوصل بين الروح والجسد، إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة، ولا نقصد هنا بكلمة (لا حياة) الموت التام؛ بل نقصد نقص الفعالية الحركية الهادفة الموجهة، إذ من دون النفس يبقى الجسد حيا، ولكن حياته غير منتظمة، يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي[١].

٢- النفس: هي جوهر الإنسان، ومحرك أوجه نشاطه المختلفة إدراكية كانت أو حركية أو فكرية أو انفعالية أو أخلاقية، سواء أعلى مستوى الواقع كان ذلك أم على مستوى الفهم، والنفس هي الجزء المقابل للبدن في تفاعلهما وتبادلهما التأثير المستمر والتأثر، مكونين معا وحدة

---

[٢] ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت: ٤٥/١؛ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م: ص ١٧٧، وذكر آراء أخرى تتعلق بتعريف النفس.

[١] ينظر: خواطر الإنسان بين منظوري علم النفس والقرآن، وليد عبد الله زريق، دراسات عليا في التربية وعلم النفس، مطبعة اللداوي، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، حلب، د. ط، ١٩٩٦م: ص١٩.

متميزة نطلق عليها لفظ (شخصية) تميز الفرد عن غيره من الناس، وتؤدي به إلى توافقه الخاص في حياته[٢].

ومن التعريفين السابقين يظهر لنا الترابط الوثيق بين الجسد والروح اللذين تربطهما النفس بعضهما ببعض، وإن هذا الرابط يكون نشاطات مختلفة تظهر شخصية الإنسان.

فالنفس بالمفهوم الذي يريده الباحث: هي النظام في جسم الإنسان الذي يميزه عن غيره فيجعله يعقل ويفكر ويدبر، ويتخذ القرارات [٣].

المطلب الثاني: النفس عند المفسرين.

قال تعالى:﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [١].

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم نجد أن كلمة (النفس) ومشتقاتها قد وردت فيه ٢٩٧ مرة في ٢٧٠ آية، وربما وردت كلمة النفس في آية واحدة أكثر من مرة [٢].

والذي يظهر من خلال عدد المرات التي وردت فيها كلمة (النفس) في القرآن أن هذه اللفظة وبكل مشتقاتها قد استعملت على شيء داخل الإنسان،

---

[٢] ينظر: أصول علم النفس الحديث، د. فرج عبد القادر طه، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م: ص ١٢، ١٣.

[٣] ينظر: علم النفس الإسلامي، محمد رمضان القذافي، صحيفة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٩٠م: ص٧.

[١] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[٢] ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، د. ط، ١٣٦٤م: ص٧١٠، مادة: ن ف س.

وهـذا الشـيء يشـتمل علـى الصـفات والخصـائص التـي تكونـت منـه ماهيتـه وحقيقته.

ولـم تقتصـر كلمـة الـنفس ومشـتقاتها علـى سـورة مكيـة أو مدنيـة، بـل إنهـا وردت في المكي والمدني على حد سواء.

فقـد وردت فـي السـور المكيـة فـي مئـة وبضـع وسـتين آيـة، ووردت فـي السـور المدنيـة فـي مئـة وبضـع وعشـرين آيـة، ومـن هنـا نقـف علـى المـراد مـن هـذا الأمـر، فإننـا بمجـرد النظـر إلـى الأرقـام يظهـر لنـا البيـان القرآنـي فـي مخاطبـة النـاس وإصـلاح نفوسـهم مـن الأمـراض؛ لأن الـنفس الإنسـانية لا يمكـن إصـلاحها في يوم وليلة، وإنما بالتدرج في تربيتها لكي يتمكن القرآن من السيطرة عليها.

وفيمـا يـأتي بعـض الحكـم مـن ورود لفظـة الـنفس فـي القـرآن الكـريم ومنها:

١. الـنفس البشـرية عـالم رحـب وواسـع، ولهـذا السـبب خـص الله الـنفس بآيـات كثيرة.

٢. بمـا أن للـنفس أبعـادا متنوعـة ومختلفـة فقـد تحـدث القـرآن عنهـا بالتفصـيل والإسهاب في بعض آياته لما لها من قوة ومكانة عند الإنسان.

٣. هـذه الآيـات التـي وردت عـن الـنفس كالمعـاني التـي يسترشـد بهـا الإنسـان فـي فهـم نفسـه وخصائصـها المختلفـة، وذلـك مـن اجـل تربيتهـا التربيـة الصحيحة.

٤. يوضـح القـرآن تحركـات الإنسـان السـلوكية، ويظهـر الحقـائق الإنسـانية حتى يستطيع الإنسان تغيير مساره النفسي إلى الطريق المستقيم.

٥. لم يترك القرآن الكريم الجانب الديني في تعليمه لنا عن النفس، فأوجب علينا أن نستجيب لما يأمرنا الله ونكون بذلك مستسلمين وراضين بقضاء الله وقدره، حتى يتعلم الإنسان إصلاح الجوانب النفسية كافة.

ومن خلال مراجعتي لبعض كتب التفسير وجدت أغلب المفسرين قد اتفقوا فيما بينهم على بعض القضايا التي تتعلق بقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[1].

فنجد أنهم قد اتفقوا على أن هناك قولين فيمن قال هذا الكلام وهما:

١. قيل أن قائل هذا الكلام هو سيدنا يوسف عليه السلام، حيث قاله ليبرئ نفسه أمام عزيز مصر، وقد ذكر المفسرون عدة روايات تبين أن سيدنا يوسف عليه السلام قال ذلك لما خاطبه جبريل وذكره بأن تركه للمعصية إنما هو بإرادة الله، مع أني لم أعثر على أسانيد هذه الروايات إلا في كتب التفسير.

٢. وقيل أن قائل هذا الكلام هو امرأة العزيز، والدليل على هذا سياق الآيات السابقة التي برأت فيها امرأة العزيز سيدنا يوسف عليه السلام من تهمة الخيانة، فنسبوا هذا القول إلى امرأة العزيز، وهذا هو الأقرب؛ لأن أغلب المفسرين رجحوا هذا الرأي[1].

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[1] ينظر: جامع البيان: ١٣/ ١ – ٣؛ الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢٠٩/٩، ٢١٠؛ مفاتيح الغيب: ١٢٥/١٨؛ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ: ٤٨٢/٢، ٤٨٣ وزاد الماوردي على الرأيين السابقين فجعلها ثلاثة أقوال وأضاف: أن هذه الآية من قول عزيز مصر وهو في معرض الخضوع لما قامت به زوجته.

يظهر لنا مما سبق أن أغلب المفسرين اتفقوا على ذكر الأقوال فيمن قال هذه الآية الكريمة، ولم يثبتوا أو ينفوا أحد هذين الرأيين، لكن أغلبهم رجحوا الرأي الذي يقول إنه من كلام امرأة العزيز؛ لأنها هي التي كانت تتحدث عن المراودة وغيرها من الأمور، ويظهر لنا أيضا أنها كانت مؤمنة بوجود الله - سبحانه وتعالى -؛ لأنها ذكرت قبل ذلك أن الله لا يهدي كيد الخائنين.

ومن خلال مراجعتي لكتب التفسير وجدت أن بعض المفسرين يذكرون بعض المسائل المتعلقة بعلم النفس ومنها تقسيم النفس البشرية، أنَفسٌ واحدة هي أم أكثر ؟، وهكذا، فجعلتها في المطلب الثاني لكي نرى كيف وافق المفسرون علماء النفس في ماهية النفس.

المطلب الثالث: النفس في نهج البلاغة.

طبيعة النفس البشرية، هي السجية والخليقة التي جُبل عليها الإنسان. والطبع في علم النفس هي مجموعة مظاهر الشعور والسلوك المكتسبة والموروثة التي تميز فرداً من آخر[1]. وهذه الطبيعة تختلف في تكوينها وتتلون من نفس إلى أخرى، حتى في النفس الواحدة، فمنها الخيرة، النقية، البريئة ومنها الخبيثة، الشريرة، الرديئة. فالطبيعة، إذن، تمثل السلوك الظاهري للإنسان، وهي الصفات المميزة لشخصية الفرد. غير أن هذه الصفات والسمات، تتجسد بها الأفكار الداخلية للإنسان، ومشاعره وأمانيه، التي تسمى سريرة الإنسان، وهي ما يضمره هذا الإنسان وما يكتمه وما يحتفظ به في داخله، في باطنه من خير وشر أو خبث ورداءة، أي أنها تمثل باطن

(1) المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، وزارة التربية، دمشق، د. ط، ١٩٨٥ م: ص ٦٣٦.

الإنسان وإذا صلحت السريرة، استقام الإنسان، أما إذا فسدت السريرة، تخبط الإنسان وفسدت النية.

لذا نجد الإمام يمدح ويثني على الذي صَلَحَت سريرته، وحسنت خليقته:"طوبى لمن ذل في نفسه، وطاب كسبه، وصَلَحَت سريرته، وحسنت خليقته". طوبى: الحسنى والخير. ذل في نفسه: ترك الزهو والكبرياء. وطاب: زكا وطهر. كسبه: مورد رزقه. والمراد: حسنت نواياه، فهو لا يضمر لأحد شراً [1]. كما يؤكد الإمام أن حُسن الخلق أفضل صاحب يصحبه الإنسان. هذه الخصلة، ضمن مجموعة خصال ذكرها عليه السلام:"ولا عقل كالتدبير، ولا كرم كالتقوى، ولا قرين كحُسن الخلق، ولا ميراث كالأدب..."[2].

مما سبق، نجد أن أمير المؤمنين قد أوضح بجلاء، العلاقة التي لا تنفصم بين باطن الإنسان وظاهره. فتصرفات الإنسان وأفعاله وسلوكه هي انعكاس لأفكاره ومشاعره وأمانيه، وما يكنه في نفسه، سريرته، فيقول:"من أصلح سريرته أصلح الله علانيته"[3]. إذن هذه العلاقة الوثيقة، هي بين الجزء المخفي لسلوك البشر، سريرتهم، متمثلاً بدوافعهم واحتياجاتهم النفسية، وبين الجزء الظاهر، العلني، وهو تصرفاتهم وأفعالهم. فالدوافع المخفية، إذن، هي التي تشكل المحركات الرئيسية لسلوك الإنسان، من أفعال حميدة، وتصرفات مشينة.

وتتجلى علاقة الباطن بالظاهر، والداخل بالخارج، في عملية إصلاح الإنسان لنفسه وسلوكه بأداء ما كلفه الله من أوامر ونواهي، الذي سيكون باعثاً

---

(1) نهج البلاغة للإمام علي، علي محمد دخيل، دار المرتضى، بيروت، د. ط، ٢٠٠٣م: ص ١٢٣.

(2) المصدر السابق: ص ٦٥٣.

(3) المصدر السابق: ص ٧٤٢.

نفسياً لمنعه عن المعاصي، التي بدورها ستنعكس في أسلوب التعامل مع الآخرين. هذا، ما يشير له الإمام في القصار من كلماته:"من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ، كان عليه من الله حافظ"[1]. إذن، طالما تكون المقدمات صحيحة، التي تدعو للفضيلة والعمل الصالح، فإنها بالتأكيد ستؤدي إلى نتائج صحيحة، سليمة أيضاً. هذا يعني، أنه كلما كانت عقيدة الإنسان سليمة ونواياه حسنة، محباً للخير، ابتعد عن الرذيلة والشر والأنانية، وعن التكالب على الدنيا، وابتعد أيضاً عن الخداع والغش والعنف والكراهية والحقد والحسد ونحوها.

كما أكد الإمام على أن تكون العلاقة بين أعمال الإنسان الظاهرية وسريرته الداخلية، متماثلة، متطابقة، لا أن تكون متعارضة متنافرة. فإذا كانت أعمال الإنسان وسلوكه طيباً حسناً فإن ذلك يكون نابعاً من سريرته الطيبة. وفي المقابل، إذا كانت أفعاله سيئة، فإنها تكون صادرة عن سريرة سيئة:"وأعلم أن لكل ظاهر باطناً على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، وما خبث ظاهره خبُث باطنه"[2]. ولكن إذا كانت سريرة الإنسان سيئة فإنها تؤدي إلى الفرقة والصراع، كما يقول الإمام في التحذير من الدنيا:"وإنما أنتم أخوان على دين الله ما فرَّق بينكم إلا خبث السرائر وسوء الضمائر"[3].

أضف إلى ذلك، فإننا نجد في ثنايا نهج البلاغة، تحليلاً عميقاً لطبيعة النفس البشرية، بخاصة علاقتها بأداء الطاعات من ناحية، وبنزوعها نحو

---

[1] المصدر السابق: ص ٦٤٤.

[2] نهج البلاغة للإمام علي، محمد عبده، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د. ط، ١٩٩٣م: ص ٣٠٨.

[3] المصدر السابق: ص ٢٤٩.

المعاصي من ناحية أخرى. فطاعة الله وتنفيذ أوامره ونواهيه، غالباً ما يحصل معها مخالفة لهوى نفس الإنسان وما تميل إليه. ولا شيء من معصية الله إلا وهو موافق لما تشتهيه هذه النفس. لذلك يدعو الإمام بالرحمة والخير والنعمة والاحسان والمغفرة للإنسان الذي يقمع شهوته وهوى نفسه، لأن النفس أمّارة بالسوء:"واعلموا أنه ما من طاعة الله شيءٌ إلا يأتي في كره، وما من معصية الله شيء إلا يأتي في شهوة، فرحم الله رجلاً نزع عن شهوته، وقمع هوى نفسه، فإن هذه النفس أبعد شيء منزعاً، وإنها لا تزال تنزع إلى معصية في هوى"[1]. بعد التعرف على المُراد من طبيعة النفس البشرية، سنذكر المؤثرات العملية الأساسية الناجمة عنها من سلوك وتصرف الإنسان، والمقاييس الدقيقة لعمل الإنسان.

١. سلوك الإنسان وتصرفاته.

السلوك الإنساني، يعني سيرة الإنسان، مذهبه، اتجاهه، تفكيره، ومجمل تصرفاته وأفعاله التي يتجه بها إلى وجهة معينة، مُعبرةً عن شتى جوانب طبعه الأخلاقي، منحصرةً في جانبين أساسيين. جانب خير، حسن، ايجابي، وجانب شر، سيء، سلبي. ففي نهج البلاغة، نجد الإمام علي يدعو بقوة إلى ممارسة الجانب الأول، جانب الفضيلة والسلوك العادل، بإتباع الحق والصواب والاستقامة، والنزاهة والإخلاص، رافضاً في الوقت ذاته الجانب الثاني، جانب الرذيلة، جانب الخداع والمكر والكذب والغش والسرقة والمصانعة والمداهنة والنفاق والرياء، ونكث العهد.

ومن المعروف، أن صفات الإنسان وتصرفاته الأخلاقية، ليست جميها بالقضايا التي تولد معه، وإنما هي أشياء يكتسبها مع مرور الزمن، بخاصة في

---

[1] نهج البلاغة، دخيل: ص ٣٠٢.

المراحل الأولى للنضوج العقلي للطفل. لذلك يركز الإمام على هذه المراحل التي تتقبل الخير والشر، قبل أن يشب هذا الطفل ويقسو قلبه، إذ يقول في وصيته لولده الحسن:"وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية: ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبُك، ويشتغل لبك"[1]. وعلى هذا الأساس، يتعلم الإنسان أن هناك أشياء مباحة يمكن عملها، وأخرى محضورة عليه الامتناع عنها، ومن ثم يحدد ما هو صحيح، وما هو خطأ، وما هو حق وما هو باطل، وما هو الواجب اتجاه الاخرين، واتجاه نفسه.

ومن هذا المنطلق، نجد الإمام في نهج البلاغة، يُعلّم ويَعِظ ويوحي وينهى ويطالب أنصاره والناس الآخرين، الالتزام بمبادئ السلوك السوي العادل السليم. فهو، على سبيل المثال، يبين في خطبته الغراء، أن الإنسان العاقل يبتعد دائماً عن الطرق المنحرفة، سالكاً الطريق المستقيم، رافضاً مغريات الدنيا، متبصراً طريقه:"فاتقوا الله عباد الله تقية ذي لب شغل التفكر قلبه،... وتنكب المخالج عن وضح السبيل، وسلك أقصد المسالك إلى النهج المطلوب، ولم تفتله فاتلات الغرور، ولم تعم عليه مشتبهات الأمور". تنكب: مال عنه. والمخالج: الطرق الملتوية. وسلك أقصد المسالك: سار في الطريق المستقيم الذي يؤدي بسالكه إلى الجنة. تفتله: تصرفه. والغرور: الخداع. لم تعم عليه: لم تلتبس عليه. ومشتبهات الأمور: مشكلاتها[2]. كما أن الإمام، يضع دلالات خاصة، كي يستطيع الإنسان أن يميز بين القضايا التي تلتبس عليه. فمثلاً، الظالم له علامات ثلاث:"للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة، ويظاهر القوم الظلمة". يظلم من فوقه بالمعصية: لأن معصية من وجبت طاعته ظلم. ومن دونه بالغلبة: وهي التعدي

---

[1] المصدر السابق: ص ٥٠٩.

[2] المصدر نفسه: ص ١١٣.

على الناس وأموالهم، وهضم حقوقهم، وهو الظلم الذي لا يغتفر لارتباطه بحقوق الآخرين. ويظاهر القوم الظلمة: يعاونهم[١].

وللسيرة العادلة، المستقيمة، تبعات، غاية في الأهمية، ذكرها الإمام، منها، الانتصار على الخصوم والمناوئين:"بالسيرة العادلة يُقهر المناوئ"[٢]. والعاقبة السليمة، وهي رضا الله للاستقامة في السلوك، والهلاك لمن انحرف:"لقد حملتكم على الطريق الواضح الذي لا يهلك عليها إلا هالك"[٣]. كما ينجم عن السلوك المستقيم حصول المرء على الحياة الأبدية والعيش الهنيء والنعيم الدائم:"قومٌ والله ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، متاريك للبغي، مضوا قدماً، على الطريقة وأوجفوا على المحجة، فظفروا بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة". ميامين الرأي: مباركين، آراؤهم سديدة. مراجيح الحلم: حلماء، لا يستخفهم جهل الجاهلين. مقاويل بالحق: يقولون الحق. متاريك للبغي: يجتنبون الاعتداء على الناس. أوجفوا: أسرعوا. على المحجة: على طريق الاستقامة والنجاة. العاقبة: آخر كل شيء وخاتمته [٤].

ويربط الإمام، ربطاً قوياً بين دور التربية، وطبيعة سلوك الإنسان وتصرفاته، لذا يقوم بعملية مماثلة رائعة بين سلوك الإنسان، وبين النبات وما يثمره. فكما أن النبات يحتاج إلى غذاء من مياه وتربة، وهذه متنوعة، التي سينجم عنها بالضرورة ثمراً متنوعاً حلواً ومراً، فإن الإنسان كذلك، ما يحصل عليه من تربية وتعليم، صالحاً أو طالحاً سيؤثر ذلك على سلوكه وأفعاله:"واعلم أن لكل عمل نباتاً، وكل نبات لا غنى به عن الماء، والمياه

---

[١] المصدر نفسه: ص ٧٢١.

[٢] المصدر نفسه: ص ٦٨٤.

[٣] المصدر نفسه: ص ٢٠٦.

[٤] المصدر نفسه: ص ٢٠٤.

مختلفة، فما طاب سقيه، طاب غرسه، وحلت ثمرته، وما خَبُث سقيه، خَبُث غرسه، وأمَرَّت ثمرته"[١]. ثم يبين لنا أبو الحسن العلاقة بين سلوك الإنسان وإيمانه، فالعلاقة بين السلوك، طيبُه وسيئُه، وبين الإيمان، ودرجة صدقه، علاقة وثيقة، متبادلة، فكل منهما يدل على الآخر، فإذا كان الإيمان صادقاً، خالصاً لله، فالأعمال صالحة، وإذا كانت الأعمال صالحة مقربة لله، فإن الإيمان يكون صادقاً لله، كما يبين ذلك الإمام عند مخاطبته أهل البصرة:"فبالإيمان يُستدل على الصالحات، وبالصالحات يستدل على الإيمان"[٢].

٢. المقاييس الأساسية لعمل الإنسان.

ذكر الإمام، عدداً من المقاييس الدقيقة لأفعال الإنسان، مرتكزة على أعماله الصالحة التي تتطابق مع ما أمر به الله عز وجل، وما جاء في الشرائع السماوية. لذلك حين وصف، الإمام علي عليه السلام، الإسلام، ذلك الوصف الرائع، بيّن حقيقته وغايته، فقد ارجعه إلى أصل واحد هو العمل الصالح، فهو يقول:"لأنسبن الإسلام نسبةً لم ينسبها أحدٌ قبلي. الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح"[٣]. ثم يوضح لنا أبو الحسن، أن قدر الإنسان ومنزلته ومكانته تكمن في ما يقوم به ويحسنه من قول وعمل وسلوك وتصرفات وعلم ومعرفة، لأن هذه جميعاً مقاييس عملية لقياس قيمة الإنسان، ومن ثم وضعه في مكانه الصحيح:"قيمة كل امرئ ما يحسنه"[٤]. هذه الحكمة

---

[١] نهج البلاغة، عبده: ص ٣٠٩.

[٢] المصدر نفسه: ص ٢٦٢.

[٣] نهج البلاغة، عبده: ص ٦٥٤.

[٤] المصدر السابق: ص ٦٤٢.

البليغة يقول عنها الشريف الرضي، جامع خطب الإمام وكلامه: وهذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة، ولا توزن بها حكمة، ولا تُقرن إليها كلمة.

ونظراً لأهمية العمل الصالح، فقد بين الإمام أنه، هو، من أولئك القوم الذين تتعلق قلوبهم بالآخرة، وأجسادهم بالعمل الصالح والطاعات:"وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم... قلوبهم في الجِنان وأجسادهم في العمل"[1].

ثم ذكر الإمام، شرط الحصول على الآخرة، وهو العمل، ولكن هذا العمل أيضاً له مواصفات محددة، لذلك أوضحها عندما أجاب رجلاً سأله أن يعظه:"لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير العمل... يقول في الدنيا بقول الزاهدين ويعمل فيها بعمل الراغبين... يحب الصالحين ولا يعمل عملهم... يقصر إذا عمل... ومن العمل مُقلّ"[2].

مما سبق، تتضح أهمية هذا المقياس، لكن الواقع الفعلي يشير إلى الابتعاد عن هذا المقياس في عملية التقييم، فالإنسان الذي يتخذ الغش والكذب والخداع والمداهنة والتملق ونحوها، في عمله، هو الذي ترتفع مرتبته في المجتمعات المتخلفة والأنظمة الاستبدادية الظالمة.

المطلب الرابع: النفس في علم النفس.

النفس عالم واسع؛ لأنها عالم غيبي، وإذا رجعنا إلى كتب علماء النفس نجد أنهم اختلفوا في تقسيمها وكيفية التعامل معها، لهذا تناولها العلماء والفلاسفة والمفسرون قديما وحديثا.

وبما أنهم اختلفوا في تقسيميها وكيفية التعامل معها اختلفوا في مرجعيتها؛ لأن هذه النفس لا بد لها من مرجع، فمن كان ينكر البعث والنشور

---

[1] نهج البلاغة، عبده: ص ٤١٣.

[2] المصدر نفسه: ص ٦٦٧.

فـإن الـنفس عنـده تفنـى وتصـبح لا شـيء، وعنـد مـن يـؤمن بالبعـث والنشـور وهـم المسـلمون وغيـرهم ممـن مـات علـى التوحيـد فيعتقـدون أن هـذه الـنفس إنمـا هـي بأمر الله سبحانه وتعالى، فلا تخرج عن إرادته لأنها خلقه عز وجل.

وقد قسمت هذا المطلب إلى:

أولا: تقسيم النفس عند علماء النفس من الفلاسفة وغير المسلمين.

ثانيـا: تقسـيم الـنفس عنـد علمـاء الـنفس والمفسـرين مـن المسـلمين القـدامى والمعاصرين.

أولا - تقسيم النفس عند علماء النفس من الفلاسفة وغير المسلمين.

لقـد اقتـبس الفلاسـفة ومـنهم اليونـانيون مفـاهيم شـتى عـن الـنفس، وذلـك مـن خـلال معتقـدات الشـرق وأسـاطيره القديمـة، ومنهـا نظريـة التناسـخ [1]، ونجـد مثـل هـذه المعتقـدات وغيرهـا عنـد كثيـر مـن الأمـم السـامية، بالإضـافة إلـى ذلـك فـإن جميـع الشـعوب والقبائـل تعتقـد بوجـود النفـوس الشـريرة التـي تحـدث الأمـراض فـي الناس.

لكننـا نجـد أن الفلاسـفة لـم يتركـوا هـذه الخرافـات والأوهـام سـائبة علـى حالها، وإنما أطروها وجعلوا لها القوانين والنظريات.

---

[1] نظريـة التناسـخ: هـي نظريـة انتقـال الـروح مـن إنسـان ميـت إلـى إنسـان حـي آخـر، وهـذه النظريـة تعنـي أن العقـاب فـي الـدنيا، ولا توجـد دار أخـرى، وهـي هنديـة المصـدر، ينظـر: الملـل والنحـل، الشهرسـتاني (ت: ٥٤٨ هـ)، مؤسسـة الحلبـي، تحقيـق: محمـد سـيد كيلانـي، بيروت، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٤٠٤هـ: ٥٤/٢.

فمن هؤلاء سقراط إذ يقول:"اعرف نفسك بنفسك"، ونجد هذا الشعار يتردد على كثير من ألسنة الناس، وسقراط كان أكثر الناس اهتماما بمعرفة النفس وطبيعتها، فعرفها بأنها:"جسم لطيف الأجزاء"[٢].

وجاء من بعده أفلاطون فقال:"النفس هي العنصر الجوهري في الإنسان وأنها ذات مستقلة"[١]، وقسم النفس إلى ثلاثة أقسام:

نفس عاقلة: ومحبتها إلى المعارف واكتساب الفضائل، ومن الفلاسفة من سماها الناطقة.

١. نفس حيوانية غضبية: ومحبتها منصرفة إلى القصور والرئاسة والغلبة.

٢. نفس شهوانية: ومحبتها منصرفة إلى المآكل والمشارب والمناكح.

وجاء بعده تلميذه أرسطو وعدَّ النفس جزءا من الطبيعة [٢].

يتبين لي أن الفلاسفة اليونانيين قد اهتموا بموضوع معرفة النفس؛ لأنهم علموا أن هذه النفس لها غاية وهدف، وهذا الهدف لابد أن يوضع له توضيح ويجب أن تقسم إلى درجات حتى يستطيعوا أن يضعوا النظريات عليها.

ويتبين لي أيضا أن تقسيم أفلاطون هو تقسيم واقعي إلا أننا لا نعتمد على هذا التقسيم؛ لأن علماء النفس من المسلمين قد حددوا أن النفس واحدة،

---

[٢] ينظر: في النفس، ارسطو طاليس، راجعها: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٥٤م: ص٢٢.

[١] ينظر: نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د. ط، د. ت: ص١٥٨.

[٢] ينظر: علم النفس معرفة النفس الإنسانية فى القرآن والسنة، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٩١م: ١٣/١.

وأن طبائعها هي التي تتغير كما سيمر علينا مع أن بعضهم قد اعتمد هذا التقسيم.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على أن النفس وتعريفها وتقسيمها كانت محط نظر جميع الديانات والطوائف والمذاهب والملل والنحل.

ثانيا - تقسيم النفس عند علماء النفس والمفسرين من المسلمين القدامى.

قبل أن نبحث تقسيم المسلمين للنفس لابد أن نعلم أن العرب قبل بعثة النبي ﷺ كانوا قد تأثروا بأفكار الفلاسفة اليونانيين وغيرهم

وإذا بحثنا في كتب المتقدمين من المفسرين وعلماء النفس نجد أنهم تناولوا هذه النفس بكثير من التوضيح والبحث، ونجد أن بعضهم قد قسمها إلى ثلاثة أقسام، ونجد بعضهم الآخر قد ردّ النفس إلى نفس واحدة لكن طبائعها متعددة، وهذا ما سنعرفه من عرضنا لآراء العلماء.

وقد اختلف العلماء المسلمون في تقسيم النفس، فمنهم من جعلها ثلاثة أقسام، ومنهم من جعلها نفسا واحدة وجعل الباقي أعراضا لها، ومنهم من جعلها أربعة أقسام أو أكثر.

فمن قال بأن النفس ثلاثة أقسام ذكرها وهي:

١. **النفس الأمارة بالسوء:** وهي النفس التي تأخذ الإنسان وتدفعه إلى المعصية وتزينها له.
٢. **النفس اللوامة:** وهذه هي التي تلوم الإنسان وتجعله نادما على ما ارتكب من المعاصي والذنوب، وتنهره عن الرجوع إلى مثلها.

٣. **النفس المطمئنة:** وهي النفس المؤمنة المتيقنة الثابتة على المنهج الحق[٢].

وهذه الأنفس الثلاثة قد وردت في القرآن الكريم على النحو الآتي:

١. قوله تعالى: **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [١].

٢. قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾** [٢].

٣. قوله تعالى:**﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾** [٣].

يقول الفخر الرازي وهو يفسر الآية ٥٣ من سورة يوسف:"اختلف الحكماء في النفس الأمارة ما هي ؟ والمحققون قالوا: إن النفس الإنسانية شيء واحد ولها صفات كثيرة، فإذا مالت إلى العالم الإلهي كانت نفسا مطمئنة، وإذا مالت إلى الشهوة والغضب كانت أمارة بالسوء، وكونها أمارة بالسوء يفيد المبالغة، والسبب فيه أن النفس من أول حدوثها قد ألفت المحسوسات والتذت بها وعشقتها، فأما شعورها بعالم المجردات وميلها إليه، فذلك لا يحصل إلا نادرا في حق الواحد....، ومن الناس من زعم أن النفس المطمئنة هي النفس

---

[٢] ينظر: الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت: ٢٠ / ١٠٣.

[١] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[٢] سورة يوسف، الآية: ٢.

[٣] سورة الفجر، الآية: ٢٧.

العقلية النطقية، وأما النفس الشهوانية والغضبية فهما مغايرتان للنفس العقلية"[٤].

يتضح لنا من كلام الفخر الرازي أنه يؤيد كون النفس نفسا واحدة وباقي الأمور هي من العوارض عليها، ونجد أن الرأي الأول القائل بأن الأنفس ثلاثة أقسام هو رأي أهل التصوف، ونجد أن الرأي الثاني القائل بأن النفس قسم واحد هو رأي الفقهاء والمتكلمين[١].

وربما زاد بعض العلماء الأنفس فجعلها ستة أنفس أو أكثر، وأضاف إلى الثلاث السابقة"ملهمة وراضية ومرضية وصافية"[٢].

والذي يظهر لي منها أن النفس الإنسانية هي نفس واحدة، ولكن صفاتها متعددة بسبب الأمور الخارجية التي تطرأ عليها، فمرة تكون أمارة حين تأمر صاحبها باتباع الشهوات والرذيلة فهذه النفس تأمر صاحبها بالسوء، ومرة تكون لوامة حين تلوم صاحبها على ما ارتكب من الذنوب والمعاصي، ومرة مطمئنة وهي التي اطمأنت إلى دين الله عز وجل.

لكن من أشد هذه الأنفس هي النفس الأمارة بالسوء، وهي التي وردت على لسان امرأة العزيز في قوله تعالى: **﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ**

---

[٤] مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ: ٤٧١/١٨.

[١] ينظر: النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ابراهيم محمد سرسيق، دار تهامة، جدة، ط١، ١٩٨١م: ص٨٣، ٨٤.

[٢] ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – محمد السيد أرناؤوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ط، د. ت: ص ٣٨٨؛ الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، اسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، دار العلوم الحديثة، بيروت، د. ط، د. ت: ص٣٤، ٣٥.

بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [٣]، فإذا نظرنا إلى هذه النفس نجد أنها تقود صاحبها إلى الهلاك والخذلان والوقوع في التيه والضلال لا محالة.

وقد ذُكِرَت هذه النفس في سورة يوسف لأن امرأة العزيز كانت تحمل هذه النفس، فقد سولت لها نفسها الأمارة أن تستعمل الحيل والمؤامرات كافة للإيقاع بسيدنا يوسف عليه السلام، ولكن حين كُشِف أمرها تابت إلى الله واعترفت بأن نفسها الأمارة بالسوء هي التي أوقعتها بكل هذا الضلال والمعاصي.

ومن الملاحظ أن أكثر مشكلات الإنسان ما هي إلا نتاج هذه النفس الأمارة بالسوء، فالنفس التي تكذب هي نفس أمارة بالسوء، وكذلك النفس التي تسرق أو تعتدي على حقوق الآخرين، فهي نفس امارة بالسوء [١].

والذي يهمنا من هذا ما طريقة تهذيب النفس الأمارة بالسوء ؟ وكيف هي الطريقة لإيصالها إلى طريق الحق والصواب ؟

وقبل أن نعلم الطريقة لا بد أن ننظر إلى النبي ﷺ وهو يحذرنا من هذه النفس، وكيفية التعامل معها.

فقد قال رسول الله ﷺ"أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك"[٢].

فإذا كان هذا هو وصف النبي ﷺ للنفس فهذا يعني أنه يجب علينا أن نحذر منها لكي لا تكون سبيلنا إلى المعصية ودخول النار؛ لأننا إذا اتبعناها

---

[٣] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[١] ينظر: موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. سعد رياض، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م: ص١٢٤.

[٢] كشف الخفاء: ١٦٠/١ – رقم ٤١٢.

فسوف تجرنا للهلاك كما علمنا سيدنا محمد ﷺ، فلا بد إذن من تعلم كيفية تزكيتها وترويضها حتى تتربى على طاعة الله - سبحانه وتعالى -.

وقبل أن نتكلم على علاج النفس الأمارة بالسوء لا بد أن نعرف بعض الصفات التي تتصف بها النفس الإنسانية ومنها:

١. **الضعف:** مع وجود الخير والشر في أعماق النفس البشرية وقدرة النفس على تمييز الخير والشر إلا أنه مخلوق ضعيف، إذ تتصف النفس الإنسانية بالضعف، قال تعالى:﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾ [٢]، ولضعف الإنسان لم يكلفه الله سبحانه وتعالى بما لا يطيق، وذلك لرحمته بعباده [٣].

٢. **الشح:** وهو من الصفات المرافقة للإنسان، قال تعالى: ﴿**وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا**﴾ [٤]، ولأن الشح يؤدي بالإنسان إلى الحرص وعدم بذل الحق الذي عليه فهذا النص يؤيد أن الشح من الصفات الملازمة للنفس[٥] لذلك حذرنا رسول الله ﷺ من هذا الخلق القبيح حيث قال"اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم"[٦].

---

[٢] سورة النساء، الآية: ٢٨.

[٣] ينظر: تيسير الكريم الرحمن: ص١٧٥.

[٤] سورة النساء، من الآية: ١٢٨.

[٥] ينظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها: ٣٧٣/١.

[٦] أخرجه مسلم في صحيحه، باب تحريم الظلم: ١٩٩٦/٤، رقم ٢٥٧٨.

٣. **الهَلَع:** هو الجزع وقلة الصبر [٧]، و نجد أن القرآن قد وصف الإنسان بالهلع، وهذه الصفة موجودة فيه وهي سرعة الجزع عند المكروه وسرعة المنع إذا مسه الخير، ولم يكن هذا الوصف عاما، وإنما جعل خصوصية لبعض الناس قال تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾** [١]، فإذا حصل استثناء على هذه الصفة فهذا يدلنا على ان الشح هو من الصفات القبيحة، فهذه الصفة النفسية لا يمنع الإنسان منها إلا الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

٤. **القدرة على إخفاء المشاعر والمطالب:** إن من صفات النفس إخفاء الأمور التي يراد بها الفساد في الغالب، وقد جاءت في القرآن الكريم آيات عديدة منها قوله تعالى: **﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾** [٢]، ولا يكون الإسرار إلا من جماعة يخشون من إظهار فسادهم، فلذلك أخبرنا الله أنهم سيكونون نادمين على ما كتموا في أنفسهم، فإذا أخفينا شيئا؛ فإنه لا يخفى على خالق السموات والأرض وعلام الغيوب.

---

[٧] تاج العروس، للزبيدي: ٤٠٥/٢٢؛ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت: ١٠٧/١؛ لسان العرب، ابن منظور: ٣٧٤/٨.

[١] سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٢٣.

[٢] سورة المائدة، من الآية: ٥٢.

٥. **الإرادة والاختيار:** لقد خلق الله النفس الإنسانية وميزها عن باقي الأنفس من الحيوانات والنباتات، إذ جعلها الله - سبحانه وتعالى - مخيرة غير مجبرة، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أن الله - سبحانه وتعالى - كرّمنا وجعل بأيدينا شيئا من الاختيار، وأن الله - سبحانه وتعالى - يريد أن يختبرنا في شيء من المعاصي والمصائب حتى يرتقي بنا إلى أفضل الدرجات، قال تعالى: **﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [٣]، فيظهر لنا من ذلك أن النفس لديها القوة والفطرة لإدراك الخير من الشر والسير فيه.

٦. **الإدراك العلمي:** لقد أخبرنا القرآن الكريم أن صفة الإدراك موجودة في النفس، إلا أن الإنسان لم يفتر عن إنكار هذه الصفة عنه، وهذا ما جاء على لسان كثير من الأمم، فقد كان فرعون وقومه ينظرون إلى الآيات بأعينهم لكنهم أنكروها على رغم ما جاء به سيدنا موسى عليه السلام من هذه الآيات، قال تعالى: **﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾** [١]، فهذا يظهر لنا أنهم منكرون بألسنتهم ولكنهم مدركون للحق بأنفسهم.

٧. **الوسوسة:** هي من صفات النفس الإنسانية، وتحدث نفسها بما فيها من الخير والشر، وهذه الوساوس لا يحاسب عليها الإنسان إلا إذا قالها أو فعلها؛ لكن هناك بعض الوساوس يحاسب عليها الإنسان كالاعتقاد بشيء فإنه يكون آثما به؛ فالنفس حينما تخلو لوحدها تبدأ بالوسوسة سواء بالخير كان أم بالشر، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا**

---

[٣] سورة السجدة، من الآية: ١٣.

[١] سورة النمل، من الآية: ١٤.

تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [٢]، فلهذا كانت النفس موقع عمل الشيطان، لأن من أطاعه عشعش الشيطان في نفسه، قال تعالى: **﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾** [٣]، أي غلب عليهم الشيطان.

٨. **الظلم:** إن من صفات النفس الإنسانية أنها تظلم نفسها وتظلم غيرها، ولقد ذكر القرآن الكريم مسألة ظلم النفس، وقد فسر النبي ﷺ مسألة ظلم النفس بأنها الشرك بالله، قال تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾**[٤]، وقد فسر الرسول ﷺ قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾** [٥] بأن الظلم هو الشرك بالله سبحانه وتعالى.[٦].

٩. **الحرج:** وهذا من الصفات التي تتصف النفوس بها، فإن هذا الحرج يؤدي إلى عدم الانقياد والطاعة، ويؤدي أيضا إلى عدم بذل الغالي والنفيس دفاعا عن الإسلام لذلك قال تعالى: **﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ**

---

[٢] سورة ق، الآية: ١٦.

[٣] سورة المجادلة من الآية ١٩.

[٤] سورة يونس، الآية: ٥٤، قال القرطبي في تفسير هذه الآية:"ظلمت أي أشركت وكفرت". الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٣٥٢/٨.

[٥] سورة الأنعام، من الآية: ٨٢.

[٦] الجامع الصحيح، باب قوله تعالى: ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله إلى قوله إن الله لا يحب كل مختال فخور ولا تصح الأعراض بالوجه: ١٢٦٢/٣، رقم ٣٢٤٦.

وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [1] فالأهم هو الإطاعة القلبية؛ لأن الطاعة في الظاهر فقط لا تنفع؛ لأن هذا يدخل صاحبه في النفاق والعياذ بالله.

وغيرها من الصفات التي في النفس الإنسانية التي وردت في القرآن الكريم والحديث الشريف، وهذا يظهر لنا الوصف الدقيق للنفس الإنسانية التي لم يظهرها لنا علم النفس الحديث، ولن يعرف حقيقة النفس البشرية إلا الذي سواها وركبها، فإن الله جعل في هذه النفس البشرية من الأسرار التي لم تكتشف ولن تكتشف إلا بأمر الله سبحانه وتعالى. والله أعلم.

فإذا كانت هذه هي صفات النفس الإنسانية فإن ذكر النفس الأمارة بالسوء في سورة يوسف يدفعنا لكي نعرف هذه الصفات ونحفظها، كي لا تكون نفوسنا أمارة بالسوء، ولا بد علينا إذا سمعنا بهذه الصفات أن نتوجه لنأخذ العلاج اللازم لمداواة النفوس الأمارة بالسوء، كما فعل سيدنا يوسف عليه السلام في مداواة نفوس من كان حوله كامرأة العزيز وصاحبي السجن، حيث أثر في نفوسهم وجعلها طائعة تائبة.

وإذا علمنا أن هذه الصفات يستطيع الإنسان أن يدعها ويتوجه للخير فلربما يسأل سائل: كيف يستطيع الإنسان معرفة العيوب التي في نفسه ؟ لأن عدم المعرفة بها لا يسهل طريقة العلاج.

لابد أن نعلم أن هناك من الناس من كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه، فإذا عرف العيوب أمكنه العلاج، ومن لم يعرف عيوب نفسه فعليه أن يتبع الطرق الآتية ليصل إلى عيوبه وهي [1]:

---

[1] سورة النساء، الآية: ٦٥.

[1] ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط١٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م: ص١٤٨، ١٤٩.

١. أن يجلس بين يدي شيخ صالح بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات فيعرفه طريق علاجه؛ لأنه يصعب على الإنسان أن يتعلم طرق معالجة النفس فكان لا بد له أن يصحب إنسانا مرشدا خبيرا بعيوب النفس عالما بأساليب التزكية حتى يكتسب من روحانيته نفحات قدسية تكتمل بها نفسية المريد وشخصيته، وترفعه إلى مستوى رفيع وبعيد عن المنكرات[٢].

٢. أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ أقواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه.

٣. أن يتعرف على عيوب نفسه من خلال ألسنة أعدائه، فإن عين السخط تبدي المساوئ، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكّرُه عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن.

٤. أن يخالط الناس فما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به ولينسب هذه الخصلة الذميمة لنفسه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى عيوب غيره عيوب نفسه، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى.

---

[٢] ينظر: حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، الرمادي، د. ط، ١٩٩٢م: ص٧٩.

المبحث الثالث

النفس عند الإمام السجاد ع

المطلب الأول: منهج التغيير عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

إن الإنسان المسلم على وجه الخصوص هو نقطة البداية، ومنطلق النهضة والتغيير في الأمة؛ لأنه يتحسس محنة التخلف والانحطاط الذي تعيشه أمته، ويشعر بآلامها وأحزانها، فيكرس كل همه وجهده لإصلاحها وانتشالها من واقعها المتردي.. ولقد كان الأنبياء والمرسلون **(عليهم الصلاة والسلام)** الطليعة والرواد والقادة في هذا الميدان، فكانوا هم نقطة البداية، ومنطلق التغيير بما يحملونه من خلق وصفات حسنة.

ويبدأ المسلم الفرد، فيقوم بدوره بالإصلاح والتغيير، ثم ينطلق نحو الآخرين فيختار وينتقي من يراه مؤهلا للمشاركة في عملية البناء والتغيير، وتحدي الواقع المختلف عما أنزله الله سبحانه وتعالى من الحق والهدى؛ ليكون بذلك النواة الأولى التي تواجه الباطل والفساد في الأرض.

وهكذا بدأ الأنبياء **(عليهم الصلاة والسلام)**، فكان مع كل نبي حواريين يمثلون اللبنة الأولى للتغير، ثم تبدأ عملية التعميم والانتشار، حتى تصبح الدعوة إلى النهوض والتغيير والإصلاح تيارا اجتماعيا عارما، لا يستطيع أهل الباطل الوقوف أمامه، ولا التصدي له، قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾**[1]، والمعنى: انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين الله لما قال لهم عيسى من أنصاري إلى الله قال

[1] سورة الصف، الآية: ١٤.

الحواريون نحن أنصار الله، فأصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ـ (صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) ـ أن عيسى روح الله وكلمته[١].

إن الله تعالى: انزل القرآن الكريم على الإنسان فكان جل حديثه عنه (فالقرآن كله إما حديث إلى الإنسان، أو حديث عن الإنسان...).

إن الإنسان المخلوق جعله الله مكلفا مسؤولا، وأعطاه العقل المدرك، والشعور الحساس، وجميع القوى والطاقات التي يستطيع من خلالها أن يحقق خلافة الله على هذه الأرض بمعونته سبحانه وتعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾**[٢]، ثم قال تعالى: **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**[٣]، وقال تعالى: أيضا: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**[٤]، وقال تعالى: أيضا:**﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾**[٥]. أي: استخلفناك على

---

(١) لُبَاب التَّأْوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف ب تَفْسِيْر الخازن، لعلاء الدّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م، ج ٦: ص٩٣.

(٢) سورة البقرة، من الآية: ٣٠.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

(٥) سورة ص، الآية: ٢٦.

الملك فيها والحكم فيما بين أهلها، أو جعلناك خليفة ممن قبلك من الأنبياء القائمين بالحق، فهو ـ عليه السلام ـ خليفة الله تعالى:[1].

وهذه الخلافة هي الوظيفة الخطرة أو الأمانة الكبرى التي كلف بها الإنسان في فطرته واستعداده بقوله تعالى: **﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾**[2]، أي: ات الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والارض والجبال على انها إن احسنت اثيبت وجوزيت، وان ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم إنه كان ظلوما لنفسه جهولا[3].

وحملها الإنسان لأنها خلقت له، ولم تخلق لغيره، لاتفاقها مع طبيعته، وتحققها على أتم درجة الحضارة، ومن النظرة القبلية إلى النظرة الإنسانية هو الإنسان المسلم الذي صاغه الله بالإسلام صياغة من خلال فطرته التي فطر عليها[4].

---

[1] المُحَرَّر الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز، المعروف ب (تَفْسِيْر ابن عطية)، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت ٥٤١ه)، تحقيق: عبد الله بن إبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبْرَاهِيم، مؤسسة دار الْعُلُوم، الدوحة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م: ٤ / ٥٠٢.

[2] سورة الأحزاب، الآية: ٧٢.

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ضبط وتخريج: صدقي جميل العطار، ط١، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤١٥هـ: ٢٢/ ٦٦.

[4] ينظر: حركة التغيير الاجتماعي في القرآن، محسن عبد الحميد، مطبعة الحوادث، بغداد، ط١، ١٩٧٩م: ص٧، ٤٨؛ منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، محسن عبد الحميد مطبعة الزمان، بغداد، ط١، ١٤٠٢ هـ: ص ٢٣.

لقد أراد الله للإنسان أن يكون خليفة في الأرض، فمنحه القدرة العقلية على التعلم، والمقدرة الجسدية على التغيير والعمل والإبداع، والإرادة (الحرة) لاختيار أسلوب الحياة التي يقوده إليها فكره ودوافعه النفسية والجسدية، ولكي لا يحس الإنسان (بالدينونة) ولا تدور في خاطره أية فكرة عن (سلبية) دوره في العالم، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف، أمر الملائكة أن يسجدوا له.. وتلك هي أسس تقود ولا ريب إلى تصور دور الإنسان في العالم...[١].

ان تمايز الإنسان في جميع مراحل نموه، وتخصصه بالذكر من بين سائر المخلوقات من قبل الله تعالى، إنما كان لحكمة ولغاية أفصح عنها الذكر الحكيم، إذ قال تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**[٢]، وقال تعالى: أيضا: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْأِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[٣]. وغاية القول إن تمايز الإنسان عن سائر المخلوقات في الخلقة والخصائص، في مزاياه المادية والروحية لم يكن ذلك للإنسان بغاية الشكر والعبودية وحسب، وإنما هناك غاية أخرى، وهي ما خص به الإنسان من دور ووظيفة في هذه الحياة فإليه أوكلت مهمة عمارة الأرض، وله أعدت الجنة والجحيم والثواب والعقاب (جَزَاءً وِفَاقاً)[٤]، وفضلا عن ذلك كله فهو خليفة الله في الأرض وهو موضوع الخطاب الإلهي.[٥].

---

[١] حول اعادة تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، دار الكتاب الإسلامي، قم – إيران، ط١، د. ت: ص ١٠٤.

[٢] سورة الإنسان، الآية: ٣.

[٣] سورة الذريات، الآية: ٥٦.

[٤] سورة النبأ، الآية: ٢٦.

[٥] الانسان والحضارة في القرآن الكريم بين العلمية والعولمة، فرح موسى، دار الهادي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م: ص ٢٩.

والإنسان.. في نظر الإسلام مخلوق مميز، مخلوق مكرم، ميزه الله وكرمه وفضله على كثير من خلقه.... وإن الأصالة في الإنسان الروح والبعد المعنوي، وليس الجسد إلا أداة ينبغي التجاوب معه في قضاء حاجاته، ويبقى النظر إليه كوسيلة فقط... يقول تعالى: **﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[1]، ويقول تعالى: أيضا: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ...ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾**[2]، ويقول تعالى: أيضا: **﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾**[3][4].

ولقد كرم الله تعالى الإنسان وفضله وميزه على سائر المخلوقات بأشياء كثيرة، من أهمها:

١. إعطاؤه القوة العاقلة، والقابليات المختلفة، وحرية الإرادة....
٢. خلق الإنسان بيد الله تعالى: بخلاف سائر الكائنات الأخرى فقد تم خلقها بـ(كن فيكون).
٣. حمله الأمانة الإلهية، والتي أبت السماوات والأرض من حملها.
٤. تسخير سائر المخلوقات للإنسان، قال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[5]، وقال تعالى أيضا:

---

[1] سورة الحجر، الآية: ٢٩.

[2] سورة المؤمنون، الآيات: ١٢-١٤.

[3] سورة ص، الآيتان: ٧١، ٧٢.

[4] اساس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث، رضا فرهاديان، ترجمة: عبد الهادي الركابي، دار الرسول الاكرم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ص٢٣.

[5] سورة النحل، الآية: ١٤.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً...﴾[1]، وقال تعالى: أيضا: **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾**[2]. لقد أشارت الآية إلى ثلاثة أقسام من المواهب الإلهية للإنسان وهي:

١. **﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾.**

٢. **﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾.**

٣. **﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾.**

وهناك مسألة جديرة بالاهتمام، وهي لماذا أشار الله تعالى: إلى قضية حمل الإنسان في البر والبحر في البداية من بين جميع المواهب التي وهبها الإنسان؟ قد يكون سبب ذلك إن الاستفادة من الطيبات وأنوع الرزق غير مجدية من دون حركة..."[3].

"لذا، فان الكرامة الإلهية للإنسان تبقى مشروطة بالتوحيد والإيمان بالله تعالى، وكل من لا يوحد الله تعالى: ولا يؤمن به لا يشمله مبدأ التكريم الإلهي، بدليل ان الأنبياء والرسل جميعا جاؤوا لهداية الإنسان وتعليمه وتعريفه بالتوحيد كما، قال تعالى: **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ**

---

[1] سورة لقمان، من الآية: ٢٠.

[2] سورة الاسراء، الآية: ٧٠.

[3] الإنسان من التراب إلى التراب، نعمة الله صالحي، ترجمة: خضير عبد الله، دار الرسول الأكرم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ص ١٠٤، ١٠٥؛ ينظر: أنوار التنزيل: ٤٥٧/٣.

النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[1]. وقال تعالى: **﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**[2].

فالكرامة الإلهية للإنسان، هي في الجوهر كرامة عامة لكل بني آدم وهي إنما تتحقق وتستمر فيما لو اخذ الإنسان بالأسباب الموجبة لها والمؤدية إليها. وهذه الكرامة تبقى للإنسان ما دام آخذاً بشرع الله تعالى الذي يصون هذه الكرامة ويحفظها له..."[3].

ومن كرم الله بالإنسان، أن جعله قادرا على التمييز بين الخير والشر، فألهم الله النفس الإنسانية فجورها وتقواها، وغرس في جنباتها الاستعداد للخير والشر، وجعل عند الإنسان إرادة، يستطيع بها أن يختار بين الطرق المؤدية للخير والسعادة، أو الطرق الموصلة إلى الشقاء.. قال تعالى: **﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا(٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾**[4][5].

فلا يدع جانبا من جوانب الحياة الإنسانية إلا كان له فيه موقف: قد يتمثل في الإقرار والتأييد، أو في التصحيح والتعديل، أو في الإتمام والتكميل، أو في التغيير والتبديل، وقد يتدخل بالإرشاد والتوجيه، أو بالتشريع والتقنين،

---

[1] سورة البقرة، الآية: ١٣٦.

[2] سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

[3] الانسان والحضارة في القرآن الكريم، فرح موسى: ص٤١.

[4] سورة الشمس، الآيات: ٧-١٠.

[5] أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م: ص ٣٣.

قد يسلك سبيل الموعظة الحسنة، وقد يتخذ أسلوب العقوبة الرادعة، كل في موضعه[1].

وأما علاقة الإنسان بالعالم الخارجي، فإنها تتطور تطورا كبيرا، والإسلام يعترف بهذا التطور، ويدعو إليها من خلال دعوة الإنسان إلى اكتشاف قوانين المادة، وتسخيرها لسعادته، وتطوير حضارته التي تسهل عليه السير في هذه الحياة، والقيام بمهمته فيها.

وموقف الإسلام من هذا لا يقف عند حد الدعوة، بل يعتبرها عبادة، ويكلف الإنسان بالقيام بعملية هذا التغيير، ويجلب نظره إلى القانون الكوني الاجتماعي العام، **﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾**[2]. لا بل انه يضع أمام الإنسان قوانين التغيير الاجتماعي حتى لا يضل، فيتيه في صحراء التجارب المريرة التي تضيع وقته وماله وجهده[3].

إذ أن التغيير على الأرض هو من صنع الإنسان بالدرجة الأولى، وأن دور الله في صنع التاريخ يأتي بعد دور الإنسان **﴿ذلك بأن الله لم يكن مغيّراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**[4].

"إن أول من مارس مهمة العمل التغييري، حيث الجهد المتواصل لتغيير الأوضاع الجاهلية إلى أوضاع إلهية... هم رسل الله وأنبياؤه... وذلك لأنهم الرجال الذين اختارهم الله سبحانه لحمل الأمانة الرسالية، واصطفاهم لتلقي الوحي منه وتبليغ رسالته والصدوع بها لكي يعبد الله وحده، وينقذ

---

(1) ينظر أنوار التنزيل: ٥/ ٤٩٦.

(2) سورة الرعد، من الآية: ١١.

(3) منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام، محسن عبد الحميد: ص ٥٦؛ ينظر: أنوار التنزيل: ٣/ ١١٥.

(4) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

الإنسان من ويلات تحكم الجبابرة والمفسدين...وقد مارس هذه المهمة معهم ومن بعدهم الكتلة المؤمنة من إتباعهم، والسائرين في خطهم، الرافضين لكل ألوان الفكر الجاهلي والانحراف السلوكي... ذلك لأنهم الأداة المكلفة لتأخذ دورها الإلهي في حمل الرسالة وأداء الأمانة حقها في الدعوة لعبادة الله وحده وتبليغ الرسالة... قال تعالى: **﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**(١)، وقال تعالى: أيضا: **﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾**(٢)، وقال عز وجل: **﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**(٣)، ويقول تعالى: أيضا: **﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً﴾**(٤)، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة في هذا الصدد. هذا هو سبيلهم ومنهجهم فهم عدة الدين، ومادة الرسالة، وعناصر التغيير والأداة الفاعلة لإحداث الانقلاب الفكري والروحي من خلال المتبنيات المفاهيمية الإلهية...، لذا فقد خصهم الله بلطفه بناء وإعدادا، حيث الخطابات والنداءات والتوصيات... جميعا تصب باتجاه تربيتهم بما ينسجم ومهماتهم الطموحة وعملهم التعبدي لله تعالى: بين صفوف الناس طلبا لمرضاته"(٥).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٥) المنهج الحركي في القرآن الكريم، عبد اللطيف الراضي، دار المنتدى، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩١م: ص ٦٦، ٦٧.

وهذه المهمة يجب أن يقوم بها المكلف بالتغيير وهو (الإنسان المؤمن) مع نفسه أولا وبدون هوادة، معتبرا هذه المهمة العمل الذي خلق من اجله، ويموت من اجله، في سبيله.

يقول الأستاذ جمعة أمين في كتابه التغيير على منهاج النبوة ما نصه:

"... فأداة التغيير عندنا هو الفرد المسلم ومن هنا يجب البدء به دعوة وتربية حتى تظهر قيادة تقود الأمة.... فالتربية إذن في منهاجنا ليست من الوسائل، إنما هي من المقاصد، لأن أداة التغيير عندنا هو الإنسان، ومحال أن يتغير دون تربية، لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم..."[1].

فالإنسان هو الأداة الحقيقية للتغيير، "فمنذ أن صدع الرسل بتبليغ الوحي إلى الناس، كان هدفهم تغيير واقع معتقداتهم وسلوكهم وتعاملهم وعلاقتهم.. واستمرت هذه المهمة تنمو وتكبر وتتطور مع خطوات الرسالة المتطورة، وفي أساليب متغيرة كذلك.. ومن هنا فالمهمة التغييرية والتحرك التغييري يمثل خطا ثابتا ومستمرا كثبات واستمرار المسيرة الإلهية. ان عملية التغيير يبدؤها الإنسان مع نفسه أولا، وليس لهذه العملية حد أو مدى... من خلال جهد تغييري يبدأ أحيانا من الكفر والضلال إلى حيث الإسلام والرشد، ثم ينمو الالتزام بالإسلام كلما تعمقت الحالة التغييرية في نفس الإنسان المسلم، طاعة لله تعالى: وانضباطا بالأوامر والنواهي التي حددها رب العالمين لعباده"[2].

---

[1] ينظر: أنوار التنزيل: ٣/ ١١٥؛ التغيير، جمعة امين: ص ٢٧٧ - ٣٤١.

[2] المنهج الحركي في القرآن الكريم، عبد اللطيف الراضي: ص ٣٢، ٣٣.

ولقد بين القرآن الكريم حقيقة الإنسان كما خلقه تعالى.. "إن القرآن الكريم اظهر صور الإنسان كافة، ولم يخف شيئا منها فهو أظهر ضعفه وهلوعه وجزعه وقوته، خيره وشره، وغروره وكبرياءه، كرمه وبخله وجميع حالاته الروحية والمادية، هذا بالإضافة إلى مراحل نموه وتقلبه بين النشأة والموت وما يكون له بينهما من حالات..."[١].

فأكرمه الله تعالى بحمل هذه الرسالة الإنسانية العظيمة.. "وتحديد الأمانة والخلافة للإنسان، وتذكيره بها في القرآن الكريم كان من اجل أن يعلم مهمته، ويدرك الفرق بينه وبين العوالم الحيوانية، فلا يكون مجتمعه مجتمعا حيوانيا بل يكون مجتمعا إنسانيا بكل ما تقتضيه هذه الكلمة من معاني"[٢].

فالإنسان أمام مسارين وطريقين، احدهما يؤدي به إلى الخسران والآخر يأخذ بيده إلى حيث النجاح والفوز والنجاة، ولا بد له من أن يؤكد على السبيل الذي ينجيه، وذلك قوله تعالى: **﴿وَالْعَصْرِ(١) إِنَّ الْأِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ(٢) اِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾**[٣]، فمقياس الفوز هو: الإيمان أولا، والعمل الصالح ثانيا، والتواصي بالحق ثالثا، والتواصي بالصبر رابعا... ليكون قادرا على أداء تكاليفه الإلهية، باعتباره يمثل مفردة من مفردات العمل التغييري باتجاه العبودية للذي فالق الحب والنوى ورافع السماء وباسط الأرض...[٤].

وكان البطل الحقيقي لذلك التغيير الذي حدث من الشرك إلى التوحيد، ومن حياة البداوة إلى حياة جديدة، ومن النظرة القبلية إلى النظرة الإنسانية،

---

[١] الانسان والحضارة في القرآن الكريم، د. فرح موسى: ص٢٧.

[٢] حركة التغيير الاجتماعي، د. محسن عبد الحميد: ص ١٠.

[٣] سورة العصر، الآيات: ١- ٣.

[٤] ينظر: تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٨٠؛ المنهج الحركي في القرآن الكريم: ص ٧٣.

وهـو الإنسـان المسـلم الـذي صـاغه الله صـياغة جديـدة وان النكسـات الحضـارية التـي تتابعـت علـى الأمـة عبـر تاريخهـا فـي القـرون الأخيـرة كـان سـببها الواضـح انطفـاء جـذور الحركـة التغييريـة المسـتمرة التـي ربـى الإسـلام الإنسـان المسـلم عليهـا[1]. "والله تعـالى خلـق الإنسـان خليفـة فـي الأرض، ولـيس فـي السـماء، وأوكل إليه أمر الحركة والتغيير من خلال مسؤولية كاملة غير منقوصة"[2].

إن التغييـر مهمـة أساسـية للإنسـان، باعتبـاره الجـزء الأهـم مـن هـذا العـالم المتغيـر الـذي لا يقبـل السـكون إضـافة إلـى ذلـك انـه مـزود بخصـائص الخلافـة، ومـأمور بالاسـتعداد لهـا. فالتصـور القرآنـي يعتمـد إرادة الإنسـان وحريـة الاختيـار، فهـي بوابـة التغييـر، للمحتـوى الـداخلي نفسـه، ولكـل مـا يحـيط بـه مـن علاقـات ونظـم وظـواهر مختلفـة. فالإنسـان فـي نظـر الإسـلام هـو كـائن لـه حريـة الاختيـار فـي كـل خطـوة مـن حياتـه، فيسـتطيع أن يختـار سـبيل الفسـاد، كمـا يسـتطيع أن يسلك طريق الصلاح، ولا بد أن تستمر هذه الحرية معه حتى لحظة موته.

والإنسـان فـي الرؤيـة الإسـلامية، خلـق ذو قـوة متحركـة، وطاقـة مغيّـرة، ومـن خـلال قوتـه وطاقتـه، وتـأثيره وتـأثره بمـا حولـه، يسـتطيع أن يختـار طريـق الصـلاح والإصـلاح لمـا يحـيط بـه. فالإنسـان الـذي يريـده الإسـلام هـو الـذي يسـمع نـداء الحـق، ويتطلـع إلـى مـا تمليـه عليـه فطرتـه السـليمة مـن مشـاهد كثيـرة، ثـم إن طريـق الفسـاد لـيس مغلقـا إمامـه تمامـا، بـل يسـتطيع يميـز بـين الصـلاح والفسـاد،

---

(1) ينظـر: حركـة التغييـر الاجتمـاعي، محسـن عبـد الحميـد: ص١٩؛ مـنهج الاجتمـاعي فـي الاسـلام، محسـن عبـد الحميـد: ص ٣٠؛ التغييـر حيـاة محمـد، محمـد حسـنين هيكـل: ص٥٦٦ وما بعدها.

(2) مقومـات التصـور الإسـلامي، سـيد قطـب، دار الشـروق، بيـروت، د. ط، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م: ص٣٦٢.

ذلك إن قيمة الإنسان تكمن في قدرته على اختيار طريق الفساد ثم يعرض عنه، بل ويسعى جاهدا في تغييره وإصلاحه.

فحركة التغيير تبدأ بحركة الإنسان في داخل نفسه، ثم يتجه صوب العالم الخارجي، لتسخير طاقات هذا الكون نحو الأهداف والغايات التي ينشدها الإنسان..، وهنا يقول مالك بن نبي: "التاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهوده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في المجتمع رسالته المزدوجة، بوصفه ممثلا وشاهدا"[1]. ممثلا باعتباره خليفة في الأرض، وشاهدا بحسب قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**[2].

فالإنسان عجيب في تركيبه، فريد في طبيعته، عظيم في مسؤولياته، وغاية وجوده ومصيره ومآله. خلق ليعرف ربه ويعبده، ويكون خليفة في أرضه، خلق ليحمل الأمانة الكبرى في هذه الحياة القصيرة: أمانة التكليف ومسؤوليته، فيطهره الابتلاء وتصقله التكاليف، وبذلك ينفع ويعد لحياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء، والأبد الذي لا ينقطع[3].

ولكي تتحقق أبعاد خلافة الإنسان ورسالته في الأرض، زوده الخالق تبارك وتعالى بمختلف الطاقات العقلية، والقدرات الجسدية ومنحه حرية الاختيار، وذلك إن خلافة الله في الأرض، وإصلاحها بإقامة الحق والعدل وتحقق معالم الخير والفضيلة في ربوعها ولن يتحقق ذلك إلا إذا شعر الإنسان بإيجابية دوره، وفاعليته في الكون والحياة، وهي ما تقره الرؤية القرآنية التي

---

[1] وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م: ص٣٢.

[2] سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

[3] ينظر: أنوار التنزيل: ٤١٦/١.

تعتبر الإنسان "بنية متحركة، وهو يتحرك لأداء وظيفته، وتحقيق غاية، فما لم نفهم طبيعة الوظيفة وكنه الغاية، لم نفهم طبيعة الحركة"[١]. كما إن القرآن الكريم قد احترم إرادة الإنسان؛ حيث جعله حرا مختارا لأفعاله، ومسؤولا عن تصرفاته، قال تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**[٢]، اي: عرّفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشرّ[٣]، وقال تعالى: **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾**[٤]، فالإنسان وفق الرؤية القرآنية، ومنطلق العقل الإسلامي، يجب أن يكون حرا ومختارا، ليكون مسؤولا، فلا مسؤولية بلا حرية الاختيار.. وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى: **﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾**[٥]، وقال تعالى: أيضا: **﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾**[٦]. وهكذا تتلازم الحرية والمسؤولية في منهج القرآن الكريم، وهكذا تكون قيمة الإنسان واحترامه في كونه حرا مسؤولا. فالإنسان الذي لا يملك الحرية والاختيار لا يمكن أن يصنع الحياة، ولا يستطيع أن يحدث النهضة والتغيير في مجتمعه[٧].

إذاً الإنسان هو أساس التغيير في التصور الإسلامي، والعبودية والفوز برضا الله تعالى: هو هدفه حقق مظاهر حضارته الإسلامية في عمره المحدود أم لم يحققها على ارض الواقع طالما انه التزم بمنهاج النبوة في جميع خطواته

---

(١) مقومات التصور الاسلامي، سيد قطب: ص٣٧٢.

(٢) سورة الانسان، الآية: ٣.

(٣) فتح القدير(الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٨٣م: ٥/ ٣٤٥.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٥) سورة البلد، الآية: ١٠.

(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦.

(٧) مبادئ النهوض الاجتماعي: ص٤٧.

وتخطيطاتـه. لهـذا كـان الإنسـان -الفـرد - هـو أداة التغييـر فـي مجتمعـه إذا حقـق المراد من خلقه[١].

والرسـول (صَـلَّى اللهِ عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ) هـو الداعيـة الأول فـي الإسـلام إلـى تغييـر الباطـل، قـال تعـالى: **﴿يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ إِنَّـا أَرْسَـلْنَاكَ شَـاهِداً وَمُبَشِّـراً وَنَـذِيراً* وَدَاعِيـاً إِلَـى اللهِ بِإِذْنِـهِ وَسِـرَاجاً مُنِيـراً﴾**[٢]، وقـد كـرر الله تعـالى: الخطـاب إلـى النبـي (صَـلَّى اللهِ عَلَيْـهِ وسَـلَّمَ). آمـرا إيـاه بـدعوة التغييـر، والاسـتمرار عليهـا، وعـدم التحـول عنهـا، قـال تعـالى: **﴿وَادْعُ إِلَـى رَبِّـكَ إِنَّـكَ لَعَلَـى هُـدىً مُسْـتَقِيمٍ﴾**[٣]، وقولـه تعـالى: **﴿وَادْعُ إِلَـى رَبِّـكَ وَلا تَكُـونَنَّ مِـنَ الْمُشْـرِكِينَ﴾**[٤]، وقـد أمـره سـبحانه وتعـالى أن يسـتمر فـي هـذه المهمـة العظيمـة، والعبـادة الجليلـة حتـى يأتيـه اليقـين مـن ربـه، وينتقـل إلـى جـواره الكـريم راضـيا مرضـيا، قـال تعـالى: **﴿وَاعْبُـدْ رَبَّـكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾**[٥].

وقـد كانـت مهمـة تغييـر الباطـل وظيفـة جميـع رسـل الله وأنبيائـه **(علـيهم السـلام)**، ومـن اجلهـا بعـثهم الله سـبحانه وتعـالى إلـى النـاس، فكـانوا جمـيعهم خيـر أداة للتغيير يـدعون إلـى التمسـك بـالحق ونبـذ الباطـل، قـال تعـالى: **﴿وَلَقَـدْ بَعَثْنَـا فِـي كُـلِّ أُمَّـةٍ رَسُـولاً أَنِ اعْبُـدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُـوا الطَّـاغُوتَ فَمِـنْهُمْ مَـنْ هَـدَى اللهُ وَمِـنْهُمْ مَـنْ حَقَّـتْ عَلَيْـهِ الضَّـلالَةُ فَسِـيرُوا فِـي الْأَرْضِ فَـانْظُرُوا كَيْـفَ كَـانَ عَاقِبَـةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾**[٦].

---

[١] خطوات على طريق النهضة، جمعة امين عبد العزيز: ص ٣٢.

[٢] سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

[٣] سورة الحج، من الآية: ٦٧.

[٤] سورة القصص، من الآية: ٨٧.

[٥] سورة الحجر، الآية ٩٩.

[٦] سورة النحل، الآية: ٣٦.

فإن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان سيدا لهذه الارض بخلافته فيها، وهو عاملاً مهما في نظام الكون، ملحوظا في هذا النظام... وإن دور الإنسان في الأرض هو الدور الأول. فهو الذي يغير ويبدل في أشكال الحياة وفي ارتباطاتها؛ وهو الذي يقود اتجاهاتها ورحلاتها[١].

المطلب الثاني: منهج التغيير عند الإمام السجاد (عليه السلام) .

بعد وقوع الكارثة المدوية في كربلاء، وإراقة دماء الامام الحسين، عليه السلام، وابنائه واصحابه، وما جرى على أهل بيته من بعده، بات المسلمون في حالة حيرة قاتلة من أمرهم، ربما تكون استثنائية في التاريخ، أو اول حالة ضياع يمرون بها منذ فجر الاسلام، فابن بنت نبيهم قتل في كربلاء وتعامل معه النظام الأموي على أنهم"خوارج"وطبقوا عليهم كل الأحكام المتعقلة بالخاسر، مثل رفع الرؤوس فوق الرماح، وسبي النساء والنهب وغيرها. حتى النداءات والكلمات التي أطلقها الامام الحسين، واصحابه يوم عاشوراء، كانت حبيسة المؤرخين، ولم يسمع بها أهل المدينة ولا الغالبية العظمى من أهل الكوفة وسائر الامصار، وبكلمة؛ كانت الامة تحت سطوة الحكم الأموي، لا تجد امامها سوى القبول بالأمر الواقع. مثلاً؛ القسوة والغلظة والدموية التي فعلت ما فعلت في كربلاء، لم تواجه الادانة في تلك الفترة. كل ذلك وغيره من الظروف النفسية والاجتماعية والسياسية، جعلت الدور الرسالي والحضاري للإمام زين العابدين، عليه السلام، يتخذ منحى جديداً في قيادة الامة، تميّز بالهدوء والسكينة، مباشرةً بعد عاصفة النهضة والشهادة. فكان الدعاء والبكاء[٢].

---

[١] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: ١/ ٧٢.

[٢] الامام السجّاد (عليه السلام) البكاء والدعاء عوامل لإصلاح النفوس، محمد علي جواد تقي،٤٠٩١/https://www.annabaa.org/arabic/ahlalbayt

إن مرويات الصحيفة السجادية قد اشتملت على ضروب من المعارف، والتي إذا ما التمسها أو تذوقها القارئ يجد نفسه امام بحر كبير من المعارف التي ترسم للإنسان مسيرة حياته، وتقربه من الله عز وجل، فالملحوظ فيها هو نسبة المعلولات الى علتها، وهو الله عز وجل، لتعزيز هذا الامر في نفس الانسان، وخاصة بعد ان تذعن نفسه بأن كل هذه المعلولات ترجع الى الله عز وجل، فاشتمال الادعية على هذه الانماط من المعارف والعلوم يقوي يقين السالك واستشعاره الى تلك العلة المسيطرة على هذا الكون.

أضف على ذلك ان هذه الادعية التي أُثرت عن الامام السجاد نجد أنها بينت منازل السائرين الى الله وخصوص في المناجاة الخمس عشرة، فهي لم تكن اعتباطية، أو من غير قصد، فقد ذكرها الامام عليه السلام لتأسيس منهج تربوي للعباد، لمعالجة العيوب التي تعتري النفس الانسانية، فكل واحد من تلك المناجاة تعالج ثغرة من الثغرات التي يخرج منها ابليس على النفوس فيقهرها.

وكان المحور الآخر والاساس الذي بينته هذه المنظومة المعرفية التي أسسها الامام عليه السلام، هو تعريفه بالعدو الازلي والقديم، فمن خلال النظرة الاولى لمرويات الامام يظهر لنا كيف ان الامام حث وحذر، وبين اساليب التعامل مع هذا العدو الذي يحتاج الى العدة والاستعداد والمرابطة المستمرة، ومرابطته تختلف عن مرابطة العدو الخارجي، إذ مرابطته تحتاج الى عدم الغفلة دوما.

الفصل الثاني

تزكية النفس الإنسانية من منظور الإمام السجاد (عليه السلام)

المبحث الاول

الاطار النظري لمفاهيم البحث واهمية تزكية

المطلب الاول: معنى مفردات العنوان.

أولا: الاسس لغة واصطلاحا.

الاسس لغة: الاسس جمع أس وهو ما يقوم عليه غيره من بناء[١]، فبعدمه العدم، ووجوده لا يلزم وجود ما يقوم عليه، فهو يحدد نوع البناء وقوته، وقد ذهب ابن فارس الى انه يدل على ما ثبت من الاشياء وتوطد[٢].

ومن خلال الحيثيتين التي ذكرتا من قِبل الخليل، وابن فارس، نستطيع ان نقول: انه ما ثبت وتوطد لبناء غيره عليه.

الاسس اصطلاحا: هو مجموعة مفاهيم مستوحاة من مرويات اهل البيت عليهم السلام تعد قاعدة لبناء الانسان والانطلاق به الى اعلى مراتب الرقي الانساني.

ثانيا: معنى المنهج لغة واصطلاحا.

المنهج لغة: المنهج من نهج، وهو الوضوح والاتساع، ويقال طريق نهج أي واضح[٣]. الا ان ابن فارس اطلقه على الطريق فقال"النهج الطريق"[٤]. والذي عليه اليوم المعاجم انه الطريق.

---

[١] كتاب العين، الفراهيدي: ٧/ ٣٣٤.

[٢] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: ١/ ١٤.

[٣] كتاب العين، الفراهيدي: ٣/ ٣٩٢.

[٤] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٥/ ٣٦١.

المنهج اصطلاحا: هو الطريق الذي يتبع إجرائيا للوصول بالإنسان الى أسمى مراتب الانسان الكامل.

ثالثا: معنى التزكية لغة واصطلاحا.

التزكية لغة: اختلف في دلالتها فمنهم من قال: إن زكا هو الطهارة، ومنهم من قال: هو النماء[1]، اذ يراد به مطلق الانماء وتكون بحسب القيد الذي تضاف له، وذكر ابن منظر معنى آخر وهو الصلاح. وذهب السيد حسن مصطفوي الى أن اصله ليس النماء، وانما هو تنحية كل ما يلزم تنحيته[2].

اقول ان معنى التزكية من خلال ما تقدم يتفق كثيرا مع الصلاح؛ لان كل المعاني التي ذكرت تتفرع عنه.

التزكية اصطلاحا: لا يبتعد المعنى الاصطلاح عن المعنى اللغوي المختار إذ المراد منه اصلاح الانسان نفسه وتوجيهها الى ما يسمو بها ويرفعها.

رابعا: معنى النفس لغة واصطلاحا.

النفس لغة: جاء في لسان العرب ان النَّفْسَ في كلامِ العَرَبِ يَجْرِي على نحوين:"أَحَدُهما قولُك: خَرَجَتْ نَفْسُه أَي رُوحُه، الآخر: مَعْنَى النَّفْسِ فيه جُملةُ الشْيءِ وحقِيقتُه أو ذاته"[3].

ووقع تسامح في استعمال النفس عند الاعلام، فقد أطلقوها على الروح، وأطلقوا النفس على الروح، واستعملوا أحدهما مكان الاخرى، على حين نجد

---

(1) كتاب العين، الفراهيدي: ٥/ ٣٩٤.

(2) التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوى، ط١، ١٣٩٣هـ: ٤/ ٣٣٧.

(3) لسان العرب، ابن منظور: ٦/ ٢٣٣.

ان نفس تغاير الروح. وإنْ ذهب بعض الى أنهما مترادفان، مثل أبي بكر بن الأنباري: إذ قال الرُّوح والنَّفس واحِدُ، غيرَ أن الرُّوح مذكَّر والنفس مؤنثة عند العرب[1].

النفس اصطلاحا: ان النفس تختلف عن الروح فهي القوة المريدة في الجسم والمختارة ولها شهوات ورغبات وهي التي تحاسب وتعاتب وعليه ظاهر النص القرآني وهي التي تقبض عند النوم، وهي التي تكتسب الحسنات والسيئات، وهي التي تُأمر وتنهى، أما الروح فهي ما يقوم بها البدن وهي اشبه بالكهرباء المحركة للجسد، وهي لا تغادر الجسد الا عند الموت ولم يعاتب القرآن أو يوبخ الروح، وانما كان الكلام كله للنفس.

فهي غير العقل، وغير الروح، وهي تنتج من اجتماع الروع بالجسد، وهي التي تعرف بـ(الانا). فهي صاغية للعقل وتوجه البدن فان كان اصغاؤها حق فان تصرفها يكون حق، وان لم تمتثل للعقل كانت موجهة للبدن الى الهلاك.

خامسا: معنى تزكية النفس كمصطلح.

من خلال مراجعة القرآن الكريم نجد أن مصطلح تزكية النفس مصطلح قرآني قد ورد في اكثر من آية، منها قوله تعالى: **﴿أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشاءُ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقى﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها﴾**[4].

---

[1] لسان العرب، ابن منظور: ٢/ ٤٦٢.

[2] سورة النساء، الآية: ٤٩.

[3] سورة النجم، الآية: ٣٢.

[4] سورة الشمس، الآية: ٩.

فوجدت تعاريف كثيرة لهذا المصطلح، ولكن قد كفانا السيد محمد باقر السيستاني دام عزه في تعريف تزكية النفس بتعريف قد جمع ما كان يجول في الذهن وهو:"تخليص الانسان نفسه من الحواجز النفسية التي تحول دون تدفق المشاعر الحكمية المناسبة لعلومه وادراكاته الذهني"[1].

فان قوام التزكية يقوم على نوع المُدرك وفهمه، والتصرف على وفق اهمية المُدرك وخطورته، فالإنسان عندما يدرك أن في الحجرة عقربٌ فانه يجب أن يتصرف مع ذلك الادراك بما بتناسب معه، وإلا اعاب عليه العقلاء تجاهله لذلك الادراك، فان قدرة الانسان على تجاوز الحواجز التي تمنع سريان الادراك يعد فتحا؛ لأنه بدا بعملية واعية في النزوع الايجابي عن الرغبات والميول التي تزاحم الإدراك.

المطلب الثاني: فائدة معرفة النفس.

ان الديانات السماوية تُجمِع بعد التوحيد على امر واحد وهو تزكية النفس، فهي مدار بعثة الانبياء، ورسالتهم التي جاهدوا في ارسائها.

وللتزكية فوائد معنوية ومادية لا يمكن ان تنكر من خلال تتبع النصوص القرآنية والروائية، وبما انا قيدنا بحثنا في خصوص مرويات الامام زين العابدين عليه السلام يمكن أن نصور هذه الفوائد بالنقاط الآتية:

ان تزكية النفس طريق الى نيل حب الله عز وجل، والفوز بالدارين قال الامام السجاد عليه السلام: (إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا، وَ إِنَّ أَعْظَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَمَلًا أَعْظَمُكُمْ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ رَغْبَةً، وَ إِنَّ أَنْجَاكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَشَدُّكُمْ خَشْيَةً لِلَّهِ وَ إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنَ اللَّهِ أَوْسَعُكُمْ خُلُقاً وَ إِنَّ أَرْضَاكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَسْبَغُكُمْ عَلَى عِيَالِهِ،

[1] اصول تزكية النفس وتوعيتها، محمد باقر السيستاني، دار المؤرخ العربي، د. ط، ٢٠١٨م: ١/ ٤٣.

وَ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَلَى اللَّهِ أَتْقَاكُمْ لِلَّهِ)[1]ان تزكية النفس اساس كل خير، قَالَ السجاد عليه السلام: (الْخَيْرُ كُلُّهُ صِيَانَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ)[2]، فالحديث ظاهر في ان صيانة النفس عن الهوى واتباع سبل الصلاح فيه كل الخير والالف واللام في الخير دلالة على العموم. وقال عليه السلام في حديث آخر قريب من هذا المعنى: (ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ، وَمَا كَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ، وَمَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَاراً، وَالْحَذَرُ لَكَ دِثَاراً، ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَيِّتٌ، وَمَبْعُوثٌ، وَمَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابا)[3] تجنب المعاصي، والفوز برضى الله عز وجل، قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (الْعَقْلُ دَلِيلُ الْخَيْرِ وَالْهَوَى مَرْكَبُ الْمَعَاصِي)[4]، إذ من يتجنب الهوى فلا يركب المعاصي، وهو دلالة باللازم فان من لجم هواه بعقال التدبر فلا يركب المعاصي .من آثار التزكية أن الله تعالى: يمنحه الطافه، ويسخر له الكون وما فيه، ويجع غناه في نفسه، فعَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ، عَنْ زَيْنِ الْعَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يَقُولُ: وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي وَجَلَالِي وَبَهَائِي وَعُلُوِّي وَارْتِفَاعِ مَكَانِي لَا يُؤْثِرُ عَبْدٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ إِلَّا جَعَلْتُ هَمَّهُ فِي آخِرَتِهِ وَغِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَكَفَفْتُ عَلَيْهِ صَنِيعَتَهُ وَضَمَّنْتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ رِزْقَهُ وَآتِيهِ [أَتَتْهُ] الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)[5]وقال عليه السلام: (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا)، وَ قِيلَ لَهُ: (مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ خَطَراً؟ فَقَالَ عليه السلام: مَنْ لَمْ يَرَ

---

[1] تحف العقول، النص: ص٢٧٩.

[2] المصدر نفسه ص٢٧٨.

[3] تحف العقول، النص: ص٢٨٠.

[4] إرشاد القلوب إلى الصواب، حسن بن محمد ديلمي (ت: ٨٤١ق)، تحقيق وتصحيح: ندارد، الناشر: الشريف الرضي، قم - إيران، د. ط، د. ت: ١/ ٥٩.

[5] ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، النص: ص١٦٨.

الـدُّنْيَا خَطَـراً لِنَفْسِـه)[1] التزكيـة دليـل علـى الـذنوب، فبهـا يتجنـب الوقـوع بالـذنوب، يقـول الامـام السـجاد عليـه السـلام: (إذا نصـح العبـد لله فـي سـرّه أطلعـه الله علـى مسـاوئ عملـه، فتشـاغل بذنوبـه عـن معايـب النـاس[2] فالـذي يتأمـل يجـد أنَّ ارشـاد الله عـز وجـل لـه الـى عيوبـه وفعالـه السـيئة مـن الـنعم العظـام والتوفيـق؛ لان التعـرف الـى مـا لا يريـده الله لـيس متـاح لكـل انسـان .ان العمـل خـلاف التزكيـة مضـر للـدين وممحـق لـه، وان قيمـة المـرء بدينـه قـال الامـام السـجاد عليـه السـلام: (فَـاتَّقُوا اللَّهَ وَ اتَّعِظُـوا بِمَـوَاعِظِ اللَّهِ وَ مَـا أَعْلَـمُ إِلَّا كَثِيـراً مِـنْكُمْ قَـدْ نَهَكَتْـهُ عَوَاقِـبُ الْمَعَاصِـي فَمَـا حَـذَرَهَا وَ أَضَـرَّتْ بِدِينِـهِ فَمَـا مَقَتَهَـا)[3] التزكيـة طريـق الـى التطهيـر مـن الـذنوب، ومعـراج السـالك، قـال الامـام السـجاد عليـه السـلام: (وأن نتقـرب إليـك فيـه مـن الاعمـال الزاكيـة بمـا تطهرنـا بـه مـن الـذنوب .(التزكيـة اسـاس قبـول الاعمـال، فمـن لـم تكـن نفسـه طـاهرة فـان مـا يـأتي بـه مـن اعمـال لا يقبـل منـه، قـال الامـام السـجاد عليـه السـلام: (ولا تحـبط حسـناتي بمـا يشـوبها مـن معصـيتك)[4] ان العاقبـة الحسـنة هـي مصـير مـن زكيـت نفسـه وطابـت قـال الامـام عَلِـي بْـنِ الْحُسَـيْنِ عليـه السـلام قَـالَ: (طُـوبَى لِمَـنْ طَـابَ خُلُقُـهُ وَطَهُـرَتْ سَـجِيَّتُهُ وَحَسُـنَتْ عَلَانِيَتُـهُ وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ وَأَنْصَفَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ) [5].

---

[1] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٧٥/ ١٣٥.

[2] بلاغـة الإمـام علـي بـن الحسـين عليـه السـلام المؤلـف، جعفـر عبـاس الحـائري، تحقيـق: جمـع وتحقيـق: جعفـر عبـاس الحـائري، طبـع ونشـر: دار الحـديث للطباعـة والنشـر، ط١، ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش: ص١٦٧.

[3] تحف العقول، النص: ص٢٧٣.

[4] الصحيفة السجادية: ص ٢٣٢.

[5] أعـلام الـدين فـي صـفات المـؤمنين، الحسـن بـن محمـد ديلمـي، مؤسسـة آل البيـت لإحيـاء التراث، د. ط، ٢٠١٦م: ص١١٩.

المطلب الثالث: مقومات تزكية النفس.

يجب توفر مجموعة من الامور حتى تتم عملية التزكية بنجاح وهذه الامور انتزعت من مرويات الامام السجاد ويمكن ان نوردها على شكل نقاط كالآتي:

موازنة وتحديد الامور المدركة واهميتها وخطورتها، والصدور والنزوع حسب ذلك الادراك اهمية وخطورة، وخصوصا فيما يتعلق بمصيرنا كبشر، فالإمام عليه السلام يحذر من الغفلة،كما في قوله: (وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ الْغَافِلَ وَ لَيْسَ مَغْفُولًا عَنْهُ إِنَّ أَجَلَكَ أَسْرَعُ شَيْءٍ إِلَيْكَ قَدْ أَقْبَلَ نَحْوَكَ حَثِيثاً يَطْلُبُكَ وَ يُوشِكُ أَنْ يُدْرِكَكَ فَكَأَنْ قَدْ أَوْفَيْتَ أَجَلَكَ وَ قَدْ قَبَضَ الْمَلَكُ رُوحَكَ وَ صُيِّرْتَ إِلَى قَبْرِكَ وَحِيداً)[1].

فان من ادرك ان الموت يطلبه يقتضي منه كعاقل ان يتأهب ويأخذ العدة للاستعداد لذلك اليوم، فان الادراك يحرك المرء العاقل على مقتضى اهمية وخطورة المدرك والا كان كالبهيمة او اضل سبيلا، فقال الامام السجاد عليه السلام في هذا المعنى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَوْ حَبَسَ عَنْ عِبَادِهِ مَعْرِفَةَ حَمْدِهِ عَلَى مَا أَبْلَاهُمْ مِنْ مِنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَ أَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَ تَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ:**﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾**[2][3].

---

[1] تحف العقول، النص: ص ٢٤٩.

[2] سورة الفرقان، الآية: ٤٤.

[3] الصحيفة السجادية: ص٢٨.

فلذلك تختلف محاسبة من ادرك عمن لا يدرك، قال الامام السجاد عليه السلام: (إِذَا عَصَانِي مَنْ يَعْرِفُنِي سَلَّطْتُ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَعْرِفُنِي)[1].

الشوق الى بلوغ الغاية الاسمى في الكمال الانساني، والسعي الجاد والحثيث اليها، والا مجرد الاماني لا تنال بها أي رغبة او دعوى، فجميل ما رسمه الامام بريشة العاشق الولهان بأبهى الون الحب السرمدي إذ يقول: (إِلَهِي فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَوَشَّحَتْ أَشْجَارُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِمْ وَ أَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ إِلَى أَوْكَارِ الْأَفْكَارِ، يَأْوُونَ وَ فِي رِيَاضِ الْقُرْبِ وَ الْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُونَ وَ مِنْ حِيَاضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُونَ[2]. تحديد الهدف: ان اساس التزكية مرتبط ارتباطا مباشر بالغاية التربوية والكون في ركب العبيد، فعند تخلف هذا الشرط فان عملية التزكية تسقط من رأس، ولا يبقى لصاحبها الا التعب والحسرة والندامة، فالذي يتأمل قوله تعالى: يعرف ان اساس المجاهدة هو في الله وفي سبيله، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا وَ إِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**[3] فليحذر من طلب بالتزكية الرياء والسمعة، أو ارد منها المكاشفات والخوارق وقراءة الافكار وغيرها مما يرجوه من لا عقل له منها، فانه مصيره الانكشاف والوقوع وانها لا تؤتي ثمارها، فالمطالبة بالحظوظ النفسية فليس هذا سلوك حق. الصبر والتحمل: عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام:"لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ عليه السلام الْوَفَاةُ ضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ يَا بُنَيَ أُوصِيكَ بِمَا أَوْصَانِي بِهِ أَبِي

---

[1] إرشاد القلوب إلى الصواب، للديلمي: ١/ ٨٣.

[2] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٥٠.

[3] سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، وَبِمَا ذَكَرَ أَنَّ أَبَاهُ أَوْصَاهُ بِهِ يَا بُنَيَّ اصْبِرْ عَلَى الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً"[١]

وقال عليه السلام:"الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ وَلَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا صَبْرَ لَهُ"[٢]، وقال عليه السلام:"الصَّبْرُ وَالرِّضَا عَنِ اللَّهِ رَأْسُ طَاعَةِ اللَّهِ وَمَنْ صَبَرَ وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ فِيمَا قَضَى عَلَيْهِ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ لَمْ يَقْضِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ فِيمَا أَحَبَّ أَوْ كَرِهَ إِلَّا مَا هُوَ خَيْرٌ لَهُ"[٣]. ومما ضرب مثالا للصبر من سيرة الامام السجاد عليه السلام أنَّ خادما للإمام اسْتَعْجَلَ"فَأَخْرَجَ شِوَاءً مِنَ التَّنُّورِ وَأَقْبَلَ الْخَادِمُ عَجِلًا وَ بِيَدِهِ السَّفُّودُ وَ بَيْنَ يَدَيْ عَلِيٍّ وَلَدٌ لَهُ صَغِيرٌ فَسَقَطَ السَّفُّودُ عَلَى الصَّغِيرِ فَنَشَّ وَ مَاتَ فَبُهِتَ الْخَادِمُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ عليه السلام وَ قَالَ: أَنْتَ لَمْ تَتَعَمَّدْ هَذَا أَنْتَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللَّهِ تعالى: ثُمَّ أَمَرَ بِمُوَارَاةِ الْوَلَدِ"[٤]، ففي هذا المورد المفزع الذي يذهل العقل عند كل ابٍ عطوف، نجد ان الامام قد حزم كل مشاعره وربطها بحبل التعقل،ثم اخجل العقلاء بتحريره ذلك العبد فسلام عليك ياسيدي يا جبل الصبر.

اتباع المنهج الصحيح والتخطيط المنهجي السليم: ان سبل النجاح في كل جوانب المعرفة مقرون بالتخطيط المنهجي، فكذلك تزكية النفس، فلا يمكن ان تصل الى المستوى المرجو ما لم تتم على منهج صحيح يكفل لنا الوصول الى الله عز وجل، وفي معرفة النفس هناك مناهج كثيرة، بعضها صحيح، وبعضها غير صحيح، وتكمن الخطورة في ان السير على وفق المنهج الخاطئ

---

[١] اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ – ٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م: ٢/ ٩١.

[٢] المصدر نفسه: ٢/ ٨٩.

[٣] اصول الكافي، الكليني: ٢/ ٦٠.

[٤] العدد القوية لدفع المخاوف اليومية: ص٣١٩.

تزيد الانسان بعدا عن الله كلما ابتعد فيه عن نقطة الشروع، ولا بد لمن ارد خوض هذا المضمار ان يلجه من بابه وسبله، التي اسسها اهل البيت عليهم السلام، وقد بين الامام السجاد عليه السلام هذا من خلال ما يرويه عن موسى النبي عليه السلام:"اذ مرَّ برجل يدعو وهو رافع يديه إلى السماء يدعو، فغاب في حاجته سبعة أيّام، ثمّ رجع إليه وهو رافع يده إلى السماء يدعو فقال: يا ربّ، هذا عبدك رافع يديه إليك يسألك حاجة ويسألك المغفرة منذ سبعة أيّام لا تستجيب له!! قال: فأوحى الله إليه: يا موسى، لو دعاني حتّى تسقط يداه أو تنقطع يداه أو ينقطع لسانه لم أستجب له حتّى يأتيني من الباب الذي أمرته"[1] إذ حبست الاجابة لعدم اتباع المنهج الذي يريده الله عز وجل، فالتزكية يجب ان تقوم على منهج علمي صحيح، كما ان لا نغفل انه لا منهج من دون التسديد وطالما كان الامام يسأل الله عز وجل التسديد والهداية والاخذ باليد لطريقة النجاة، فكان من دعائه:"وَاهْدِنَا لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِ يَا رَبِ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيم"[2] التطبيق العملي: ان العلوم الانسانية على ضربين: احدهما العلوم النظرية، والآخر العلوم التطبيقية، فالأول منهما ما يحصل بالفكر والنظر، والآخر ما يكون وجوده في عالم الخارجي، فالتزكية من العلوم التي لها الحيثيتان، فله مستوى نظري وهو ما يقرره العقل النظر، والآخر ما يقرره العقل العملي، فالاول يقرر ما يجب ان يُعلم والثاني يقرر ما يجب ان يُعمل، فالتزكية غايتها العمل، قال الامام السجاد عليه السلام:"يَا ابْنَ آدَمَ ارْضَ بِمَا آتَيْتُكَ تَكُنْ مِنْ أَزْهَدِ النَّاسِ، ابْنَ آدَمَ اعْمَلْ بِمَا افْتَرَضْتُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَعْبَدِ النَّاسِ ابْنَ آدَمَ اجْتَنِبْ مِمَّا حَرَّمْتُ عَلَيْكَ تَكُنْ مِنْ أَوْرَعِ النَّاس"[3]. يجب ان

---

[1] الجواهر السنية في الأحاديث القدسية كليات حديث قدسي: ص١٤٢.

[2] إقبال الأعمال، ط – القديمة: ١/ ١٤٦.

[3] تحف العقول، النص: ص ٢٨١.

يرافق جميع ما تقدم، وهو ما لا تنفك عنه جميع مراتب عملية التزكية وهو الاقتداء باهل البيت عليهم السلام والاعتقاد بمنزلتهم، وانهم باب لكل توفيق وهذا ما نجده واضحة وسمة بارزة في ادعية الامام السجاد اذ حاول ان يبين مكانتهم، وانها انتقال في ادعية أهل البيت اذ توجهت الى التوسل وبيان مكانتهم وهذا ما نجده واضحة وسمة بارزة في ادعية الامام السجاد اذ حاول ان يبين مكانتهم، إذ انها انتقال في ادعية أهل البيت عليهم السلام وجاءت هذه عقيب فاجعة كربلاء وبعد التجري على اهل البيت عليهم السلام، فكانت تأسيسا لإرجاع الامور الى نصابها من خلال تأكيد الامام السجاد عليه السلام على أهل البيت عليهم السلام في جل ادعيته ان لم نقل باجمعها، وانه عليه السلام جعل ذلك ميدانا تطبيقيا لكل ما اورده، فقد توسل في أكثر من ٤٠٠ مورد من خلال بمحمد صلى الله عليه واله وسلم .المبحث الثاني: الاسس المنهجية النظرية لتزكية النفس.

المبحث الثاني

تزكية النفس الإنسانية

المطلب الأول: معرفة النفس.

ان معرفة الانسان بنفسه من أهم اسس عملية تزكية النفس؛ لأنها بمقام العملية التربوية لها، وان أي عملية تربوية لا تتم الا بمعرفة المربي بحقيقة وطبائع من يريد تربيته، كما أنها من اصعب المراحل التي يمر بها السالك هو معرفة النفس؛ لما لها من جهات متعددة، ومراتب مختلفة، ولطالما نجد ان الامام السجاد يشكو الى الله النفس، فهذا خير دليل على عظيم خطرها، ولمعرفة النفس لا بد من المرور على النفس في القرآن الكريم من خلال مراجعة ما كتبه المفسرون حولها، ففي تفسير قوله تعالى:"وَ نَفْسٍ وَ ما سَوَّاها"[1]، نعرف سبب عدّ النفس هي الاصل الاول في عملية التزكية؛ لان الغاية من اصل الخلق والتسوية بنظام متقن للنفس الملهمة هو الوصول الى التزكية[2]، ثم ان الله عز وجل قدم لفظ (النفس) على مسوّيها لحكمة دقيقة بينها الامام علي عليه السلام بقوله:"مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ"[3]، كما ان الامام السجاد عدَّ النفس هي اعدى الاعداء فقال:"وَاللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ لِلْأَنْفُسِ فَهِيَ أَعْدَى الْعَدُوِّ لَكُمْ فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تعالى:**﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا ما رَحِمَ رَبِّي﴾**[4] وَ إِنَّ أَوَّلَ الْمَعَاصِي تَصْدِيقُ النَّفْسِ وَ الرُّكُونُ إِلَى الْهَوَى"[5].

---

[1] تحف العقول، النص: ص ٢٨١.

[2] ينظر: الميزان في تفسير القرآن الطباطبائي: ٢٠/ ١٤٨.

[3] عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، ط١، د. ت: ص٤٣٠.

[4] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[5] دعائم الإسلام: ٢/ ٣٥٢.

ومن هنا ارتأى الباحث تقديم اصل معرفة النفس حتى يكون الانسان على معرفة تامة بها، ويصونها عما يخرجها من حد الانسانية الى حد البهيمية[1]، كما يجب ان نعرف ان النفس لها قدرة فطرية في معرفة التقوى والفجور، بل ان لها شأن قانوني معتبر عن خالقها من حيث التنجيز والتعذير، وهذا صريح الكتاب الكريم وكما قال تعالى:**﴿بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصيرَة﴾**[2]، وعندما بيّن اهل البيت عليهم السلام هذه الآية المباركة كانت لهم وقفات معها حول كيفية امتثال الانسان التكاليف الموجه اليه، وكيف يحدد موقفه العملي اتجاهها، وكيف انها اوكلت الى الانسان اعترافا بتلك القوة الموجودة عند الانسان في تحديد ما هو الواقع، فمثلا عندما سئل الامام ابو عبد الله عليه السلام"عَنِ الْخَفْقَةِ وَ الْخَفْقَتَيْنِ؟ فَقَالَ: مَا أَدْرِي مَا الْخَفْقَةُ وَ الْخَفْقَتَانِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:"بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"[3]، فاوكل الامر الى النفس في معرفة ذلك.

وأخرى يحيل الامام ابو عبد الله عليه السلام الامر الى النفس في تحديد الموقف العملي إذ قال:"إِمَا حَدُّ الْمَرَضِ الَّذِي يُفْطِرُ فِيهِ صَاحِبُهُ وَ الْمَرَضِ الَّذِي يَدَعُ صَاحِبُهُ الصَّلَاةَ قَائِماً قَالَ:"بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ"وَ قَالَ: ذَاكَ إِلَيْهِ هُوَ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ"[4].

إن تركيبة النفس تقتضي منا معرفة تامة حتى نستطيع التعامل معها وسياستها على الوجه الذي يضمن لنا السلامة في الدارين، فكلما كان الانسان على معرفة بمركبه الذي يسافر فيه كلما كان اجتيازه الطريق بسهولة ويسر،

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٢٨.

[2] سورة القيامة، الآية: ١٤.

[3] اصول الكافي، الكليني: ٢، ٣٧.

[4] المصدر نفسه: ٤/ ١١٨.

قال الامام علي عليه السلام:"إِنَ نَفْسَكَ مَطِيَّتُكَ إِنْ أَجْهَدْتَهَا قَتَلْتَهَا وَ إِنْ رَفَقْتَ بِهَا أَبْقَيْتَهَا، إِنَّكَ إِنْ أَخْلَلْتَ بِهَذَا التَّفْسِيمِ فَلَا تَقُومُ فَضَائِلُ تَكْسِبُهَا بِفَرَائِضَ تُضَيِّعُهَا"[1]. فلنرجع الى النفس الانسانية ونلاحظ مم تتكون، وكيف تتحرك، وما هي اهم خصائصها التي يجب ان نعرفها وهذه الامور يمكن ان نصورها بما يأتي:

اولا: مِمَّ تتكون النفس الانسانية.

النفس حقيقة واحدة، وليست متعددة الاجزاء، لكن لها ابعاد مختلفة، والناظر اليها من جهات متعددة يحسبها خليط من الكمال ويتجسد بالعلم والادراك، وجهة نقص متجسدة بالشهوة والغضب، ومحل للانفعالات الادراكية ومحل للانفعالات غير الادراكية، ويراها مطمئنة من جهة، واخرى يراها امارة، وأخرى يراها لوامة، واخرى يراها مسوّلة، وهكذا، لكن حقيقة الامر ان النفس هي حقيقة واحدة كما تقدم، وان الله سواها بنظام متقن ملهم بالتقوى والخير.

ثانيا: كيف تتحرك النفس.

يصور احد العلماء حركتها من خلال وجود جيشين جيش للعقل، وجيش للنفس، فعندما يريد الانسان ان يتصرف ازاء مسألة ما تحصل هناك معركة بين هذين الجيشين فايهما انتصر كان السلوك والتصرف ازاء تلك القوى المنتصرة[2]، وطبيعي ان هذا بمرور الزمن يصبح طبيعيا؛ لان احتلال قلاع الخير من قبل جنود الشر يسبب استسلام جنود الخير وخنوعهم وعدم

---

[1] عيون الحكم والمواعظ لليثي: ص ١٥٥.

[2] جنود العقل والجهل، الإمام الخميني، منشورات مؤسسة الأعلمي للنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م: ص ٣٠.

تصديهم لاي عملية تغيير، فهذا تقريب، لحركة النفس، فلذلك نجد كل انسان لم يصل الى معرفة النفس التامة يواجه اختلاجات في اي تصرف، بل نجد لديه اقدام واحجام في ما يريد ان يفعله، وهذا قد مرَّ به كل منا، فمن خلال السيرة العقلائية نجد ان السحرة عندم ايقنت انفسهم ان ما جاء به موسى عليه السلام ليس سحرا كانت ردة فعلهم غير مسبوقة او مقرونة بأي اختلاج او تردد، فهذا يحتاج منها ان نلاحظ هذا في انفسنا وكيف تكون حالنا عند اي تصرف ازاء اي مسألة حتى نتأكد من هذه الدعوى.

ثالثا: خصائص النفس.

تميزت النفس الانسانية بمجموعة من الخصائص، صورها الامام السجاد عليه السلام بأروع صور البيان الادبي، إذ يقول:"إِلَهِي إِلَيْكَ أَشْكُو نَفْساً بِالسُّوءِ أَمَّارَةً، وَ إِلَى الْخَطِيئَةِ مُبَادِرَةً، وَ بِمَعَاصِيكَ مُولَعَةً، وَ بِسَخَطِكَ مُتَعَرِّضَةً، تَسْلُكُ بِي مَسَالِكَ الْمَهَالِكِ، وَتَجْعَلُنِي عِنْدَكَ أَهْوَنَ هَالِكٍ، كَثِيرَةَ الْعِلَلِ، طَوِيلَةَ الْأَمَلِ، إِنْ مَسَّهَا الشَّرُّ تَجْزَعُ، وَإِنْ مَسَّهَا الْخَيْرُ تَمْنَعُ، مَيَّالَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ، مَمْلُوَّةً بِالْغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، تُسْرِعُ بِي إِلَى الْحَوْبَةِ، وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ"[1]، ويمكن جعل الخصائص المتقدمة على شكل نقاط كالآتية:

انها تأمر بالسوء وتسوّل له، وان الامام وظف النص القرآني في انتزاع هذه الصور من قوله تعالى:**﴿وَ جاؤُ عَلى قَميصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾**[2]. وهذا يقتضي نظريا الحذر كل الحذر من تسويلها؛ لانَّه سهم من سهام الشيطان على مرِّ العصور. ان النفس مسوفة، من الامور الخطيرة

---

[1] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤٣.

[2] سورة يوسف، الآية: ١٨.

التي تنتهجها النفسُ في تسكين واعية العقل التسويف بل تجعله مخدرا، ولا يلحظ ذلك الا بعد فوات الاوان، وتسويفها على نحوين:

احدهما: تسويف العمل يقول الامام السجاد عليه السلام:"فَقَدْ أَفْنَيْتُ بِالتَّسْوِيفِ وَ الْآمَالِ عُمُرِي"[1].

الآخر التسويف في التوبة: يقول الامام السجاد عليه السلام"وَتُسَوِّفُنِي بِالتَّوْبَةِ"[2].

انها ميالة الى اللعب. قابلة للاستعمال المتعدد، فلذا قال الامام زين العابدين:"وَحَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَل"[3] وفي قبال ذلك ممكن ان تستعمل في غير طاعة الله، فيجب الحذر من هذه القابلية .انها متحسرة قال الامام زين العابدين عليه السلام:"من لم يتعزّ بعزاء الله تقطعت نفسه على الدنيا حسرات [4]. "انها خدوع يقول الامام:"إِنَ نَفْسَكَ لَخَدُوعٌ إِنْ تَثِقْ بِهَا يَقْتَدِكَ الشَّيْطَانُ إِلَى ارْتِكَابِ الْمَحَارِمِ[5]".

وهناك كثير من الصفات التي ذكرها الامام صراحة في الدعاء المتقدم.

وقد جمع حديث الاسراء والمعراج للرسول الاكرم هذه الامور:"يَا أَحْمَدُ.... إِنَّ النَّفْسَ مَأْوَى كُلِّ شَرٍّ وَ رَفِيقُ كُلِّ سُوءٍ تَجُرُّهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ تَجُرُّكَ إِلَى مَعْصِيَتِهِ وَ تُخَالِفُكَ فِي طَاعَتِهِ وَ تُطِيعُكَ فِيمَا تكره [يَكْرَهُ] وَ تَطْغَى

---

[1] مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٢/ ٥٩١.

[2] بحار الأنوار، ط - بيروت: ٩١/ ١٤٣.

[3] من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٩.

[4] الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ص ٣٦٤.

[5] عيون الحكم والمواعظ لليثي: ص١٥١.

إِذَا شَبِعَتْ وَ تَشْكُو إِذَا جَاعَتْ وَ تَغْضَبُ إِذَا افْتَقَرَتْ وَ تَتَكَبَّرُ إِذَا اسْتَغْنَتْ وَ تَنْسَى إِذَا كَبِرَتْ وَ تَعْفُلُ إِذَا آمَنَتْ وَ هِيَ قَرِينَةُ الشَّيْطَانِ وَ مَثَلُ النَّفْسِ كَمَثَلِ النَّعَامَةِ تَأْكُلُ الْكَثِيرَ وَ إِذَا حُمِلَ عَلَيْهَا لَا تَطِيرُ وَ كَمَثَلِ الدِّفْلَى لَوْنُهُ حَسَنٌ وَ طَعْمُهُ مُرٌّ يَا.."[1].

المطلب الثاني: الاصل الثاني في تزكية النفس معرفة الله تعالى.

بعد ان تعرفنا على الاصل الاول وهو معرفة النفس، الذي به يترقى الانسان في التزكية نأتي لبيان الاصل الثاني، اذ الاخلاق وحدها لا تفي بالغرض يقول السيد الطباطبائي:"الأخلاق لا تفي بإسعاد المجتمع، ولا تسوق الانسان إلى صلاح العمل الا إذا اعتمدت على التوحيد، وهو الايمان بأن للعالم ومنه الانسان الها واحدا سرمديا لا يعزب عن علمه شيء، ولا يغلب في قدرته عن أحد خلق الأشياء على أكمل نظام لا لحاجة منه إليها وسيعيدهم إليه فيحاسبهم فيجزى المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بإساءته ثم يخلدون منعمين أو معذبين"[2].

فالمعرفة بالله عز وجل كلما اتسعت كلما كان صدور الانسان عن تلك المعرفة منضبطا وممنهجا ووفق تعاليم الله عز وجل واحكامه، والمعرفة في اعتقادي يمكن ان نجعل لها حدود:

الاول: المعرفة القائمة على الحب:

فمن عرف الشيء على حد الحب كان مطيعا لمن يحب، قال الصَّادِق عليه السلام:"مَا أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ عَصَاهُ"ثُمَّ تَمَثَّلَ فَقَالَ:

---

[1] إرشاد القلوب إلى الصواب للديلمي: ١/ ٢٠١.

[2] تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د. ط، د. ت: ١١/ ١٥٧.

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ

هَذَا مُحَالٌ فِي الْفِعَالِ بَدِيعٌ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ

إِنَّ الْمُحِبَ لِمَنْ يُحِبُ مُطِيع [١].

فهذا الامام السجاد عليه السلام نلاحظه قد جعل من الحب شراعا لقارب الامل، في بحر الاهواء المضطرب معلقا آماله بذلك الحب، فنراه وهو يخاطب الله تعالى: بهذه الكلمات الجميلة، التي تبعث الاطمئنان في النفوس إذ يقول:"يَا غَايَةُ آمَالِ الْمُحِبِّينَ أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَ حُبَ مَنْ يُحِبُّكَ وَ حُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ، وَ أَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ وَ أَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِداً إِلَى رِضْوَانِكَ وَ شَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِداً عَنْ عِصْيَانِك"[٢].

فمن الاثار المترتبة على المحبة ان المُحب لا يبتغي بديلا عن المحبوب، وهو عين ما قرره الامام السجاد عليه السلام إذ يقول:"إِلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلَاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلا"[٣].

كما نجد أنَّ الامام السجاد عليه السلام يبين لنا سلوك المحبين، الذين لا يثنيهم النصب والتعب، بل يكون محبوبا لهم؛ لأنه في سبيل الله، يقول الامام السجاد عليه السلام:"أَلْقَلْبُ الْمُحِبُ لِلَّهِ يُحِبُ كَثِيراً النَّصَبَ لِلَّهِ"[٤]. فهذا منهج يأسسه الامام لنا بأن ما كان من التكاليف والالتزامات والسلوكيات متعبا يجب ان نوطن أنفسنا على حبه؛ لأنه من الله عز وجل.

---

[١] الأمالي للصدوق، النص: ص ٤٨٩.

[٢] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤٩.

[٣] المصدر نفسه: ٩١/ ١٤٨.

[٤] مجموعة ورام: ٢/ ٨٧.

فالمحبة باعث الى احياء القلوب، الذي بدوره يجعل الافكار تكسر قيود التحجر، ونجد ان الامام رسم لنا هذا المعنى بريشة ذائب في حب الله عز وجل إذ يقول:"فَاجْعَلْنَا مِنَ الَّذِينَ تَوَشَّحَتْ أَشْجَارُ الشَّوْقِ إِلَيْكَ فِي حَدَائِقِ صُدُورِهِمْ، وَ أَخَذَتْ لَوْعَةُ مَحَبَّتِكَ بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ إِلَى أَوْكَارِ الْأَفْكَارِ يَأْوُونَ وَ فِي رِيَاضِ الْقُرْبِ وَ الْمُكَاشَفَةِ يَرْتَعُونَ، وَ مِنْ حِيَاضِ الْمَحَبَّةِ بِكَأْسِ الْمُلَاطَفَةِ يَكْرَعُونَ وَ شَرَائِعِ الْمُصَافَاةِ يَرِدُونَ"[1].

الثاني: المعرفة القائمة على أساس الخوف.

أما من عرف الشيء على حد الخوف كان منه على حذر شديد، فمن عرف الله كان احرى به ان يخشاه؛ لأنه شديد العقاب، وإنَّ الخوف يجب أنْ يكون حقيقيا لا مجرد تمظهر، وان له آثار خارجية تدفع الانسان عن هاوية المهالك، قَالَ سَيِّدُ الْعَابِدِينَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام:"وَلَيْسَ الْخَوْفُ مَنْ بَكَى وَ جَرَتْ دُمُوعُهُ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَعٌ يَحْجُزُهُ عَنْ مَعَاصِي اللَّهِ وَ إِنَّمَا ذَلِكَ خَوْفٌ كَاذِب"[2].

وحدود معرفة الله عز وجل عند الامام السجاد عليه السلام: هي "أَنْ يُعْرَفَ بِالْوَحْدَانِيَّةِ، وَ الرَّأْفَةِ، وَ الرَّحْمَةِ، وَ الْعِزَّةِ وَ الْعِلْمِ، وَ الْقُدْرَةِ، وَ الْعُلُوِّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَ أَنَّهُ النَّافِعُ الضَّارُّ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ، وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ، وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" [3].

---

[1] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٥٠.

[2] عدة الداعي ونجاح الساعي: ص١٧٦.

[3] اصول الكافي، الكليني: ٥/ ٣٦.

فهذه الحدود لو تمت بأدنى مستوى لكان العبد على حذر مع الله عز وجل، فبها أقرب ما يكون الى التزكية، والابتعاد عن كل ما لا يرضي الله عز وجل وهنا يذكر الامام ابيات تجمع هذا المعنى إذ يقول:

مَنْ عَرَفَ الرَّبَّ فَلَمْ تُغْنِهِ

مَعْرِفَةُ الرَّبِ فَذَاكَ الشَّقِيُ

مَا ضَرَّ فِي الطَّاعَةِ مَا نَالَهُ

فِي طَاعَةِ اللهِ وَمَا ذَا لَقِيَ

مَا يَصْنَعُ الْعَبْدُ بِغَيْرِ التُّقَى

وَالْعِزُّ كُلُّ الْعِزِّ لِلْمُتَّقِي[1].

ونلاحظ ان الخوف لا يتأتى بسهولة، وانما هناك مجموعة من الامور التي بتمامها يحصل الخوف، وهذا ما ذكره الامام السجاد عليه السلام بقوله:"وَأَسْأَلُكَ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمُبَارَكَاتِ تَوْفِيقَ أَهْلِ الْهُدَى، وَعَمَلَ أَهْلِ الْيَقِينِ، وَمُنَاصَحَةَ أَهْلِ التَّوْبَةِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الصَّبْرِ، وَعَزْمَ أَهْلِ الْخَشْيَةِ، وَشَوْقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَ طَلَبَ أَهْلِ الرَّغْبَةِ، وَ عِرْفَانَ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَ تَقِيَّةَ أَهْلِ الْوَرَعِ حَتَّى أَخَافَكَ اللَّهُمَّ مَخَافَةً تَحْجُزُنِي بِهَا عَنْ مَعَاصِيك"[2].

والمخافة التي نريدها في نهاية المطاف هي مخافة تحجزه عن المعاصي، فهذه كلها دروس مباشرة وغير مباشرة شرع الامام عليه السلام ان يبثها بين شيعته حتى يؤسس مجتمع الفضيلة الذي قوامه التزكية.

---

[1] الإحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن علي الطبرسي، دار المرتضى للنشر، ط١، ١٤٠٣هـ: ٢/ ٣١٧.

[2] إقبال الأعمال، ط – القديمة: ١/ ٢٣٠.

الثالث: المعرفة على حد كون الانسان مفتقرا.

وهذا المستوى عرضه الامام كثيرا في ادعيته واحاديثه، وخطبه، وهو ان يستحضر الانسان كل عناصر الافتقار الى الله عز وجل، واظهار الكمالات الالهية التي توجب على الانسان العاقل ان لا ينصرف الى غير الله عز وجل، ثم يجعل هذه التصورات نقطة للانطلاق الى معرفة الكامل الغني الذي نحتاج اليه في كل امورنا، فلنتأمل في كلامه عليه السلام إذ يقول:"الهي... كَيْفَ أَرْجُو غَيْرَكَ، وَ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِكَ، وَ كَيْفَ أُؤَمِّلُ سِوَاكَ وَ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ لَكَ، أَقْطَعُ رَجَائِي مِنْكَ وَقَدْ أَوْلَيْتَنِي مَا لَمْ أَسْأَلْهُ مِنْ فَضْلِكَ أَمْ تُفْقِرُنِي إِلَى مِثْلِي"[1].

الرابع: المعرفة على حد اهلية الله عز وجل للعبادة.

هذه المعرفة هي اسمى درجات المعرفة، وهي تعبير عن الكمال الانساني، وهذه المعرفة ليست متاحة لكل احد، وانما هي مختص بفئة معينة، استطاعت من الوصول لها من خلال تجريد النفس عن كل ما يشوبها، وهذا نجده واضح في كلام سيد الموحدين، وأمير المؤمنين علي عليه السلام اذ يقول:"مَا عَبَدْتُكَ طَمَعاً فِي جَنَّتِكَ، وَلَا خَوْفاً مِنْ نَارِكَ وَ لَكِنْ وَجَدْتُكَ أَهْلًا لِلْعِبَادَةِ فَعَبَدْتُكَ"[2]، فنجد ان سنة اهل البيت عليهم السلام واحدة، فذا سيد الساجدين عليه السلام يجعل المعيار الامثل للمعرفة هو كونه اهلا لما هو فيه من الشأن والجبروت، يقول الامام زين العابدين عليه السلام:"إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ لَا غَرَضَ لِي إِلَّا ثَوَابَهُ، فَأَكُونَ كَالْعَبْدِ الطَّمِعِ الْمُطِيعِ، إِنْ طَمِعَ عَمِلَ وَإِلَّا لَمْ يَعْمَلْ. وَأَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَهُ [لَا غَرَضَ لِي] إِلَّا لِخَوْفِ عِقَابِهِ، فَأَكُونَ كَالْعَبْدِ

---

[1] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤٤.

[2] عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ١/ ٤٠٤.

السَّوْءِ إِنْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعْمَلْ. قِيلَ لَهُ فَلِمَ تَعْبُدُهُ قَالَ: لِمَا هُوَ أَهْلُهُ بِأَيَادِيهِ عَلَيَّ وَإِنْعَامِه"[1].

المطلب الثالث: معرفة العدو وهو الشيطان.

الاصل الثالث الذي يجب ان يعرفه المزكي لنفسه بل يجب أن يعرفه كل انسان هو الشيطان؛ لأنه العدو الذي ينبغي على العبد الاشتغال بدفعه عنه وعن اهله، وما يحتاجه من سلاح ناجع لدفعه، ونستطيع ان نعرفه من خلال الكتاب الكريم، وكيف ان الله عز وجل بين لنا ما يتمتع به من قدرات توسل بها الى الانسان ليضله، وحتى نتخلص منه نرجع الى بارئه؛ لأنه خالقه ويعرفه كل المعرفة، ونرى كيف صوره لنا، وهو الصادق الحق، ويسعفني هنا حديث عن الامام الصادق عليه السلام بيَّنَ فيه اسلوب التخلص من الشيطان برجوع الى خالقه، إذ شبه الشيطان بكلب الراعي فقال:"فَكُنْ مَعَهُ - اي الشيطان- كَالْغَرِيبِ مَعَ كَلْبِ الرَّاعِي يَفْزَعُ إِلَى صَاحِبِهِ فِي صَرْفِهِ عَنْهُ كَذَلِكَ إِذَا أَتَاكَ الشَّيْطَانُ مُوَسْوِسا"[2].

فالمتأمل الحصيف للقرآن الكريم يرى طبيعة العلاقة بين الانسان والشيطان، والعداء التاريخي بينهما، والمنهج القرآني الواضح في أسلوب التعامل معه، وفنون الشيطان التي يتبعها في اغواء الانسان، وجاءت الروايات والادعية والخطب التي نقلت عن الامام السجاد عليه السلام مؤكدة لما ذكره القرآن ومبينة لها بزيادة في الإيضاح والتوكيد، حتى ان الامام السجاد عليه السلام بين ان الشيطان هو السبب الرئيس في وجود العصاة، فيقول الامام السجاد عليه السلام:"فَلَوْ لَا أَنَ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ

---

[1] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٢٨.

[2] مصباح الشريعة: ص٧٩.

عَـاصٍ، وَلَـوْ لَا أَنَّـهُ صَـوَّرَ لَهُـمُ الْبَاطِـلَ فِـي مِثَـالِ الْحَـقِّ مَـا ضَـلَّ عَـنْ طَرِيقِـكَ ضَـالٌّ"[1]، فكـان حـري بـأي شـخص لـه عـدو ان يعـرف كثيـرا عـن عـدوه، وخصوصـا ان كـلا مـن القرآن والسنة قد اسفرت لنـا عن وجهـه القبيح، ولكـن مـا انتفـع بهـذا الا قليـل نفعنـا الله تعـالى: بمـا قدمـه لنـا اولياؤنـا، فنـأتي الـى ذكـر هـذا الاساس على شكل نقاط:

اولا: في تعريف الشيطان ودوره.

الشـيطان لغـة: قيـل مشـتق امـا مـن الشـطن وهـو البعـد، فهـو يبعـد بـين العبـد وربـه، وقيـل ان النـون فيـه ليسـت اصـلية واصـله شـاط، وهـو الاحتـراق غضـبا، فكان الشيطان يحترق اذا ذكر الله تعالى: [2].

الشـيطان اصـطلاحا: هـو اسـم جـنس للشـرير مـن الجـن [3]، ويعرفـه العلامـة المجلسـي بقوله:"أجسـام لطيفـة يـرون فـي بعـض الأحيـان و لا يـرون فـي بعضـها و لهـم حركـات سـريعة و قـدرة علـى أعمـال قويـة و يجـرون فـي أجسـاد بنـي آدم مجـرى الـدم و قـد يشـكلهم الله بحسـب المصـالح بأشـكال مختلفـة و صـور متنوعـة كمـا ذهـب إليـه السـيد المرتضـى رضـي الله عنـه أو جعـل الله لهـم القـدرة على ذلك كما هو الأظهر من الأخبار والآثار"[4].

واختلـف فـي الشـيطان هـل هـو مـن الملائكـة أم مـن الجـن، ونسـتعين بروايـة تبـين لنـا حقيقـة الشـيطان، فعـن جميـل بـن دراج، عـن أبـي عبـد الله عليـه السـلام، قـال:" سـألته عـن إبلـيس أ كـان مـن الملائكـة أو هـل كـان يلـي شـيئا مـن أمـر السـماء؟

---

[1] الصحيفة السجادية: ص١٦٤.

[2] كتاب العين: ٦/ ٢٣٦؛ مفردات ألفاظ القرآن: ص ٤٥٤.

[3] الفروق في اللغة: ص٢٧١.

[4] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٦٠/ ٢٨٣.

قال: لم يكن من الملائكة، و لم يكن يلي شيئا من أمر السماء﴿**وكانَ مِنَ الْجِنِ**﴾[1]، و كان مع الملائكة و كانت الملائكة ترى أنه منها، و كان الله يعلم أنه ليس منها، فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان"[2].

اما دوره فلا يخفى على اي مطلع على القرآن الكريم، إذ قد حصل الشيطان على وعد من الله عز وجل بالامهال الى يوم القيامة، وقد اقسم الشيطان بعزة الله تعالى: ان يغوي عباده جميعا الا المخلصين، وهنا يبين الامام هذا الدور بقوله:"وَقَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيَ عَدُوُّكَ الَّذِي اسْتَنْظَرَكَ لِغَوَايَتِي فَأَنْظَرْتَهُ، وَاسْتَمْهَلَكَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ لِإِضْلَالِي فَأَمْهَلْتَهُ"[3].

ثانيا: خصائص الشيطان التي يجب على الانسان معرفتها.

لمعرفة شيء ما فهناك طريقان لمعرفته احدهما: هو الطريقة المباشرة، اي من دون واسطة، وهذا يكاد يكون متعسر لمعرفة الشيطان لطبيعة خلقه؛ لان القرآن صرح بأنه لا يرى قال تعالى: ﴿**يا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطانُ كَما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهِما إِنَّهُ يَراكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّياطِينَ أَوْلِياءَ لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُون**﴾[4].

الاخرى: وهو المعرفة عن طريق الآثار والمعالم، وهذا ما نعول عليه. ففي ما يأتي بيان لخصائص الشيطان التي ادركت بالآثار التي ذكرها الامام السجاد عليه السلام وهي:

---

[1] سورة الكهف، الآية: ٥٠.

[2] تفسير العياشي: ١/ ٣٤.

[3] الصحيفة السجادية: ص ١٤٨.

[4] سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

إن الشيطان عدو للإنسان، وعداوته قديمة وشديدة؛ لأنها أخرجته مما كان فيه من مقام، قال الامام زين العابدين عليه السلام:"إِلَهِي إِنَّ الشَّيْطَانَ.. شديد الخصومة، قديم العداوة، كيف ينجو من يكون معه في دار وهو المحتال"؟[1]. ان الشيطان توسل بالوسوسة: قال الامام زين العابدين عليه السلام:"الشَّيْطَانَ يُوَسْوِسُ إِلَى ابْنِ آدَمَ أَنَّ لَهُ فِي جَمْعِ ذَلِكَ الْمَالِ رَاحَةً وَ إِنَّمَا يَسُوقُهُ إِلَى التَّعَبِ فِي الدُّنْيَا وَ الْحِسَابِ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ"[2]

إن الشيطان اعتمد التضليل والغواية: يقول الامام السجاد عليه السلام:"إِلَهِي أَشْكُو إِلَيْكَ عَدُوّاً يُضِلُّنِي وَ شَيْطَاناً يُغْوِينِي"[3] وقال الامام الصادق عليه السلام:"وَ لَا يَغُرَّنَّكَ تَزْيِينُهُ - اي الشيطان- الطَّاعَاتِ عَلَيْكَ فَإِنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ بَاباً مِنَ الْخَيْرِ لِيَظْفَرَ بِكَ عِنْدَ تَمَامِ الْمِائَةِ فَقَابِلْهُ بِالْخِلَافِ وَ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ الْمُضَادَّةِ بِاسْتِهْوَائِه"[4]. ان الشيطان مسلط على القلوب:"إلهي، جعلت لي عدوا يدخل قلبي، ويحل محل الرأي والفكرة مني، وأين الفرار إذا لم يكن منك عون عليه؟[5]".ان الشيطان لا يغفل عنا ونحن عنه غافلون: قال الامام السجاد عليه السلام"لَا يَغْفُلُ إِنْ غَفَلْنَا، وَ لَا يَنْسَى إِنْ نَسِينَا"[6]، فهذا يوجب على كل انسان ان يكون متيقظا، وان يتعامل مع الشيطان كالعدو في ساحة المعركة، التي توجب على الجندي التيقظ. كما انه لا ينسى ما اصابه من دحور من جراء عدم امتثاله لآدم عليه السلام فذلك المشهد

---

[1] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤١.

[2] الخصال: ١/ ٦٤.

[3] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤٣.

[4] مصباح الشريعة: ص٨٠.

[5] بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤١.

[6] المصدر نفسه: ٩١/ ١٤١.

حاضر لديه. ان الشيطان مخادع وماكر محتال: يقول الامام زين العابدين:"فَلَوْ لَا أَنَّ الشَّيْطَانَ يَخْتَدِعُهُمْ عَنْ طَاعَتِكَ مَا عَصَاكَ عَاصٍ، وَ لَوْ لَا أَنَّهُ صَوَّرَ لَهُمُ الْبَاطِلَ فِي مِثَالِ الْحَقِّ مَا ضَلَّ عَنْ طَرِيقِكَ ضَال"[1]، ويقول:"إلهي، إن الشيطان فاجر خبيث، كثير المكر"[2]. ان الشيطان وعلى مر الزمان يتخلى عن اتباعه، قال تعالى: **﴿وَ إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَ قالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَ قالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَديدُ الْعِقابِ﴾**[3]، ويؤكد الامام السجاد عليه السلام على هذه الخاصية بقوله:"إِذَا قَارَفْتُ مَعْصِيَتَكَ، وَ اسْتَوْجَبْتُ بِسُوءِ سَعْيِي سَخْطَتَكَ، فَتَلَ عَنِّي عِذَارَ غَدْرِهِ، وَ تَلَقَّانِي بِكَلِمَةِ كُفْرِهِ، وَتَوَلَّى الْبَرَاءَةَ مِنِّي، وَأَدْبَرَ مُوَلِّياً عَنِّي، فَأَصْحَرَنِي لِغَضَبِكَ فَرِيداً، وَ أَخْرَجَنِي إِلَى فِنَاءِ نَقِمَتِكَ طَرِيداً لَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ لِي إِلَيْكَ، وَلَا خَفِيرٌ يُؤْمِنُنِي عَلَيْكَ، وَلَا حِصْنٌ يَحْجُبُنِي عَنْكَ، وَلَا مَلَاذٌ أَلْجَأُ إِلَيْهِ مِنْكَ"[4]، فنلاحظ عظيم الوصف الذي بينه الامام عليه السلام لخسة هذا المولى، فمن عرف صفات هذا المولى وجب عليه ان يعيد النظر والفكر قبل ان يتولاه.

ثالثا: منهج الامام السجاد عليه السلام في التحذير من الشيطان.

بما ان الناس يختلفون في الافهام والطبائع والثقافات بل حتى في العقيدة، مما دفع الامام الى ان يتصرف في منهج بيانه للشيطان ويمكن ان نصورها بالشكل الآتي:

---

(1) الصحيفة السجادية: ص١٦٤.

(2) بحار الأنوار، ط – بيروت: ٩١/ ١٤١.

(3) سورة الانفال، الآية: ٤٨.

(4) الصحيفة السجادية: ص١٤٨.

الاولى: ما كان منها بصورة مباشرة، كما في رواية أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ:"أَتَيْتُ بَابَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَوَافَقْتُهُ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. قَالَ: الْمَلَكَانِ كُفِيتَ. فَإِذَا قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ قَالا: هُدِيتَ، فَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ قَالا: وُقِيتَ فَيَتَنَحَّى الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ كَيْفَ لَنَا بِمَنْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ..."[1].

فالإمام بيَّن لابي حمزة مباشرة ان الشيطان يعرض لابن آدم، وعليه ان يأخذ الحيطة والحذر، وهذا ديدنه وهمته منذ خلق آدم عليه السلام، وفي حديث آخر للإمام السجاد عليه السلام يقول:"وَلَا تَأْمَنُوا مَكْرَ اللَّهِ وَتَحْذِيرَهُ وَتَهْدِيدَهُ عِنْدَ مَا يَدْعُوكُمُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ إِلَيْهِ مِنْ عَاجِلِ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَّاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ"[2]. فان دعوة الشيطان قائمة لا بد للإنسان ان يتنبه ولا ينجرف وهذا ايضا اسلوب مباشر من الامام يحذر فيه اصحابه من دعوات الشيطان.

الثانية: ما كان على شكل الدعاء، إذ قد نهج الامام اسلوبا مؤثرا يلامس مشاعر الانسان من خلال الالتجاء الى الله في بيان خطر الشيطان: (وأعذني فيه من الشيطان الرجيم، وهمزه ولمزه، ونفثه[3]، ونفخه، ووسوسته وتثبيطه[4]، وبطشه وكيده، ومكره وحبائله، وخدعه وأمانيه،

---

[1] اصول الكافي، الكليني: ٢/ ٥٤١.

[2] اصول الكافي، الكليني: ٨/ ٧٤.

[3] نفثه: ما يلقيه في القلب.

[4] ثبيطه: إعاقته.

وغـروره وفتنتـه، وخيلـه ورجلـه، وأعوانـه وشـركه(٧) وأتباعـه وإخوانـه، وأحزابه وأشياعه، وأوليائه وشركائه، وجميع مكائده).

المبحث الثالث

اسس تزكية النفس اجرائيا

في هذا المبحث حاولت ان اتبين ما قدمه الامام عليه السلام اجرائيا على ارض الواقع وما يمكن ان يكون منهجا علميا وواقعيا في تزكية النفس وايضا قسمت هذا المبحث على ما بيناه سابقا من الاصول الثلاثة (معرفة النفس، معرفة الله، معرفة الشيطان)، وهي كما يأتي:

المطلب الأول: الاسس الاجرائية لمعرفة النفس.

هنا مجموعة من الامور التي يقوم بها العبد عمليا لتجنب مخاطر النفس ونجملها بالنقاط الآتية:

اولا: مع اتفاق كلمة الامامية على عصمة الامام عليه السلام، وانه لا ذنب له الا انه رسم لنا من باب التعليم منهجا عمليا واضحا في الرجوع الى الله عز وجل في الدعاء والتماس الصبر على التغلب عليها، وعدم تخويل انفسنا الى ما تحب وترغب، فنجد ان الامام زين العابدين عليه السلام يدعو من الله عز وجل ان لا يحول بيننا وبين اختيار نفوسنا شيء إذ يقول:"وَ لَا تُخَلِّ فِي ذَلِكَ بَيْنَ نُفُوسِنَا وَ اخْتِيَارِهَا، فَإِنَّهَا مُخْتَارَةٌ لِلْبَاطِلِ إِلَّا مَا وَفَّقْتَ، أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمْتَ"[1]. فعلينا ان نمتثل هذا المنهج وتلهج السنتنا بالدعاء حتى يحول الله تعالى: بيننا وبين نفوسنا واختيارها.

ثانيا: التعزيز لخاصية الوعظ والمحاسبة: قال على بن الحسين (عليهما السلام):"ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَا تَزَالُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ لَكَ وَاعِظٌ مِنْ نَفْسِكَ وَ مَا كَانَتِ الْمُحَاسَبَةُ مِنْ هَمِّكَ وَ مَا كَانَ الْخَوْفُ لَكَ شِعَاراً وَ الْحَذَرُ لَكَ دِثَاراً ابْنَ آدَمَ

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٥٨.

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ مَبْعُوثٌ وَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ جَلَّ وَ عَزَّ فَأَعِدَّ لَهُ جَوَابا"[1].

وان من لطف الله عز وجل انه قدم لنا بالموعظة، وانه ارسلنا رسائل الوعظ في متجلية في غيرنا، فقال الامام السجاد عليه السلام:"لَقَدْ وَعَظَكُمُ اللَّهُ بِغَيْرِكُمْ وَ إِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ"[2]. ومن صور المحاسبة التي بينها الامام السجاد عليه السلام:"يَا نَفْسُ حَتَّى مَ إِلَى الْحَيَاةِ سُكُونُكِ وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا رُكُونُكِ أَ مَا اعْتَبَرْتِ بِمَنْ مَضَى مِنْ أَسْلَافِكِ وَمَنْ وَارَتْهُ الْأَرْضُ مِنْ أُلَّافِكِ وَمَنْ فُجِّعْتِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِكِ وَ نَقَلْتِ إِلَى دَارِ الْبِلَى مِنْ أَقْرَانِكِ"[3].

ثالثا: المشارطة: وتعني ان يشترط العبد على نفسه ان لا يعود الى ما كان يفعل من الموبقات، وهي نوع من العهد مع الله عز وجل، يقول الامام السجاد عليه السلام:"وَلَكَ- يَا رَبِ- شَرْطِي أَلَّا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجُرَ جَمِيعَ مَعَاصِيك"[4]، ومن الطبيعي ان المشارطة لا تكون على نحو الكلام فقط وانما تحتاج الى الديمومية في تحمل هذا الشرط والاستحضار له عند كل عمل.

رابعا: المجاهدة: على وزن مفاعلة وهذه الصيغة (مفاعلة) تفيد الاشتراك اي ان النفس لها ايضا رغبات تسعى الى تحقيقها وتناضل في سبيله، وان الله يريد من الانسان ان يمنعها ما حرم عليها فتقع هنا المصادمة التي تحتاج الى قول فصل، فيوصي الامام عليه السلام بها بقوله:"اللَّهَ اللَّهَ فِي الْجِهَادِ لِلْأَنْفُسِ فَهِيَ أَعْدَى الْعَدُوِّ لَكُمْ فَإِنَّهُ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تعالى:**﴿إِنَّ النَّفْسَ**

---

[1] تحف العقول، النص: ص٢٨٠.

[2] المصدر نفسه: ص ٢٥١.

[3] مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ١١/ ٢٥٤.

[4] الصحيفة السجادية: ص١٤٢.

لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[1]، وَإِنَّ أَوَّلَ الْمَعَاصِي تَصْدِيقُ النَّفْسِ وَالرُّكُونُ إِلَى الْهَوَى"[2]. كما نلاحظ من متن الحديث ان النفس هي اعدى الاعداء، فلابد من اخذ الحيطة من رغباتها.

خامسا: المراقبة: ان ما تقدم من مشارطة ومجاهدة وتعزيز تحتاج الى عنصر يبقى مرافقا لهن الا وهو المراقبة، إذ يجعل لنفسه خطا بيانيا يتابع فيه التقدم والتأخر عما يريد ان يقرره في ذاته، فالمراقبة هي ان يراعي الانسان بين الباطن والظاهر من سلوكه، وجعلهما يتوردا على مورد واحد، في الافكار والنوايا من جهة ومن الافعال والسلوك من جهة اخرى.

سادسا: اتهام النفس دوما حتى يتأكد انها لم يخالجها ما يخرجها عن طهارتها، قال الامام زين العابدين عليه السلام:"وَإِنَ أَوَّلَ الْمَعَاصِي تَصْدِيقُ النَّفْسِ وَالرُّكُونُ إِلَى الْهَوَى"[3].

سابعا: جعل المنظر الاخروي حاضرا في النفس، ومذكرا للنفس به وهذا ما كان الامام السجاد عليه السلام يواظب عليه في ادعيته بل يستجير بالله من وهو من هو، يقول:"اللَّهُمَّ فَارْحَمْ وَحْدَتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، وَ وَجِيبَ قَلْبِي مِنْ خَشْيَتِكَ، وَ اضْطِرَابَ أَرْكَانِي مِنْ هَيْبَتِكَ، فَقَدْ أَقَامَتْنِي- يَا رَبِّ- ذُنُوبِي مَقَامَ الْخِزْيِ بِفِنَائِكَ، فَإِنْ سَكَتُّ لَمْ يَنْطِقْ عَنِّي أَحَدٌ، وَإِنْ شَفَعْتُ فَلَسْتُ بِأَهْلِ الشَّفَاعَةِ"[4].

---

[1] سورة يوسف، الآية: ٥٣.

[2] دعائم الإسلام: ٢/ ٣٥٢.

[3] المصدر نفسه: ٢/ ٣٥٢.

[4] الصحيفة السجادية: ص١٤٤.

المطلب الثاني: اسس معرفة الله عز وجل اجرائيا.

وهنا ذكر الامام عليه السلام صور عدة في المقام الاجرائي في معرفة الله نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

اولا: سبل المعرفة على حد محبة الله: تقدم في مبحث معرفة الله انواع المعرفة لله عز وجل وتعرضنا الى المعرفة التي على حد الحب، وهنا نبين كيف يتم نيل ذلك عمليا، فمن الامور الموجبة للمحبة هو حب آل البيت عليهم السلام واتباعهم؛ لأنَّ مجرد الحب لا يكفي للظفر بحب الله عز وجل، فالذي يراجع روايات اهل البيت يجد ان الله عز وجل قرن بحه بحبهم.

ثانيا: التوبة: من الامور التي توجب المحبة من قبل الله عز وجل التوبة، يقول الامام السجاد عليه السلام:"وَاجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَى مَا وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَعَزْمِي عَلَى تَرْكِ مَا يَعْرِضُ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ، تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ، يَا مُحِبَّ التَّوَّابِينَ"[1].

ثالثا: الدعاء: من الامور التي تعزز المحبة بين العبد وربه الدعاء، هذا السلاح الذي يسميه النبي بسلاح الانبياء، فالإمام زين العابدين عليه السلام يطلب داعيا من الله عز وجل ان يجعل قلبه خصبا لكي تنبت المحبة فيه:"وأغرس في أفئدتنا أشجار محبّتك"[2]. المواظبة على الدعاء في خصوص طلب التبصرة في الدين.

رابعا: استشعار الخوف من الله عز وجل وان يتذكر الانسان عذاب الله للأقوام السابقة، وما حل بهم يقول الامام زين العابدين في هذا الاساس:"وَأَشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ خَوْفَ اللَّهِ، وَتَذَكَّرُوا مَا قَدْ وَعَدَكُمُ اللَّهُ فِي مَرْجِعِكُمْ إِلَيْهِ مِنْ حُسْنِ

---

[1] الصحيفة السجادية: ص١٦٦.

[2] بحار الأنوار، ط – بيروت:٩١/ ١٥٣.

ثَوَابِهِ كَمَا قَدْ خَوَّفَكُمْ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ شَيْئاً حَذِرَهُ وَمَنْ حَذِرَ شَيْئاً تَرَكَهُ وَ لَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ الْمَائِلِينَ إِلَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ- فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: **﴿أَ فَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَما هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلى تَخَوُّفٍ﴾**[1]، فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللَّهُ بِمَا فَعَلَ بِالظَّلَمَةِ فِي كِتَابِهِ وَلَا تَأْمَنُوا أَنْ يُنْزِلَ بِكُمْ بَعْضَ مَا تَوَاعَدَ بِهِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فِي الْكِتَابِ وَاللَّهِ لَقَدْ وَعَظَكُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ بِغَيْرِكُمْ فَإِنَّ السَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَلَقَدْ أَسْمَعَكُمُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ مَا قَدْ فَعَلَ بِالْقَوْمِ الظَّالِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى قَبْلَكُمْ حَيْثُ قَالَ وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وإِنَّمَا عَنَى بِالْقَرْيَةِ أَهْلَهَا"[2].

خامسا: التأمل في الآيات الكونية، والحقائق العلمية التي تلتمس من الكون على أنَّ له خالقا ومدبرا، فالإمام السجاد عليه حاول تعزيز هذه المسألة من خلال ضراعته لله عز وجل بهذه الآيات الكونية، التي بحد ذاتها خير دليل على معرفة الله عز وجل يقول الامام السجاد في هذا الصدد:"سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّمَاوَاتِ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْأَرَضِينَ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْفَيْءِ وَالْهَوَاءِ سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الرِّيحِ كَمْ هِيَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ سُبْحَانَكَ سُبُّوحٌ قُدُّوسُ سُبْحَانَكَ عَجَباً لِمَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ لَا يَخَافُكَ"[3].

فالحقائق العلمية التي ذكرها الامام عليه السلام قبل ١٤٠٠ سنة من (وزن الظلمة، ووزن الضوء، ووزن الفيء) تعد اليوم من ابرز الاكتشافات

---

[1] سورة النحل، الآيات: ٤٤ – ٤٧.

[2] اصول الكافي، الكليني: ٨/ ٧٤.

[3] المصباح، للكفعمي جنة الأمان الواقية: ص ٨٣.

الحديثة التي على وفقها تقدم معطيات علمية لكافة مرافق الحياة، فالضوء ووزنه يأخذ بيعن الاعتبار في الرحلات المكوكية بل ان الاشرعة الضوئية التي تجهز بها السفن الفضائية تقوم على هذا الاساس، أما مسألة الفيء فهذه الظاهرة ما منا الا ولمس هذه الظاهرة من خلال المطبات الهوائية التي تتعرض لها الطائرات يوميا بسبب اختلاف وزن الهواء في منطقة الفيء عن غيرها، اذا الهواء في منطقة الفيء اكثر وزنا بسبب كثافته لان جزئيات الهواء الباردة تنكمش وهكذا.

سادسا: التمسك بالقرآن الكريم والالتجاء اليه في معرفة الله عز وجل واعتماد ما جاء من كبريات التوحيد فيه، والتأمل للآيات القرآنية؛ لان ما من آية الا واشتملت على الترغيب والترهيب الذي يتعلق بالذات الالهية.

المطلب الثالث: الاسس الاجرائية في تزكية النفس ضد الشيطان.

اولا: التذكر وعدم الغفلة يقول الامام السجاد عليه السلام:**﴿عِنْدَ مَا يَدْعُوكُمُ الشَّيْطَانُ اللَّعِينُ إِلَيْهِ مِنْ عَاجِلِ الشَّهَوَاتِ وَ اللَّذَّاتِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ"إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّرُوا فَإِذا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾**[1]..."[2].

ثانيا: الحفاظ على الاذكار والادعية التي رووها أئمة اهل البيت عليهم السلام، ففي رواية أَبِي حَمْزَةَ الثُّمَالِيِّ قَالَ:"أَتَيْتُ بَابَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام، فَوَافَقْتُهُ حِينَ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ، فَقَالَ: بِسْمِ اللَّهِ آمَنْتُ بِاللَّهِ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ عَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَإِذَا قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ. قَالَ: الْمَلَكَانِ كُفِيتَ. فَإِذَا قَالَ: آمَنْتُ بِاللَّهِ قَالا: هُدِيتَ، فَإِذَا

---

[1] سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.

[2] تحف العقول، النص: ص ٢٥٠.

قَـالَ: تَوَكَّلْـتُ عَلَـى اللهِ قَـالا: وُقِيـتَ فَيَتَنَحَّـى الشَّـيْطَانُ، فَيَقُـولُ بَعْضُـهُمْ لِـبَعْضٍ كَيْفَ لَنَا بِمَنْ هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِي..."[١].

ومـن الاذكـار التـي تطـرد الشـيطان هـي بسـم الله الـرحمن الـرحيم، فقـد جـاء فـي عَـنْ أَبِـي حَمْـزَةَ، قَـالَ: قَـالَ عَلِـيُّ بْـنُ الْحُسَـيْنِ عليـه السـلام: "يَـا ثُمَـالِيُّ إِنَّ الصَّـلَاةَ إِذَا أُقِيمَـتْ جَـاءَ الشَّـيْطَانُ إِلَـى قَـرِينِ الْإِمَـامِ فَيَقُـولُ هَـلْ ذَكَـرَ رَبَّـهُ فَـإِنْ قَـالَ نَعَـمْ ذَهَـبَ وَ إِنْ قَـالَ لَا رَكِـبَ عَلَـى كَتِفَيْـهِ فَكَـانَ إِمَـامَ الْقَـوْمِ حَتَّـى يَنْصَـرِفُوا قَـالَ فَقُلْـتُ جُعِلْـتُ فِـدَاكَ أَ لَـيْسَ يَقْـرَءُونَ الْقُـرْآنَ قَـالَ بَلَـى لَـيْسَ حَيْـثُ تَـذْهَبُ يَـا ثُمَـالِيُّ إِنَّمَـا هُوَ الْجَهْرُ بِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيم"[٢].

ثالثـا: الالتـزام الفعلـي والعملـي بالتكـاليف الموجـه الـى الانسـان، مـن صـلاة وصـوم وحـج وغيرهـا؛ لان بهـا يـردع الشـيطان وينهـزم، قـال عَلِـيّ بْـنِ الْحُسَـيْنِ عَـنْ أَبِيـهِ عَـنْ عَلِـيٍّ علـيهم السـلم قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ (صـلّى الله عليـه و آلـه)"لَا يَـزَالُ الشَّـيْطَانُ هَائِبـاً ذَعِـراً مِـنَ الْمُـؤْمِنِ مَـا حَـافَظَ عَلَـى الصَّـلَوَاتِ الْخَمْـسِ فَـإِذَا ضَيَّعَهُنَّ تَجْرِي عَلَيْهِ فَأَلْقَاهُ فِي الْعَظَائِمِ"[٣].

رابعـا: التوسـل بمقـام اهـل البيـت علـيهم السـلام فـي دحـض الشـيطان وجنـوده، قَـالَ رَسُـولُ اللَّهِ صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم:"هَذِهِ نُصْـرَةُ اللَّهِ تعـالى: لِلْيَهُـودِ عَلَـى الْمُشْـرِكِينَ بِـذِكْرِهِمْ لِمُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ. أَلَا فَـاذْكُرُوا يَـا أُمَّـةَ مُحَمَّـدٍ، مُحَمَّـداً وَآلَـهُ عِنْـدَ نَـوَائِبِكُمْ وَ شَـدَائِدِكُمْ لِيَنْصُـرَ اللَّهُ بِـهِ مَلَائِكَـتَكُمْ عَلَـى الشَّـيَاطِينِ الَّـذِينَ يَقْصِدُونَكُمْ"[٤].

---

[١] اصول الكافي، الكليني: ٢/ ٥٤١.

[٢] تهذيب الأحكام، تحقيق خرسان: ٢/ ٢٩٠.

[٣] الجعفريات الأشعثيات: ص ٣٩.

[٤] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٩٦.

خامسا: الِالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ تعالى: واستشعار الِاضْطِرَارُ بِصِحَّةِ الِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ امر.

سادسا: عدم الانصياع للشيطان من خلال استصغار الذنوب لان الذنوب الصغار هي مزالق لذنوب أكبر، وبها يستدرج الله المصرين.

سابعا: حث الناس على التفقه وتبني من يتوسم به روح الاخلاص من الفتية واعداده للفقاهة، لان الفقهاء هم الجنود الذين يربضون على الثغر الذي يخرج منه ابليس على ضعفاء الشيعة، قَالَ الامام جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عليه السلام:" [عُلَمَاءُ] شِيعَتِنَا مُرَابِطُونَ فِي الثَّغْرِ- الَّذِي يَلِي إِبْلِيسُ وَ عَفَارِيتُهُ، يَمْنَعُونَهُمْ عَنِ الْخُرُوجِ عَلَى ضُعَفَاءِ شِيعَتِنَا، وَعَنْ أَنْ يَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ وَشِيعَتُهُ النَّوَاصِبُ، أَلَا فَمَنِ انْتَصَبَ لِذَلِكَ مِنْ شِيعَتِنَا كَانَ أَفْضَلَ مِمَّنْ جَاهَدَ الرُّومَ وَ التُّرْكَ وَالْخَزَرَ أَلْفَ أَلْفِ مَرَّةٍ، لِأَنَّهُ يَدْفَعُ عَنْ أَدْيَانِ مُحِبِّينَا، وَ ذَلِكَ يَدْفَعُ عَنْ أَبْدَانِهِمْ"[1].

المطلب الرابع: كيفية علاج النفس الأمارة بالسوء وأنواع محاسبتها وثمرة هذه المحاسبة.

أولا: علاج النفس الأمارة بالسوء.

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام) – في المناجاة: إلهي إليك أشكو نفسا بالسوء أمارة، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة... كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسها الشر تجزع، وإن مسها الخير تمنع، ميالة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تسرع بي إلى الحوبة، وتسوفني بالتوبة.

من هذا المنطلق اتبع علماؤنا منهج تخلية النفس من الرذائل وتحليتها بالفضائل، لذلك نرى أن الجانب العملي الذي سار عليه علماؤنا لمحو خصال

[1] التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٤٣.

الرذيلة من النفس وإزالتها عنها يكون بطرق جلية واضحة المعالم لكي تطوي تحتها تلك الشوائب التي تعلقت بالنفس.

فهم استعملوا كل الطرق للوصول إلى الله ﷻ، ومن هذه الأمور للعلاج من أمراض النفس الأمارة بالسوء والتي علمنا عليها علماءنا - رحمهم الله - لكي نسير عليها في تصفية أنفسنا:

١. التوبة إلى الله تعالى: من الذنوب كافة التي نعلمها والتي لا نعلمها، فالتوبة تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل حتى يستمر في عمله وطاعته، فإن إيمان المسلم بأن الله هو الذي يغفر الذنوب يجعله مؤمنا أن هذه النفس يجب تعليمها حب الطاعة لله؛ لأن النفس المؤمنة إذا تابت من ذنب عملته فإنها ترتاح بسبب اليقين بأن الله يقبل التوبة الخالصة من النفس من جميع عباده بدون استثناء، وبذلك يزول اضطراب النفس البشرية وتخوفها [١].

٢. التوفيق من الله سبحانه وتعالى أولا، فإن من وفقه الله للسيطرة على نفسه لا تغلبه أبدا، فالنفس ظلمة كلها وسراجها التوفيق، فمن لم يصاحبه التوفيق كان في ظلمة، وقد تخفى دسائس النفس إلى حيث تتأمر بخير وتضمر فيه شرا، ولا يفطن لدسائسها إلا ذو وعي[١].

---

[١] ينظر: نحو علم نفس إسلامي، د. حسن محمد الشرقاوي، تقديم: د. عبد الحليم محمود، د. مصطفى محمود، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، مصر، د. ط، ١٩٨٤م: ص١٩٣ وما بعدها.

[١] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ: ١٣/ ٧٨.

٣. الاستمرار في محاسبة النفس، لأننا يجب أن نعلم أننا إذا لم نحاسب أنفسنا اليوم فإننا سنجد حسابا عسيرا في يوم القيامة، فقد قال تعالى: **﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾** [٢]، فمن لا يحاسب نفسه الآن فليستعد للمحاسبة الشديدة يوم القيامة[٣].

٤. الصدق في العبودية لله وأداء العمل مع الناس، فحين يكون الإنسان صادقا في عمله المادي إرضاء لربه الذي يعبده، وهكذا ترتبط القيم الروحية بالقيم الاجتماعية فتصلح نفس الإنسان[٤]، وقد قال رسول الله ﷺ"ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا"، ومنها صدق الإرادة على تطهير النفس وتزكيتها، وهذا الصدق معناه أن يستولي حب الله على قلب المُريد[٦].

٥. الخوف والرجاء: لا بد للإنسان أن يكون بين الخوف والرجاء؛ لأن النفس بطبيعتها، فهكذا رتبت فطرتها، والخوف والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري كله في أعماقه يوجهان في

---

[٢] سورة الطلاق، الآية: ٨.

[٣] ينظر: سلسلة أعمال قلوب، الشيخ محمد صالح المنجد، اعتنى بها قسم التحقيق بمركز الدكتور عبد الوارث الحداد للبحث العلمي، دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م: ص ٢٦٨.

[٤] ينظر: دراسات في النفس الإنسانية: ص٥٨، ٥٩.

[٦] ينظر: شفاء السائل لتهذيب المسائل، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ط، د. ت: ص٣٨ – ٤٠، والمُريد - بالضم – هو من انقطع إلى الله عن النظر والاستبصار وتجرد عن إرادته إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده غيره فيمحو إرادته في إرادته فلا يريد إلا ما يريده الحق. التعريفات: ص ٢٦٩؛ ينظر: التعاريف: ص ٦٥١.

الواقع اتجاه الحياة ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ومشاعره وأهدافه [٢].

٦. الصبر على الطاعة وعن المعصية على حد سواء، ومن الصبر على الطاعة نجد مكانة الصبر على الجهاد في سبيل الله، فإن من أفضل امتحانات صبر النفس على الطاعة هو في الجهاد في سبيل الله، لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾** [٣]، ومن هنا يظهر لنا أن فريضة الجهاد في سبيل الله من أفضل الوسائل لتزكية النفس لذلك قال تعالى: **﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** [٤]، ومن الصبر عن المعصية أن يكف قلبه وجوارحه عن المعاصي طلبا لمرضاة الله - سبحانه وتعالى-، فيجب عليه أن يتخلى عن جميع المعاصي، وأن يفطم النفس عن شهواتها[٥].

٧. المجاهدة: فإن مجاهدة النفس من أعظم الأمور التي تمحو الصفات السيئة عن النفس، لذلك يقول الإمام الغزالي:"فجاهد النفس الأمارة بالسوء تمح صفات آفاتها حتى تصير لوامة، ثم انقل اللوامة إلى مقام المطمئنة كما ينقل السلطان فراشه إلى مقام الكاتب ثم إلى مقام الوزير، ثم يتصرف في ملكه فينظر إلى حسناته، فتكون عنده سيئات هذا المقام حسنات سابقه"[١].

---

[٣] سورة آل عمران، الآية: ١٤٢.

[٤] سورة العنكبوت، الآية: ٦.

[٥] ينظر: حقائق عن التصوف: ص ٧٨.

[١] سر العالمين وكشف ما في الدارين، من مجموعة رسائل الغزالي: ص ٤٩٨.

ويحكى أن رجلا قال لعابد في بيت المقدس: أوصني، قال:"عليك بالصبر والتصبر والاصطبار، قلت: ما الصبر وما التصبر وما الاصطبار؟ قال: أما الصبر فالتسليم والرضا بنزول المصائب والبلوى وتوطين النفس عليها قبل حلولها وأما التصبر فتجرع مرارتها عند نزولها ومجاهدة النفس على هدوئها وسكونها وأما الاصطبار فاستقبال ما ينزل من المصائب والبلوى بالطلاقة والبشر وانتظار ما لم ينزل منها بالاعتبار والتفكير فإذا كان العبد كذلك كان مصطبرا لم يبال ما تقدم من ذلك"[٤].

٨. اليقين بأن الله - سبحانه وتعالى - لم يخلقنا عبثا، وإنما نحن مخلوقون لواجب عظيم وعمل كبير وهو العبادة والخضوع لله سبحانه وتعالى **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**[٥].

٩. الإكثار من الدعاء لله - سبحانه وتعالى - بأن يطهر أنفسنا، فقد كان من دعاء النبي ﷺ وهو يعلمنا كيف نطهر أنفسنا"اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها".

١٠. الابتعاد عن الصفات الناقصة كالكبر والرياء والغضب، والتقرب من الصفات الكاملة كالتواضع والإخلاص والحلم وغيرها، وقطع الطمع عن النفس والانقطاع إلى الله.

---

[٤] شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت ١٤٤٣ هـ]، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي [ت ١٤٢٨ هـ]، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م: ٢٢٧/٧، رقم ١٠١٠٧.

[٥] سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

١١. الصبر على ظلم الخلق واجتناب الدعوة عليهم، والحذر الشديد من إيذاء الخلق ولعنهم، وأن يحسن الظن بالله بكل إنسان هو من أهل القبلة ويؤمن بالله ورسوله.

ثانيا: أنواع محاسبة النفس.

محاسبة النفس نوعان:

الأول: محاسبة النفس قبل العمل: يجب على الإنسان أن يحاسب نفسه قبل أن يقدم على أي عمل؛ لأن النفس لها هم وعمل؛ فالهم يكون قبل العمل؛ فيبدأ بمحاسبة نفسه على ما همت به وأرادته؛ فالمحاسبة إذن تبدأ من الخواطر[١].

الثاني: محاسبة النفس بعد العمل وهي ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبتها على طاعة قَصَّرتَ فيها فلم تعملها على الوجه الصحيح.

ثانيها: أن يحاسب نفسه على كل عمل عمله كان تركه خيرا له من عمله.

ثالثها: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لِمَ فعله ؟ أأراد به الله والدار الآخرة فيكون رابحا، أم أراد به الدنيا وعاجلها فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر ؟.

ومما سبق يتبين لنا أن الفرد هو اللبنة التي يتكون منها المجتمع، فهو خلية في جسد المجتمع، وسلامته من سلامة المجتمع الذي هو كالجسد، ولهذا

[١] ينظر: سلسلة أعمال القلوب: ص ٢٧٠.

اشتدت عناية القرآن بالفرد في كل مراحل حياته، ولم يبخل عليه بالتشريع والتوجيه، لأنه أساس الأسرة والمجتمع [٣].

ثالثا: ثمرة محاسبة النفس.

من وفقه الله لتطهير وعلاج نفسه من الأمراض التي سبقت فإنه يجد ثمرة هذا العلاج في حياته وقبوله أمام الله - سبحانه وتعالى - ومن هذه الثمرات:

١. تكون النفس مطمئنة راضية لقضاء الله مسلمة له أمرها بشكل كلي.
٢. المداومة على ذكر الله تعالى: في القلب، فيكون من الصديقين، فلن تنال هذه المرتبة إلا بالمجاهدة والرياضة الطويلة والصبر على الشهوات.

وقد جاء في كتاب الرياضة وآداب النفس: "فأما الأكياس فراضوا أنفسهم فأدبوها فامتنعوا من الحلال المطلق لهم حتى هدأت جوارحهم، وإنما هدأت وسكنت لسكون غليان الشهوة، فإذا استعملوها كان القلب أميرا قاهرا، فاستعمل تلك الشهوة بما يريه العقل ويزن له، فيؤدبه بإذن الله عز وجل"[١].

يكون الإنسان من أهل الإيثار لاخوانه من المؤمنين، فإن النفس إذا صلحت جادت بما تملك، ولذلك فقد حكى الله سبحانه وتعالى عن الأنصار الذين دخل الإيمان إلى قلوبهم ونفوسهم، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**

---

[٣] ينظر: منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، د. محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م: ص٣٤١.

[١] الرياضة وآداب النفس، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ)، أخرجه: د. أ. ج اريدي، د. علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي، مصر، د. ط، ١٩٤٧م: ص٤٧.

وَيُـؤْثِرُونَ عَلَـى أَنْفُسِـهِمْ وَلَـوْ كَـانَ بِهِـمْ خَصَاصَـةٌ وَمَـنْ يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِـهِ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٢].

٣. نجـد أن الـذي جاهـد نفسـه وسـيطر عليهـا مرتـاح غايـة الراحـة فـي الوصـول إلــى أســعد الغايــات، فيكــون أفضــل حــالا ممــن شــتت قلبــه وجوارحــه فــي اتجاهات مختلفة.

[٢] سورة الحشر، من الآية: ٩.

المبحث الرابع

مضامين الأدعية السجادية في تعزيز القوة الناعمة

ضمّن الإمام (عليه السلام) أدعيته التي تمثّلت في الصحيفة الكاملة وسائر الأدعية التي وصلت عنه منهاجا كاملا للحياة الإنسانية، ولم يترك الإمام جانبا مما تحتاجه الأمة الإسلامية إلا وتعرض له وعالجه بأسلوبه الفذ وبلاغته البديعة، ومن هذه المظاهر:

المطلب الأول: مظاهر التربية الاجتماعية ومضامينها، والتي تتمحور في:

١. تكريم الإنسان.

أكد الله تعالى: في كثير من الآيات[١]،الآيات التي عرّفت الإنسان بأنه أفضل المخلوقات وأنه خليفة الله في الأرض وحامل أمانته، وهو من سجد له الملائكة جميعا،فهو الغاية من خلقة سائر المخلوقات: قال تعالى: **﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾**[٢].

إن تكريم الإنسان في القرآن هو تكريم لذاته الإنسانية قال تعالى:**﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾**[٣]، فهذا التكريم هو جامع لكل الخير والشرف والفضائل[٤]، نجد أن الإمام(عليه السلام) قد تأثر بهذه الآيات في دعائه، إذا ابتدأ بالدعاء بدءاً بحمد الله عز وجل

---

(١) المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام رشدي الزين، تحقيق: محمد عدنان سالم، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، د. ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م: ١/ ١٨٦،.١٨٧

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٣) سورة التغابن، الآية: ٣.

(٤) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، حرف الكاف(باب الكاف مع الراء).

والثنـاء عليـه، لتحسـينه تلـك الصـورة الإنسـانية وجعلهـا مفضـلة علـى سـائر المخلوقـات يقـول: (والْحَمْـدُ لِلَّهِ الَّـذِي اخْتَـارَ لَنَـا مَحَاسِـنَ الْخَلْـقِ، وأَجْـرَى عَلَيْنَـا طَيِّبَـاتِ الـرِّزْقِ، وجَعَـلَ لَنَـا الْفَضِـيلَةَ بِالْمَلَكَـةِ عَلَـى جَمِيـعِ الْخَلْـقِ، فَكُـلُّ خَلِيقَتِـه مُنْقَـادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إِلَى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه)[1].

فـالمراد مـن قوله(عليـه السـلام) هنـا هـو الشـكل والصـورة،خلق سـبحانه الإنسان في أحسن خلقة وأحكمها وأدقها[2].

٢. بر الوالدين.

أكـد الله سـبحانه وتعـالى علـى وجـوب طاعـة الوالـدين والبـر بهمـا وقـرن حقهمـا بحقه،وعـدَّ عقوقهمـا مـن الكبـائر،وهو – العقـوق – نكـران للمعـروف فـي حـق الوالـدين كمـا أنـه نكـران الحـق لله تعـالى:؛ لأن العـاق قـد تجاهـل وصـية الله فـي الوالـدين، فقـد قـال عـز وجـل:﴿ **وَقَضَـىٰ رَبُّـكَ أَلَّا تَعْبُـدُوا إِلَّا إِيَّـاهُ وَبِالْوَالِـدَيْنِ إِحْسَـانًا إِمَّـا يَـبْلُغَنَّ عِنـدَكَ الْكِبَـرَ أَحَـدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَـا فَـلَا تَقُـل لَّهُمَـا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَـا وَقُـل لَّهُمَـا قَـوْلًا كَرِيمًـا (٢٣) وَاخْفِـضْ لَهُمَـا جَنَـاحَ الـذُّلِّ مِـنَ الرَّحْمَـةِ وَقُـل رَّبِّ ارْحَمْهُمَـا كَمَـا رَبَّيَـانِي صَـغِيرًا** ﴾[3] مهمـا قـدّم الولـد لوالديـه فإنـه لـن يؤديهمـا حقهمـا،ومن هنـا كـان دعائـه (عليـه السـلام) لأبويـه (عليهمـا السـلام) نجـده قـد تـأثر بمفـردات مـن الآيـة أعـلاه، فيقـول فيـه: (اللَّهُـمَّ خَفِّـضْ لَهُمَـا صَـوْتِي، وأَطِـبْ لَهُمَـا كَلَامِـي، وأَلِـنْ لَهُمَـا عَرِيكَتِـي، واعْطِـفْ عَلَيْهِمَـا قَلْبِـي، وصَـيِّرْنِي بِهِمَـا رَفِيقـاً، وعَلَيْهِمَـا شَـفِيقاً،اللَّهُمَّ اشْـكُرْ لَهُمَـا تَرْبِيَتِـي، وأَثِبْهُمَـا عَلَـى تَكْرِمَتِـي، واحْفَـظْ لَهُمَـا مَـا حَفِظَـاه مِنِّـي فِـي صِـغَرِي،اللَّهُمَّ ومَـا مَسَّـهُمَا مِنِّـي مِـنْ أَذًى، أَوْ خَلَـصَ إِلَيْهِمَـا عَنِّـي

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٣٠.

[2] فـي ظـلال الصـحيفة السـجادية، شـرح: الشـيخ محمـد جـواد مغنيـة، حققهـا: سـامي الغريـري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، د. ط: ص٦٣.

[3] سورة الإسراء، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

مِـنْ مَكْـرُوه، أَوْ ضَـاعَ قِبَلِـي لَهُمَـا مِـنْ حَـقٍّ فَاجْعَلْـه حِطَّـةً لِـذُنُوبِهِمَا، وعُلُـوّاً فِـي دَرَجَاتِهِمَـا، وزِيَـادَةً فِـي حَسَـنَاتِهِمَا، يَـا مُبَـدِّلَ السَّـيِّئَاتِ بِأَضْـعَافِهَا مِـنَ الْحَسَـنَاتِ)[1] فمن حقوق الآباء أن يكون أبناؤهم مجدين مطيعين لهم.

٣. ظاهرة الظلم والتصدي للظالمين.

معلومـة هـي ثقافـة الإمـام (عليـه السـلام) فقـد تحـدث عـن الظلـم متبريـا منـه متصـديا لـه متـأثرا فـي ذلـك فـي المضـامين القرآنيـة، نجـد ذلـك فـي قولـه (عليـه السـلام) فـي دعائـه فـي مكـارم الأخـلاق ومرضِـيّ الأفعال:(واجْعَـلْ لِـي يَـداً عَلَـى مَـنْ ظَلَمَنِـي، ولِسَـاناً عَلَـى مَـنْ خَاصَـمَنِي، وظَفَـراً بِمَـنْ عَانَـدَنِي، وهَـبْ لِـي مَكْـراً عَلَـى مَـنْ كَايَـدَنِي، وقُـدْرَةً عَلَـى مَـنِ اضْـطَهَدَنِي، وتَكْـذِيباً لِمَـنْ قَصَـبَنِي)[2]، جـاءت أدعيـة الإمام(عليـه السـلام) تعـالج الظلـم، ترفضـه، تعرضـه بصـيغة الـداء، وفـي رجائـه الانتصـاف للمظلـومين، اليـد علـى الظـالم هـي القـدرة عليـه لـرد ظلمـه وإجبـاره علـى العـدل نجـد الإمـام (عليـه السـلام) تـأثر فـي كلماتـه بقولـه تعـالى:﴿ **وَإِذْ يَمْكُـرُ بِـكَ الَّـذِينَ كَفَـرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُـوكَ أَوْ يُخْرِجُـوكَ وَيَمْكُـرُونَ وَيَمْكُـرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْـرُ الْمَـاكِرِينَ** ﴾[3]، هنـا يتبـين مـن قـول الإمـام (عليـه السـلام) وظيفـة المظلـوم وهـي أن يـتلمس العلـة لـردع الظلـم عنـه فـأن خذلتـه الوظـائف السـليمة واسـتطاع قتـل الظلـم فعـل ولا شـيء عليـه،كما جـاء فـي كتـاب جـامع المـدارك للسـيد أحمـد الخونسـاري (ت: ١٤٠٥هـ) (أن رجـلا قـال للإمـام البـاقر (عليـه السـلام): اللـص يـدخل علـى بيتـي يريـد نفسـي،مالي ؟ فقـال الإمـام (عليـه السـلام):

---

[1] الصحيفة السجادية: ص١١٦.

[2] الصحيفة السجادية: ص ٩٤.

[3] سورة الأنفال، الآية: ٣٠.

اقتله،فأشهد الله ومن سمع أن دمه في عنقي)[1]، فأن الساكت عن ظالمه وهو قادر على مقاومته فقد ظلم نفسه وما ربك بظلام للعبيد، وفي الدعاء إشارة إلى إعمال الفكر في مواجهة كيد الظالمين (وهب لي مكرا على من كايدني) إذ إن التفكير يقود – بتوفيق الله – إلى وسائل مختلفة لمواجهة كيد الظالمين ومكرهم، العدل فرح العالم والظلم كآبته وأحزانه، ومصائبه[2].

يقول الإمام(عليه السلام) في دعائه إذا اعتدى عليه أو رأى من الظالمين ما لا يحب (اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وخُذْ ظَالِمِي وعَدُوِّي عَنْ ظُلْمِي بِقُوَّتِكَ، واقْلُلْ حَدَّه عَنِّي بِقُدْرَتِكَ، واجْعَلْ لَه شُغْلًا فِيمَا يَلِيه، وعَجْزاً عَمَّا يُنَاوِيه)[3].

نجد الإمام (عليه السلام) تأثر بكلماته من قوله تعالى: **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[4] فغالبا ما تكمن الحركة الإنسانية في الحركة الدعائية، فقول الإمام: (خذ ظالمي)، أي أبعده عني ما أمطره بوابل من الدعوات الانتقامية. وكما معلوم أن الإمام (عليه السلام) يتميز بالحلم والتقوى، وكل ما يريده أن يرتفع الظلم من المجتمعات، يطلب زحزحته عن المظلوم، دون أذى الظالم، فهو لا يبغي الانتقام؛ لأن في الانتقام ظلما جديدا، وعنفا جديدا، هو يريد العدالة المطلقة، والسلام المطلق.

٤. التربية على التماسك الاجتماعي والتعاون.

---

[1] جامع المدارك في شرح المختصر النافع، سيد احمد الخونساري، مكتبة الصدوق، ط٢، د. ت: ص ١٧١.

[2] في ظلال الصحيفة السجادية: ص٢٥٨.

[3] الصحيفة السجادية: ٧٢.

[4] سورة الشورى، الآية: ٤٠.

فالجماعة المسلمة أسرة واحدة وإن حاولت بعض الأفكار الشاذة أن تفرق بين بعض لأفرادها. وتؤدي التربية الاجتماعية إلى المحافظة على تماسك الجماعة وهذه ظاهرة جلية في دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال (وأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، ولُزُومِ الْجَمَاعَةِ، ورَفْضِ أَهْلِ الْبِدَعِ، ومُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ)[1].

فدوام الطاعة للقيادة لأمر الله تعالى: ونهيه،وتدوم هذه الطاعة وتكتمل بلجام النفس عن المعاصي لله تعالى: (لزوم الجماعة)، أي تستلزم تماسك الجماعة وعدم الخروج على جمع الشمل ووحدة الكلمة، و لابد من اتخاذ موقف سلبي رافض لأهل البدع وإتباع الآراء المخترعة التي ليس لها في الدين أصل، وهو موقف اجتماعي شرعي يوقف سريان البدع والأباطيل ويحد من تفشيها بين البسطاء ويحافظ بذلك على التماسك الاجتماعي للجماعة المسلمة، أو المقاطعة الاجتماعية،وهو أسلوب ثابت في مواجهة المفسدين فقرره القرآن الكريم على لسان أنبيائه[2] **﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾**[3] ومن هنا جاء تأثر الإمام (عليه السلام) بمعنى الآية المباركة.

ونجد في جانب آخر من الدعاء (ولَا تَبْتَلِيَنِّي بِالْكَسَلِ عَنْ عِبَادَتِكَ، ولَا الْعَمَى عَنْ سَبِيلِكَ، ولَا بِالتَّعَرُّضِ لِخِلَافِ مَحَبَّتِكَ، ولَا مُجَامَعَةِ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْكَ، ولَا مُفَارَقَةِ مَنِ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ)[4] وهاتان العبارتان الأخيرتان تدلان على ضرورة

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٩٦.

[2] في ظلال الصحيفة السجادية: ص٢٦٥.

[3] سورة مريم، الآية: ٤٨.

[4] الصحيفة السجادية: ص٩٦.

التماسك الاجتماعي والابتعاد عن العناصر التي تضعف هذا التماسك وتفسده وتفرق بين المسلمين.

وجاء في جانب آخر من دعائه (عليه السلام) في خدمة الناس(وأَجْرِ لِلنَّاسِ عَلَى يَدِيَ الْخَيْرَ ولَا تَمْحَقْه بِالْمَنِّ، وهَبْ لِي مَعَالِيَ الأَخْلَاقِ، واعْصِمْنِي مِنَ الْفَخْرِ)[1]. فهذه تربية دينية ترمي إلى محاولة خدمة الناس وإيصال الخير لهم، مع الاحتراز الشديد من المن؛ لأنه يمحق أثر تلك الخدمة في الدنيا والآخرة فكل عاقل يود بفطرته أن يكون محسنا لا مسيئا، وهل شيء أعظم من صنع الخير للناس وأن يجري على يدك خلاص المكروبين من المصائب والشدائد[2]، فالإمام اقتبس كلمات دعائه من قوله تعالى: **﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾**[3].

(هب لي معالي الأخلاق): إن حياة الإنسان لا تستقيم ولا تنسجم وشرورها لا تنتهي وتنحسم إلا برعاية الحق، والعدل، والمساواة، وهذه أبرز مصاديق الأخلاق (اعصمني من الفخر) أبلغ ما قيل فيمن يفخر ويتبختر، جاء في نهج البلاغة: (ما لابن آدم والفخر وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه ولا يدفع حنفه)[4].

٥. تربية النفس على مقابلة الإساءة بالإحسان.

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٩٢.

[2] في ظلال الصحيفة السجادية: ص ٢٥٢.

[3] سورة الرعد، الآية: ١٧.

[4] نهج البلاغة، شرح: محمد عبده، الحكمة: ٤/ ١٠٤.

المشاكل الاجتماعية بين الأفراد إنما تبدأ بخطأ من طرف أو شخص فإذا قوبل الخطأ بتصرف من جنسه كردّ فعلٍ عليه، ترسخت المشكلة وتعقدت،وهذا لا يتوافق ما تدعو إليه التربية الاجتماعية السليمة في مقابلة الإساءة بالإحسان،لإزالة آثار الإساءة من القلوب أولاً، ومن الواقع الاجتماعي ثانيا، ولإشاعة الإحسان كسبيل أمثل للتعامل الاجتماعي ونقرأ هذه الدروس الرائعة في دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضىً الأفعال: (اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وسَدِّدْنِي لأَنْ أُعَارِضَ مَنْ غَشَّنِي بِالنُّصْحِ، وأَجْزِيَ مَنْ هَجَرَنِي بِالْبِرِّ، وأُثِيبَ مَنْ حَرَمَنِي بِالْبَذْلِ، وأُكَافِيَ مَنْ قَطَعَنِي بِالصِّلَةِ، وأُخَالِفَ مَنِ اغْتَابَنِي إِلَى حُسْنِ الذِّكْرِ، وأَنْ أَشْكُرَ الْحَسَنَةَ، وأُغْضِيَ عَنِ السَّيِّئَةِ)[1]، فالإمام في دعائه هذا تأثر بكلماته من مجموعة من الآيات القرآنية: **﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ(٦٠) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦١) وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾**[2]، في هذا الدعاء تبرز علامات التضرع والخضوع عند الداعي، فالإمام (عليه السلام) يناجي رب العالمين ويقول ربي سددني ووفقني أقابل وأكافي بالخير من أراد بي سوءا، فكان(عليه السلام) يطوف بالليل متنكرا على بيوت الفقراء ويوزع عليهم الدراهم والدنانير[3]. فأي تربية اجتماعية في اقتلاع الأمراض الاجتماعية أفضل من هذه التربية ؟.

٦. التربية على الإصلاح بين الناس وخدمتهم.

من أهم المشاكل التي قد تهدد الجماعات البشرية نشوء الفرقة والاختلاف المؤدية إلى التنازع والذي هو الطريق الحتمي للفشل والوهم، ونرى في عبارات أدعية الإمام(عليه السلام) صفات الدور الاجتماعي للمتقين

---

(١) الصحيفة السجادية: ٩٤.

(٢) سورة الرحمن، الآية: ٦٠.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية: ص٢٦٠.

الصالحين،فكأن من دعائه (عليه السلام) في مكارم الأخلاق ومرضى الأفعال يقول:(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وحَلِّنِي بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وأَلْبِسْنِي زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وكَظْمِ الغَيْظِ، وإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وضَمِّ أَهْلِ الْفُرْقَةِ، وإِصْلَاحِ ذَاتِ الْبَيْنِ، وإِفْشَاءِ الْعَارِفَةِ، وسَتْرِ الْعَائِبَةِ، ولِينِ الْعَرِيكَةِ، وخَفْضِ الْجَنَاحِ، وحُسْنِ السِّيرَةِ، وسُكُونِ الرِّيحِ، وطِيبِ الْمُخَالَقَةِ، والسَّبْقِ إِلَى الْفَضِيلَةِ، وإِيثَارِ التَّفَضُّلِ، وتَرْكِ التَّعْيِيرِ، والإِفْضَالِ عَلَى غَيْرِ الْمُسْتَحِقِّ، والْقَوْلِ بِالْحَقِّ وإِنْ عَزَّ، واسْتِقْلَالِ الْخَيْرِ وإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي)[1].

فهنا كان تأثر الإمام زين العابدين (عليه السلام) لكلمات دعائه من مجموعة من الآيات القرآنية منها قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[2]، **﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾**[3]، فالصاحون المتقون ليسوا منقطعين إلى محراب العبادة وتربية النفس فحسب بل أن دورهم الاجتماعي يدعوهم لإقامة العدل ونشره وجمع الكلمة على التقوى من خلال التخلص من النزعات والفتن، كذلك لا بد من أمور أخرى كإصلاح ذات البين، وإفشاء المعروف ونشره، ونبذ المنكرات وطردها... وغيرها، فهذه المهمات الاجتماعية التي يتعلمها المسلمون من هذا الدعاء تجعل الدور الاجتماعي للدين حاضرا باستمرار وضروريا في المجتمع، وبدونه سيبقى المجتمع يتخبط تخبط العشواء في جميع جوانبه ما يؤدي إلى كثرة الأوبئة والأمراض وتشتت

---

[1] الصحيفة السجادية: ص٩٦.

[2] سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

[3] سورة هود، الآية: ٨٨.

المجتمعات، وغير ذلك من الأمور الخطيرة التي تؤدي إلى القتال الدموي كما نشاهد ذلك في مجتمعنا الحالي.

وكان من دعائه (عليه السلام) في الاستعاذة من المكاره وسيء الأخلاق ومذامّ الأفعال قوله: (وسُوءِ الْوِلَايَةِ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِينَا، وتَرْكِ الشُّكْرِ لِمَنِ اصْطَنَعَ الْعَارِفَةَ عِنْدَنَا،أَوْ أَنْ نَعْضُدَ ظَالِماً، أَوْ نَخْذُلَ مَلْهُوفاً، أَوْ نَرُومَ مَا لَيْسَ لَنَا بِحَقٍّ، أَوْ نَقُولَ فِي الْعِلْمِ بِغَيْرِ عِلْمٍ)[1] فقد تأثر(عليه السلام) بكلماته تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[2]، **﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾**[3].

هذه بعض نماذج المظاهر الاجتماعية التي يستفاد منها المسلمون من أدعية الإمام السجاد (عليه السلام) في الصحيفة السجادية والذي يتوازن فيه الفردي مع الاجتماعي وتنسجم فيه تزكية النفس مع إصلاح المجتمع في عملية تربوية واقعية متكاملة لا تغفل من جوانب الإنسان والحياة في أي جانب.

المطلب الثاني: المضامين الاقتصادية.

١. التعامل في الحلال وفي الطيبات.

---

(١) الصحيفة السجادية: ص٥٦.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٣) سورة البلد، الآية: ١٧.

إن التعامل بما يتوافق والشرع هو نتيجة للنبع الصالح والبذرة النابعة من أصل حلال، فالإسلام لم يغلق باب على الإنسان لا بل لم يضيقه وإنما وسع مساربه بما يرضي ضمير المرء ويريح قريحته ومن ثم يزرع الثقة والتواصل المحب بين المسلمين عامة والمتعاملين وأرزاقهم وطيباتهم خاصة، وقد ورد أمر ذلك في المضامين القرآنية وبقية المضامين الراسمة والموضحة لها ولا سيما ما نجده في الأدعية المربية للنفس الإنسانية، من ذلك ما نجده في دعائه (عليه السلام) إذا قُتِّرَ عليه الرزق يقول (اللَّهُمَّ إِنَّكَ ابْتَلَيْتَنَا فِي أَرْزَاقِنَا بِسُوءِ الظَّنِّ، وفِي آجَالِنَا بِطُولِ الأَمَلِ حَتَّى الْتَمَسْنَا أَرْزَاقَكَ مِنْ عِنْدِ الْمَرْزُوقِينَ، وطَمِعْنَا بِآمَالِنَا فِي أَعْمَارِ الْمُعَمَّرِينَ،فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، وهَبْ لَنَا يَقِيناً صَادِقاً تَكْفِينَا بِه مِنْ مَئُونَةِ الطَّلَبِ، وأَلْهِمْنَا ثِقَةً خَالِصَةً تُغْنِينَا بِهَا مِنْ شِدَّةِ النَّصَبِ،واجْعَلْ مَا صَرَّحْتَ بِه مِنْ عِدَتِكَ فِي وَحْيِكَ، وأَثْبَعْتَه مِنْ قَسَمِكَ فِي كِتَابِكَ، قَاطِعاً لِاهْتِمَامِنَا بِالرِّزْقِ الَّذِي تَكَفَّلْتَ بِه، وحَسْماً لِلِاشْتِغَالِ بِمَا ضَمِنْتَ الْكِفَايَةَ لَه)[1].

فالإمام (عليه السلام) هنا قد اقتبس معاني كلماته من تكاثف قرآني المتمثل في الآيات القرآنية الآتية: ﴿**وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ**﴾[2]، وقوله تعالى:: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ**

---

[1] الصحيفة السجادية: ص١٣٦.

[2] سورة المائدة، الآية: ٨٨.

[3] سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

اللَّهَ غَنِـيٌّ حَمِيـدٌ﴾[1]، مـا يعكـس ثقافـة الإمـام (عليـه السـلام) وتـأثره بـالوحي القرآني،فرسـم بصـورة مؤدبـة متآلفـة حقيقـة الـرزق الحـلال للمؤمنين،وكيفيـة الإنفـاق فهـو لـيس طلـب للـرزق بصـورة ماديـة وإنمـا طلـب بصـورة معنويـة للـروح الإنسانية.

٢. فريضة الزكاة ووجوب الصدقات التطوعية وإعانة الفقراء.

كـان الإمـام زيـن العابدين(عليـه السـلام)كثير العطـف والحنـان علـى الفقـراء والمسـاكين، كثيـر التصـدق علـيهم، وكـان يعجبـه أن يحضـر علـى مائـدة طعامـه اليتـامى والأضـراء، والمسـاكين الـذين لا حيلـة لهـم، وكـان ينـاولهم بيـده، كمـا كـان يحمـل لهـم الطعـام أو الحطـب علـى ظهـره حتـى يـأتي بابـاً مـن أبـوابهم فينـاولهم إيـاه، كمـا جـاء فـي كتابـة (الحليـة) لأبـي نعـيم الأصـبهاني(ت ٤٣٠ه):إن الأمـام (عليـه السـلام) كـان يحمـل جـراب الخبـز علـى ظهـره بالليـل، فيتصـدق بـه، ويقـول):إن صـدقة السـر تطفـئ غضـب الـرب عـز وجـل)[2]. ويبـرز هـذا جليـاً فـي دعائه(عليـه السـلام) فـي طلـب التوفيـق لمعونـة الفقـراء علـى قضـاء الـدين (اللَّهُـمَّ حَبِّـبْ إِلَـيَّ صُـحْبَةَ الْفُقَـرَاءِ، وأَعِنِّـي عَلَـى صُـحْبَتِهِمْ بِحُسْـنِ الصَّـبْرِ، ومَـا زَوَيْـتَ عَنِّـي مِـنْ مَتَـاعِ الـدُّنْيَا الْفَانِيَـةِ فَـاذْخَرْه لِـي فِـي خَزَائِنِـكَ الْبَاقِيَـةِ،واجْعَلْ مَـا خَـوَّلْتَنِي مِـنْ حُطَامِهَـا، وعَجَّلْـتَ لِـي مِـنْ مَتَاعِهَـا بُلْغَـةً إِلَـى جِـوَارِكَ ووُصْـلَةً إِلَـى قُرْبِـكَ وذَرِيعَـةً إِلَـى جَنَّتِـكَ، إِنَّـكَ * (ذُو الْفَضْـلِ الْعَظِـيمِ) *، وأَنْـتَ الْجَـوَادُ الْكَـرِيمُ)[3]، فقـد ضـمن الإمام(عليـه السـلام) كلامـه و جملـه بمفـردات مـن القـرآن الكـريم والتـي جـاءت فـي عـدة آيـات قرآنيـة منهـا قولـه تعـالى: **﴿وَأَقِيمُـوا الصَّـلَاةَ وَآتُـوا الزَّكَـاةَ وَارْكَعُـوا مَـعَ**

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

[2] حليـة الأوليـاء وطبقـات الأصـفياء، أحمـد بـن عبـد الله بـن أحمـد الأصـبهاني، ابـو نعـيم، السـعادة – مصر، د. ط، ١٩٩٦م: ٣/ ١٣٧.

[3] الصحيفة السجادية: ص١٣٨.

الـرَّاكِعِينَ﴾[1]، وقولـه تعـالى:**﴿ إِنَّ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَعَمِلُـوا الصَّـالِحَاتِ وَأَقَـامُوا الصَّـلَاةَ وَآتَـوُا الزَّكَـاةَ لَهُـمْ أَجْـرُهُمْ عِنـدَ رَبِّهِـمْ وَلَا خَـوْفٌ عَلَـيْهِمْ وَلَا هُـمْ يَحْزَنُـونَ﴾**[2]، وقولـه تعـالى: **﴿لَّـيْسَ الْبِـرَّ أَن تُوَلُّـوا وُجُـوهَكُمْ قِبَـلَ الْمَشْـرِقِ وَالْمَغْـرِبِ وَلَٰكِـنَّ الْبِـرَّ مَـنْ آمَـنَ بِـاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَالْمَلَائِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّـينَ وَآتَـى الْمَـالَ عَلَـىٰ حُبِّـهِ ذَوِي الْقُرْبَـىٰ وَالْيَتَـامَىٰ وَالْمَسَـاكِينَ وَابْـنَ السَّـبِيلِ وَالسَّـائِلِينَ وَفِـي الرِّقَـابِ وَأَقَـامَ الصَّـلَاةَ وَآتَـى الزَّكَـاةَ وَالْمُوفُـونَ بِعَهْـدِهِمْ إِذَا عَاهَـدُوا وَالصَّـابِرِينَ فِـي الْبَأْسَـاءِ وَالضَّـرَّاءِ وَحِـينَ الْبَـأْسِ ۗ أُولَٰئِـكَ الَّـذِينَ صَـدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[3].

فمعنـى قولـه (عليـه السـلام) (اللهـم حبـب إلـيّ صـحبة الفقـراء) حتـى أحـب أن أصـاحبهم (وأعنـي علـى صـحبتهم بحسـن الصـبر) بـأن تتفضـل علـيّ بصـبر حسـن أتمكـن بـه مـن تحمـل الأذى والحـزن الموجـود فـي كثيـر مـن الفقـراء، (ومـا زويـت عنـي) أي: بعـدت،(من متـاع الـدنيا الفانيـة) أي: أسـبابها وزينتهـا التـي يتمتـع ويتلـذذ الإنسـان بهـا، (فـاذخره لـي فـي خزائنـك الباقيـة) أي: تعطيهـا لـي فـي الآخـرة، (واجعـل مـا خـولتني) أي: أعطيتنـي، (مـن حطامهـا) أي: مـن متاعهـا سـمي حطامـا تشـبيهاً بعـود الـزرع الـذي يـتحطم ويتكسـر لـدى الجفـاف ممـا لا قيمـة لـه، (وعجلـت لـي مـن متاعهـا بلغـة إلـى جـوارك) أي: وفقنـي لأن أصـرفها حتـى تسـبب لـي بلـوغ جـوارك فـي الآخـرة، والمـراد جـوار رحمتـه وفضـله فـي الجنـة، (ووصـلة) أي: آلـة للإيصـال، (إلـى قربـك) قـرب الشـرف بـأن أصـرفها فـي الخيـر حتـى أنـال بـذلك رضـاك، (وذريعـة) أي: وسـيلة، (إلـى جنتـك) فـإن المـال المصـروف فـي الوجـوه المشـروعة يوجـب الجنـة، (إنـك ذو الفضـل العظـيم وأنـت

---

[1] سورة البقرة، الآية: ٤٣.

[2] سورة البقرة، الآية: ٢٧٧.

[3] سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الجواد الكريم) الذي تتفضل وتجود بما طلب منك، فأعطني طلبتي بتوفيقي لما ذكرت في الدعاء[1] فدعاؤه(عليه السلام) جاء مترتبا على العلل والأسباب على وفق مبدأ الأخلاق السماوي الذي أشار إليه القرآن الكريم.

٣. تجنب التبذير والإسراف في الإنفاق.

الغالب على المرء- كما نراه اليوم- يطلب الرزق بغير تحديد أيّاً كان وضعه المعاشي، ومن غير الالتفات إلى ما حذّر منه القرآن الكريم من خلال نهيه عنه محذراً إياه من تداخل الشيطان في عمله، ولكن نجد تربية الإمام(عليه السلام) متأثرة بالتعاليم الإلهية للنفس البشرية من أن تنزو عن الصواب بأي مسلك سواء أكان مادياً أم معنوياً، فكان من دعائه(عليه السلام) في المعونة على قضاء الدَّين(اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وآلِه، واحْجُبْنِي عَنِ السَّرَفِ والإِزْدِيَادِ، وقَوِّمْنِي بِالْبَذْلِ والإِقْتِصَادِ، وعَلِّمْنِي حُسْنَ التَّقْدِيرِ، واقْبِضْنِي بِلُطْفِكَ عَنِ التَّبْذِيرِ)[2] نجد الإمام(عليه السلام)- هنا وفي سائر أدعيته- قد أطلق القوامة لله عز وجل، مقيدا بذلك جميع قواه المادية والمعنوية أمام الخالق، متضرعا خاضعا، طالبا التدخل الإلهي في سير نفسه في الحياة الدنيا، مما جاء متوافقا وكتاب الله عز وجل: **﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴾**[3] وقوله تعالى:**﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ**

---

[1] شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، د. ط، ٢٠٠٨م: ١٤.

[2] الصحيفة السجادية: ١٣٨.

[3] سورة المؤمنون، الآية: ٣٣.

وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا(٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾[١].

فقوله(احجبني) أي: امنعني، (عن السرف) هي الزيادة في الصرف،(والازدياد) عن قدر الحاجة، (وقومني) أي: قوّم أموري، (بالبذل) بأن أبذل قدر اللازم فلا أبخل، (الاقتصاد) بأن أتوسط في الإنفاق فلا أسرف، (وعلمني حسن التقدير) بأن أقدر أموري تقديراً حسناً حتى أعرف كيف أحصل وكيف أنفق، (واقبضني) أي: اقبض على يدي وامنعني، (بلطفك عن التبذير) وأجر من أسباب الحلال أرزاقي حتى لا أحتاج إلى أسباب الحرام كالربا وما أشبه[٢].

المطلب الثالث: المضامين الاجتماعية.

لقد رسم الإمام السجاد لنا أسس علاقتنا بكل أهل ملتنا؛ حيث ان كلام الإمام السجاد (عليه السلام) صريح في المسؤولية التي على عنق الجميع وهي: ((...وان تحب لهم ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك...)) وفي نسخة اخرى يقول الامام (عليه السلام) ((... فعمّهم جميعا بدعوتك...)) أي ان ندعو لجميع المسلمين في كل بقاع الارض بالصلاح والهداية والرشاد والأمن والاستقرار والازدهار وغير ذلك.

((...وانصرهم جميعا بنصرتك...)) وهذا نص في وجوب نصرة جميع أهل الملة، وليس ظاهراً، وهو واجب كفائي لم يقم به من فيه الكفاية، فقد أثم الجميع من القادرين على ذلك ((... وانزلهم جميعا منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ...)).

---

[١] سورة الإسراء، الآية: ٢٦، ٢٧.

[٢] شرح الصحيفة السجادية، محمد الحسيني الشيرازي، موقع الشيرازي.

فهل نجد هذا الاحساس في دخيلة أنفسنا؟ وهل إذا ما رأينا زائر قادماً من الباكستان او الحجاز واليمن أو مصر وتونس والمغرب أو إيران وأفغانستان والخليج أو الشرق أو الغرب أو غير ذلك وهو أكبر منا سِنّاً هل نستشعر انه بمنزلة والدنا؟!!

اننا لو امتثلنا وصية امامنا السجاد (عليه السلام) في خصوص حقوق اهل الاسلام علينا فسوف تعود لنا السيادة والريادة في كل شيء والا فسنبقى في ذيل القافلة وسوف يستمر مسلسل سحق حقوقنا في كل الأبعاد وسيصادر الغرب والشرق حتى تاريخنا ومجدنا وانجازاتنا وحقوقنا على البشرية، وسنشير ههنا إلى مثال واحد من بين عشرات الألوف من الأمثلة.

نموذج صارخ من إجحاف الآخرين بفضل آل البيت (عليهم السلام) على البشرية

يقول صاحب معجم تاريخ العلوم الانسانية:

أ. تاريخ ولادة حقوق الإنسان.

(يمكننا رد تاريخ ولادة حقوق الانسان الى عريضة الحقوق الموقعة في بريطانيا الكبرى عام ١٦٢٨م والتي اكدت الحقوق التقليدية للشعب الانجليزي)[1].

وهنا نقول: اين عهد الامام علي (عليه السلام) لمالك الاشتر وهو والذي يعتبر أعظم وثيقة لحقوق الانسان؟ وكيف تُردّ ولادة تاريخ حقوق الإنسان الى ما كتبه الانجليز في القرن التاسع عشر، وقد سبقهم الامام علي بأكثر من عشرة قرون الى ذلك؟؟

[1] معجم العلوم الإنسانية، مادة حقوق الإنسان: ص٣٥٤.

ما ذلك الا لتقصيرنا في نشر رسائل الحقوق الاسلامية التي كتبها اهل البيت بأيديهم وامروا المسلمين باتباعها ونشرها والترويج لها في كل العالم، فلقد كتب الامام علي (عليه السلام) عهده الى مالك الاشتر، وكذلك رسالته الى ولده محمد بن الحنفية المعروفة، كما كتب الامام زين العابدين (عليه السلام) رسالته في الحقوق الى جميع المسلمين، لكن العالم الاسلامي منشغل بقول مسلمة الفتح وغيرهم ممن لا يحسنون الوضوء والذين رفعوهم الى مستوى رسول الله صلى الله عليه واله واعتبروهم أفضل الناس بعد رسول الله!!

يقول امير المؤمنين (عليه السلام) ((الناس صنفان إما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق)) وقد كان الامير (عليه السلام) حاكما وقد طبق ذلك كله.

أ. حقوق الطفل.

ثم يقول صاحب المعجم: ففي العشرين من تشرين الثاني عام ١٩٨٩م، تبنت منظمة الامم المتحدة الاتفاقية الدولية لحقوق الطفل ولأول مرة ظهر نص عالمي له قيمة قضائية يعترف للطفل بحقوقه".

في حين ان الاسلام سبقهم الى ذلك فقد ورد في الرواية المعتبرة ((رفع القلم عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه))[١] ولهذه الرواية وهذا الحكم اكبر القيمة القضائية، وان الألوف من الفروع الفقهية الاسلامية رتبت عليها وقد حكمت على طبقها البلاد الإسلامية لفترات طويلة.

كما ان هناك رواية اخرى: ((...عَمْدَ الصَّبِيِّ خَطَأٌ تَحْمِلُهُ الْعَاقِلَة...))[٢] وهو نص حقوقي قانوني عام.

---

[١] عوالي اللآلي: ٣/ ٥٢٨.

[٢] وسائل الشيعة: ٢٩/ ٨٨.

كما ان الامام السجاد (عليه السلام) في رسالته الحقوقية يقول: ((وَحَقُّ الصَّغِيرِ رَحْمَتُهُ فِي تَعْلِيمِهِ وَالْعَفْوُ عَنْهُ، وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ، وَالرِّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ))[1] وهذا يفوق ما يدّعونه من حقوق للطفل في عالم اليوم، وكل كلمة من كلمات الامام (عليه السلام) توزن بجبال من الذهب تفوق عليها لكن المجال قصير لا يسمح بدراستها والتدبر فيها واستنباط الدروس والقيم والمسائل منها.

١. حقوق الشعوب.

ثم يتابع صاحب المعجم ويذكر حقوق الشعوب والاقليات فيقول: "تعود فكرة حق الشعوب الى القرن الاخير وقد وجدت روحا جديدة لها في مؤتمر باندونغ في اندنوسيا عام ١٩٥٥م".

وهذا الكلام كسوابقه اما كذب مقصود او جهل فاضح؛ لان القران الكريم يذكر حقوق الشعوب والقبائل، وقد فصلنا ذلك في كتاب (الخط الفاصل بين الحضارات والاديان) انطلاقا من قوله تعالى في سورة الكافرون **﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾**[2] وقد اوضحنا بالتفصيل ان هذه الآية الشريفة يستفاد منها قاعدة الامضاء والتي هي فوق قاعدة الالزام لمن يعرف هذه القواعد، وهذا حق كبير فصلنا الكلام عنه هنالك.

كما يقول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام): ((لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم وبين أهل الفرقان بفرقانهم...))[3] وهذا حق من أعظم حق الشعوب وقد صرح به الامير صلوات الله عليه قبل اكثر من ألف عام.

---

[1] من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦٢٥.

[2] سورة الكافرون، الآية: ٦.

[3] إرشاد القلوب: ٢/ ٢١٢؛ بحار الأنوار: ٣٠/ ٦٧٢.

وهنـاك المئـات مـن النصـوص بهـذا الصـدد ولـو فيهـا تـدبر المنصـفون ونطـق بهـا القـائمون علـى الاسـلام ورفعـوا اصـواتهم عاليـا ووحـدوا مـواقفهم وجهودهم لتغيرت المعادلات.

ان هذه الحقوق كنا نحن السباقين لها وقد ذكرت في اصح مصادرنا من القران الكريم الى نهج البلاغة الى رسالة الحقوق الى سائر أحاديث اهل البيت، لكن الذي يؤسف له هو ان المسلمين تركوا ما في أيديهم من جواهر المعاني ولباب الافكار وتشريعات الحقوق وانصاعوا الى ما يلقيه عليهم الغرب الذي نمّق وزوق بعض المبادئ وصاغ منها تشريعات حتى اعتبروه اول من اسس ورسخ حقوق الانسان في العالم.

مسؤولية الأمن الفردي والاجتماعي.

جاء الإسلام للإنسانية، وعرفها حقوقها، وما لها، وما عليها، وهذه الحقوق التي أتى بها ليست مجرد حقوق في نظره فقط؛ بمعنى أنّ للإنسان حق التنازل عنها، أو بعضها؛ وإنّما هي ضرورات واجبة في حقّه فردية كانت، أو جماعية؛ فلا سبيل لحياة الإنسان من دونها [1]، وأنّ من مقررات الشريعة الغراء، ومبادئها العظيمة هو إعلان مبدأ المسؤولية فردية كانت، أو اجتماعية؛ حيث فرضت على ذلك جزاءً لمن أخلّ في روابط تلك المسؤولية، والتي كان الهدف منها إقامة المجتمع الإسلامي الذي تنشده الجماعة حماية لمصالحها، وأمنها؛ فأرست لذلك أسس رصينة لبناء المجتمع الفاضل لما تتّسم به من صفات غائية، وأهداف بعيدة الأمد [2].

---

[1] ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لاحقوق، د. محمد عمارة، المشرف العام: أحمد مشاري العدواني، د. ط، ١٩٨٥م: ص ١٥.

[2] ينظر: مؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية، لعبد السلام التونجي: ص ٥٩.

ويمكن إجمال أبرز تلك المبادئ فيما يأتي:

١. أنّها منعت كل سبل الشر، والضرر، والظلم، وأكل حقوق الآخرين، وحرمته.
٢. وأنّها منعت كل ما يجلب الأذى للدين، والنفس والعقل، والعرض، والمال، وحرّمت القتل، والزنا، وكل صور الفساد في المعاملات المالية من نقصٍ في الميزان، وتطفيفٍ فيه، واحتكار المترفين لأقوات الضعفاء من الناس.
٣. أنّها تقرر في كل مسألة فيها ضرر على الإنسان ما يتوجّب على الإنسان فعله، وتضع أمامه الحلول الناجعة، والسبل الوقائية التي تمكنه من الحفاظ على حقوقه التي منحه الله ﷻ إياها [١].

فإذا أمعنّا النظر في هذه المبادئ التي تقدّمت نجد ذلك واقعاً حيوياً نعيشه، ونلحظه.

ولمزيد من توضيح هذه المبادئ نسلّط الضوء على أثر هذه المسؤولية في واقع الفرد، والمجتمع من خلال ما عالجته مقاصد الشريعة في الحفاظ على أسسها في حماية الفرد، والمجتمع من خلال المسؤولية [٢].

ثمّ إنّ المقاصد التي قام عليها أسس التشريع هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ العِرض، وحفظ المال، وغاية تلك المقاصد هو جلب المنفعة لها، ودفع المفسدة عنها [٣].

---

[١] ينظر: المرجع نفسه: ص ٦٢.

[٢] ينظر: مؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية، لعبد السلام التونجي: ص ٦٢.

[٣] ينظر: تنظيم الإسلام للمجتمع، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، مصر – القاهرة، ط١، د. ت: ص ٥٦.

ولا شكّ أنّ في هذا تمام المصلحة التي اعتبرها الشارع هدف لما شرّعه، وهذه المصلحة تعرف عند علماء أصول الفقه بالضرورات، والحاجيات، والتحسينيات [١].

ومن ثمّ كان الحفاظ على تلك الحقوق أمراً واجباً، هذا من جانب، ومن جانب آخر؛ فإنّه يأثم المفرط في هدرها، وتفويتها؛ فرداً كان، أو جماعة؛ بل إنّ الإسلام قد بلغ في تقديس هذه (الضرورات) إلى الحد الذي يرى أنّه يستحيل قيام (الدين) من دون توفرّها للإنسان؛ فعليها يتوقّف أمر الإيمان، ومن ثمّ التديّن بالدين [٢].

فنظام الدين لا يحصل، ولا يستقيم إلاّ بنظام الدنيا، وإنّ كليهما متوقّف على الآخر؛ فأمّا نظام الدين؛ فإنّه مرتبط بالمعرفة، والعبادة، ولا يتوصّل إليهما إلاّ بصحّة البدن، وبقاء الحياة على قدر الحاجة [٣]، وأنّ تحقيق الأمن على هذه الضرورة يؤدي إلى انتظام الدين، وقيامه، وعليه فإنّ أمر الدين لا ينتظم إلاّ بتحقيق الأمن على هذه المهمات الضرورية [٤].

والذي يبدو لي من هذا الكلام أنّ الدين هدف ينبغي أن يحقّقه الإنسان من غير تقصير منه، ولتحقيق ذلك الهدف لا بدّ من اتّحاد الوسائل الضرورية

---

[١] ينظر: مؤسسة المسؤولية في الشريعة الإسلامية، لعبد السلام التونجي: ص ٦٣.

[٢] ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان، لمحمد عمارة: ص ١٥، ١٦.

[٣] فمن مقررات الشريعة الإسلامية: أنّ صحّة الأبدان تقدّم على صحّة الأديان؛ وذلك لأنّ صحة الأبدان مناط للتكليف، وشروط للدين والإيمان. ينظر: الإسلام وحقوق الإنسان، لمحمد عمارة: ص ١٦.

[٤] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م: ص ١٢٧، ١٢٨.

التي ترمي إلى تحقيقه، ولأنّ ما يستلزم بقاء الإنسان، وحفظ حياته لأداء ما عليه واجبٌ في حقّ الإنسان هي سبيل تحقيق ذلك الحفاظ المترتب على بقاء الإنسان نفسه فيكون واجباً وضرورياً؛ إذ ما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب، ولذلك قال – رحمه الله -: إنّ نظام الدنيا؛ أعني: مقادير الحاجة شرطٌ لنظام الدين [1].

ولأنّ الكلام يطول في استقصاء هذه المصالح اقتصرت بذكر ما يتعلّق بالأمور الضرورية لمعرفة أثر المسؤولية فيها، ورتبتها بحسب أولويتها على النحو الآتي:

أولاً: حفظ الدين.

فمن خلال النظرة العاقلة الفاحصة نجد أنّ قيام المجتمعات؛ لا يتم صلاحها، ولا تتحقق أهدافها ما لم تتمكّن من إقامة مقاصدها؛ والتي هي ضروراتها التي تكفل تحقيق مجتمع متكامل متماسك متعاون قائم على المودة بأسمى معانيها، وإنّ أخص تلك المقاصد التي حرص الإسلام على إبرازها، ونادى بقيمتها هي حفظ الدين، أي: ضرورة التمسك بشريعة الله، وإزالة مظاهر الشرك، والإلحاد كلّها، واتّحاد ما يلزم من الوسائل في محاججة المخاصمين في أي مبحث من مباحث التوحيد المتعلقة بالإيمان بالله، والإيمان بالرسل، والإيمان باليوم الآخر [2].

---

[1] ينظر: المصدر نفسه المكان نفسه.

[2] ينظر: بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م: ٣٤؛ المجتمع المتكافل في الإسلام، لعبد العزيز الخياط: ص ١١، ١٢.

ويمكن أن نلتمس الخطوط الدفاعية بحماية، وحفظ الدين من خلال الآيات التي وردت في سورة الإسراء في مجابهة المشركين حول ما يتعلّق بجانب توحيد الله، وعبادته وحده، وما يتعلق بجانب صدق الأنبياء، والرسل، وصدق ما جاءوا به عن الله، وتأييدهم بالمعجزات الحسية، والمعنوية، وكذلك فيما يتعلق بجانب الإيمان باليوم الآخر من أمر المعاد، والبعث، وأهوال الآخرة بالأدلة الداحضة، والبراهين الساطعة.

وقد أسهم الإمام السجاد (عليه السلام) في حفظ دين المسلمين

وبذلك الاسلوب الذي اتبعه الإمام السجاد (عليه السلام) استطاع أن يحفظ الدِّين ويُرجع إليه المسلمين، وذلك لأنه؛ "كان أحد أهداف بني أمية هو محو وطمس حقيقة الإسلام وآثار النبي الأكرم (عليه السلام)، وقد صرف معاوية بن أبي سفيان أموالاً طائلة للسيطرة على الحكم الإسلامي والأمة الإسلامية ومحاربة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وشيعته، فكان معاوية يُريد ألا يَبقى من الإسلام إلا الاسم الظاهري، وذلك ضمن الإطار الذي يخدم سلطته وملكه واستمرارية ذلك في عائلته، وقد أقسم مراراً بأن يطمس ذكر رسول الله (ص) ويدفن اسمه الشريف، ويقتل ذريته ويجعلهم نسياً منسياً"، كقوله للمغيرة: (لا والله إلا دفناً دفنا).

وقد سار يزيد بن معاوية على تحقيق هذا الهدف أيضاً وتمكن لحد كبير أن يقلب بعض المعادلات ويعكس الوجه الحقيقي للإسلام، وينشر الفساد والإفساد في المجتمع الإسلامي، فقد كان يمارس الفحشاء والمنكر والأعمال التي تخالف الإسلام علناً، وأراد القضاء على شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، فكان يضع العيون عليهم أينما كانوا، وربما اعتقلهم وزجَّ بهم في قعر السجون ويأخذ بتعذيبهم ومن ثم إعدامهم، كما فعل أبوه من قبل، وأخيراً سعى

للقضاء على ذرية الرسول الأكرم (ص) وأهل بيته الطاهرين (عليه السلام) فلا يبقى لهم اسم يذكر.

لقد أدى الإمام السجاد (عليه السلام) دوراً مهماً جداً للإبقاء على الإسلام ومعارفه، في تلك الظروف القاسية، فأخذ بتربية أجيال من الفتيان والفتيات تربية صالحة.. فكان يشتري الكثير من العبيد والإماء وفي خلال فترة قصيرة كان (عليه السلام) يشرع بتربيتهم وتثقيفهم بالثقافة الإسلامية حيث يعلّمهم القرآن وأحكامه، ويبين لهم سيرة رسول الله (ص) والإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأهل بيته الطاهرين (عليه السلام) ومن ثم يقوم بتحريرهم وذلك بإعتاقهم في سبيل الله، ورويداً رويداً كان هؤلاء يدخلون المجتمع الإسلامي ويقومون بنشر أفكار الإمام (عليه السلام) في أوساط الناس، حتى أن مجموعة من تلك الإماء المتعلمات وصلن إلى داخل القصر الأموي وضمن حريم بني أمية وشرعن بإيصال ظلامة أهل بيت النبوة (عليه السلام) وكذلك تعليم المطالب الحقة إلى نساء وأبناء السلاطين وحُجّاب بني أمية"[1].

وأما الأسلوب الآخر الذي اتبعه الإمام الرابع من أئمة المسلمين (عليه السلام) كان يتمثَّلُ في منهجه بالدعاء، فأعطى كل التعاليم، وعرَّف الأمة كيف تتحدَّث مع الله تعالى وتشكو إليه، فبلور منهجاً إبداعياً ما زالت الأمة تنهل من ذاك المنهل العذب الذي يُسميه علماؤنا الأعلام (زبور آل محمد) المتمثل بالصحيفة السجادية النورانية التي لا يوجد مثيلاً لها بعد القرآن الحكيم والنهج العلوي الشريف.

---

[1] الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدوة الصالحين، السيد محمد الشيرازي، موسسه تحقيقات و نشر معارف اهل البيت (عليه السلام)، د. ط، د. ت: ص٣٠.

وكانت رسالة الإمام السجاد (عليه السلام) في الأمة هي إعادة الروح الإيمانية فيها، ونفخ الروحانية التي دمَّرها صبيان النار الأموية بأحقادهم، وجرائمهم التي مازالت حديث المحافل والمناقل، وكثير من العلماء أنكروها لأنه خارجة عن العقل، حتى قال أحدهم: "لا يُعقل أن يحدث ذلك"، في ذلك العصر، وهم على مرمى حجر من حياة الرسول العظم (ص)، ولكن الحقيقة والواقع يقول: أن بني أمية اللعناء والطلقاء ما تركوا جريمة إلا ارتكبوها، ولا حُرمة إلا انتهكوها، ولكن هذه الأمة التي تُقدِّس الحكم والسلطان بالمنهج الأموي مازالت تبحث عن أعذار لجرائم خلفائهم، ويتمنون مشاركتهم في كل ما فعلوه، وللأسف يدَّعون أنهم من أمة محمد بن عبد الله (ص)، وما هم إلا من أمة محمد بن عبد الوهاب... الذي سار على خطى أستاذه ابن تيمية....

نهض الامام السجاد(عليه السلام) بواقع الاسلام والمسلمين بعد استشهاد ابيه(عليه السلام) من خلال التأسيس لمدرسة الصادقين الباقر والصادق(عليهما السلام) فقد كان نشاطه عظيم وهائل إلا إن التاريخ حصر دوره(عليه السلام) في امرين وهما واقعة الطف وادعية الصحيفة السجادية، وفي هذا البحث سوف نسلط الاضواء على الدور الحقيقي الذي مارسه الامام السجاد (عليه السلام) للنهوض بواقع الامة.

فقد مني المسلمون بإخفاق ويأس مما في الإسلام من خطط تحررية، ومخلصة من العبودية والفساد، وذلك لما رأوا الأمويين - أعداء هذا الدين قديما، ومناوئيه حديثا - قد استولوا على الخلافة، وبدأوا يقتلون أصحاب هذا الدين من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأنصار القدماء له، ويعيثون فسادا في أرض الإسلام بالقتل والفجور، وكل منكر، حرمه الإسلام.

وإذا كان صاحب الحق، منحصرا في الإمام علي بن الحسين السجاد (عليه السلام)، الذي قام النص على إمامته، وهو وارث العترة، وزعيم أهل

البيت في عصره، فهو الإمام الحامل لثقل الرسالة على عاتقه، فلا بد أن يدبر الخطة الإصلاحية، ليجمع القوى، ويلملم الكوادر المتفرقة، ويعيد الأمل إلى النفوس اليائسة، والرجاء إلى العيون الخائبة، والحياة إلى القلوب الميتة. لهذا كان للإمام السجاد (عليه السلام) ثلاث أهداف ودواعي من وراء تأسيسه لمدرسة الامامية وهي:

١. إبقاء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حيويةً فاعلةً في ضمير أجيال الأمة على الرغم من منع الامويين لذلك لما لها من دور في تربية وتهذيب الامة.
٢. إن يربي جيلا من المؤمنين على التعاليم الحقة التي جاء بها، والأخلاق القيمة التي تخلق بها، لكي يكونوا له أعوانا على الخير.
٣. إن يدخل المجتمع بكل ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله.
٤. إن يقاوم الفساد، الذي يبثه الظالمون في المجتمع، بهدف تفكيكه وشل قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحق والخير والجمال، لئلا يصنعوا منه آلة طيعة تستخدم حسب رغباتهم وطوع إرادتهم.

ومن أبرز الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تحركه القيادي هو ما قام به من جمع صفوف المؤمنين، والتركيز على تربيتهم روحيا، وتعليمهم الإسلام، واطلاعهم على أنقى المصادر الموثوقة للفكر والاخلاق الإسلامية، ومن خلال روافده الثرة الغنية، بهدف وصل الحلقات، كي لا تنقطع سلسلة عقد الإيمان، ولا تنفرط أسس العقيدة.

المطلب الرابع: الاحداث ما بعد واقعة الطف.

رجع الإمام السجاد (عليه السلام) إلى المدينة وهو مثقل بالأحزان والالام ليواجه الخطر المحدق بالإسلام، والذي انتشر في نفوس الأمة وهو اليأس والقنوط من الدين وأهدافه، بعد ما تعرض الحسين ابن بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمثل هذا القتل، وما تعرض له أهله من التشريد والسبي، في بلاد المسلمين. فهذا الوزير عبيد الله بن سليمان كان يرى: أن قتل الحسين أشد ما كان في الإسلام على المسلمين، لأن المسلمين يئسوا بعد قتله من كل فرج يرتجونه، وعدل ينتظرونه[1]. هذا بالنسبة إلى أصل الإسلام.

وأما بالنسبة إلى الإمامة، وإلى أهل البيت، وإلى الإمام (عليه السلام)، فقد تفرق الناس عنهم، وأعرضوا، بحيث عبر الإمام الصادق (عليه السلام) عن ذلك: بالارتداد. قال (عليه السلام): ارتد الناس بعد قتل الحسين (عليه السلام) إلا...)[2].

وكان منشأ اليأس والردة: أنهم وجدوا الآمال قد تبددت بقتل القائد، وسبي أهله، وظهور ضعف الحق وقلة أنصاره، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى ملأ الرعب قلوبهم لما وجدوا الدولة على هذه القوة والجرأة والقسوة، فكيف يمكن التصدي لها، والإمام في مثل هذا الموقع من الضعف، فليس التقرب منه إلا مؤديا إلى الاتهام والمحاسبة، فلذلك ابتعد الناس عن الإمام (عليه السلام).

---

[1] ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي: ص ٦٨٨ – ٦٩٠.

[2] اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، أبي جعفر الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، د. ط، ١٤٠٤هـ: ص ١٢٣.

فانفراط أمر الشيعة بعد مقتل الحسين (عليه السلام) وتشتت قواهم، كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام السجاد (عليه السلام) بعد رجوعه إلى المدينة، وكان عليه – لأنه الإمام، وقائد المسيرة - أن يخطط لاستجماع القوى، وتكميل الإعداد من جديد، وهذا كان بحاجة إلى إعداد نفسي وعقيدي وإحياء الأمل في القلوب، وبث العزم في النفوس.

وقد تمكن الإمام السجاد (عليه السلام) بعمله الهادئ الوادع من الإشراف على تكميل هذه الاستعادة، وعلى هذا الإعداد، والتمهيد، بكل قوة، وبحكمة وبسلامة وجد.

وكما قد يكون تأسيس بناء جديد، أسهل وأمتن من ترميم بناء متهرئ، فكذلك، إن بناء فكرة في الأذهان الخالية من الشبهات، والمليئة بالأمل بهذه الفكرة، والجادة في الالتفاف حولها، والعزم على إحيائها، هو أسهل وأوفر جهدا من محاولة ترميم فكرة أصاب الناس يأس منها، وتصوروا إخفاق تجربتها، وهم يشاهدون إبادة كبار حامليها، وضعف أنصارها، واستيلاء المعارضين عليها، فحرفوا معالمها، وشوهوا سمعتها، وزيفوا أهدافها.

فإن عامة الناس يقفون موضع الحيرة والشك من كل ما قيل وطرح وعرض، ويحاولون الانسحاب والارتداد، والوقوف على الحواشي، ليروا ما يؤول إليه أمر القيادات المتنازعة!

فقد مني المسلمون بإخفاق ويأس مما في الإسلام من خطط تحررية، ومخلصة من العبودية والفساد، وذلك لما رأوا الأمويين - أعداء هذا الدين قديما، ومناوئيه حديثا - قد استولوا على الخلافة، وبدأوا يقتلون أصحاب هذا الدين من أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، والأنصار القدماء له، ويعيثون فسادا في أرض الإسلام بالقتل والفجور، وكل منكر، حرمه الإسلام.

وإذا كـان صـاحب الحـق، منحصـرا فـي الإمـام علـي بـن الحسـين السـجاد (عليـه السـلام)، الـذي قـام الـنص علـى إمامتـه، وهـو وارث العتـرة، وزعـيم أهـل البيـت فـي عصـره، فهـو الإمـام الحامـل لثقـل الرسـالة علـى عاتقـه، فـلا بـد أن يـدبر الخطـة الإصـلاحية، ليجمـع القـوى، ويلملـم الكـوادر المتفرقـة، ويعيـد الأمـل إلـى النفوس اليائسة، والرجاء إلى العيون الخائبة، والحياة إلى القلوب الميتة.

إلـى جانـب مقاومتـه للأعـداء، وتفنيـد مـزاعمهم واتهامـاتهم، والكشـف عـن مؤامراتهم ودسائسهم، وتبديد خططهم وأحابيلهم!

الانحرافات التي عصفت بالمجتمع بعد واقعة الطف.

كـان الوضـع العـام للدولـة الاسـلامية يعـاني مـن انحرافـات حـادة فـي مختلـف الجوانـب السياسـة والفكريـة والخلقيـة والاجتماعيـة والاقتصـادية وكانـت هـذه الانحرافـات تهـدد العقيـدة الاسـلامية لـيس فقـط بتغييـر مسـيرتها وانمـا ايضـاً بزوالهـا ومـن هنـا اخـذ الامـام السـجاد (عليـه السـلام) علـى عاتقـه معالجـة هـذه الانحرافـات وسـوف نسـلط الاضـواء علـى الانحـراف الخلقـي والاجتمـاعي والاقتصادي وعلى النحو الاتي:

أولاً: الانحراف الاخلاقي.

النـاس علـى ديـن ملـوكهم، واذا كـان يزيـد مولعـاً بـالقرود والفهـود والكـلاب والخمـر والفحشـاء فانـه بـالطبع سـوف تـنعكس اخلاقـه وشـذوذه علـى غالبيـة طبقـات المجتمـع خصوصـاً وان الامـة كانـت لا تعـيش الاسـتقرار فـي كافـة الاصـعدة، يقـول المسـعودي فـي مـروج الـذهب: وكـان يزيـد صـاحب طـرب وجـوارح وكـلاب وقـرود وفهـود ومنادمـة علـى الشـرب... وغلـب علـى اصـحاب يزيـد وعمالـه مـا كـان يفعلـه مـن فسـوق وفـي ايامـه ظهـر الغنـاء بمكـة والمدينـة واسـتعملت الملاهـي واظهـر النـاس شـرب الخمـر وكـان لـه قـرد يكنـى بـأبي قبـيس يحضـره مجلـس

منادمته ويطرح له متكأً[١]، وانغمس الامويين في الترف وقد ذكر المؤرخون اخبار كثيرة عن ترفهم وتلاعبهم باقتصاد الامة وثرواتها[٢]، حتى بالغوا في هباتهم للشعراء واجزلوا العطاء للمغنين[٣]، وسادت حياة اللهو والعبث والمجون في كثير من انحاء العالم الاسلامي وخصوصاً في مكة والمدينة وعمدت السلطات الاموية الى اشاعة ذلك فيهما لإسقاط هيبتهما في نفوس المسلمين فلقد شاع الغناء في مدينة الرسول (صلى الله عليه واله) بشكل يندى له جبين الانسان المؤمن بالله ورسوله حتى صارت مركزاً له وقال ابو فرج في الاغاني: ان الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم ولا يدفعه عابدهم[٤]، وقال ابو يوسف لبعض اهل المدينة: ما اعجب امركم يا اهل المدينة في هذه الاغاني! اما منكم شريف ولا دنيء يتحاشى عنها، فغدت المدينة في ذلك العصر مركزاً من مراكز الغناء في الحاضرة الاسلامية واصبحت معهداً متميزاً لتعليم الجواري الغناء[٥].

وكل هذا ان دلل على شيء فانه يدلل على مدى الانحلال الخلقي في ذلك العصر في حين ان الشريعة الاسلامية قد حاربت اللهو والمجون ودعت الانسان المسلم الى حياة الايمان والتقوى والابتعاد عن مواطن الشيطان

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دارالهجرة، ايران– قم، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م: ص٦٧.

(٢) حياة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، باقر شريف القرشي، موسسة الامام المجتبى، ايران - قم، د. ط، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م: ص٦٦٥.

(٣) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ: ١/ ٥٥، ٤/ ٥، ٥/ ١١١.

(٤) الأغاني، الاصفهاني: ٨/ ٢٢٤.

(٥) الأغاني، الاصفهاني: ٢/ ٢٣٨، ٢/ ٢٢٦، ٣٠٧/٣، ٤/ ٢٢٢.

والاجتهاد والكدح من اجل اعمار حياته الدنيا وحياته الاخرى بالصالحات واستباق الخيرات وتسلق قمم الكمال.

ثانياً: الانحراف الاجتماعي.

الانحرافات الاجتماعية هي حصيلة جميع الانحرافات وقد نتجت بسبب توسع البلاد الاسلامية عن طريق الفتوحات وانفتاح المسلمين على ثقافات متنوعة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت في دين الله افواجاً[1]. اذ تداخل مع العرب المسلمين شعوب اخرى من اسيا وافريقيا وأوربا والتي كان لها ثقافات واعراف وتقاليد وقيم واوضاع اجتماعية مختلفة عن ما تربى عليه العرب قبل الاسلام وفي عهد الاسلام وكان نتاج هذا التداخل ان واجه المجتمع الاسلامي اخطار الانفتاح على ثقافات متنوعة لا تنسجم مع الدين والتقاليد والقيم والبيئة مما ادى الى تفكك المجتمع لاقتباسه ثقافه هذه الشعوب وتقليده لها وبالتالي ادى ذلك الى الفساد والانحلال وانسياق المجتمع الاسلامي وراء ملذات الحياة والاسراف في الزينة وانطفاء الشعور بالقيم الخلقية والصلة الروحية بالله تعالى.

وقد كان احط ما وصل اليه المجتمع في عهد الامويون من الانحراف والزيغ هو عرض الضمائر والاديان للبيع وبيعها على السلطة جهاراً[2].

ومن جانب اخر انعدم الامن في جميع انحاء البلاد وساد الخوف والارهاب على الجميع مسلمين وغير المسلمين فقد اسرف الامويون بالظلم فجعلوا يأخذون البريء بالسقيم، والمقبل بالمدبر ويعاقبون على الظنة والتهمة

---

[1] اهل البيت القدوة والدور التاريخي، محمد باقر الصدر، تحقيق:عبد الرزاق هادي الصالحي، اهل الذكر للطباعة، ايران، قم، د. ط، ١٤٢٩: ٢/ ٦٣٦.

[2] حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، القرشي: ٢/ ٢٨٦.

ويسوقون الابرياء بغير حساب الى السجون والقبور، واتبعوا اسلوب اذلال الامة والاستهانة بها وكان من مظاهر ذلك الاحتقار اذ كانوا يختمون في اعناق المسلمين كما توسم الخيل علامة لاستعبادهم، كما نقشوا على اكف المسلمين علامة لاسترقاقهم كما يصنع بالعلوج من الروم والحبشة[١].

محاربة اهل البيت (عليهم السلام).

جهد الحكم الاموي في محاربة اهل البيت (عليهم السلام) ومحو ذكرهم وخير دليل على ذلك هو معركة الطف التي قتل فيها حتى الطفل الرضيع[٢]. واستخدموا أخطر الوسائل في محاربتهم واستئصال مآثرهم ومناقبهم واقصائهم عن واقع الحياة الاسلامية، وكان من بين ما استخدموه في ذلك ما يلي:

١. تسخير الوعاظ: وسخر الامويون الوعاظ في جميع أنحاء البلاد ليحولوا القلوب عن أهل البيت ويذيعوا الأضاليل في انتقاصهم تدعيما للحكم الأموي[٣].
٢. استخدام المؤسسات التربوية والتعليمية لتربية النشيء على بغض أهل البيت(عليهم السلام) وخلق جيل معاد لهم، وقد قامت تلك الأجهزة بدور خطير في بث روح الكراهية لعترة النبي(صلى الله عليه واله) في نفوس النشئ [٤].

---

[١] المصدر نفسه: ٢/ ٢٨٠.

[٢] مقتل الحسين (عليه السلام)، عبد الرزاق المقرم، المكتبة الحيدرية، العراق، النجف الاشرف، ط١، ١٤٢٣هـ: ص٢٧٢.

[٣] حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، باقر شريف القرشي، موسسة الامام المجتبى، ايران - قم، ط٢، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م: ٢/ ١٦١.

[٤] حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، القرشي: ٢/ ١٦٢.

٣. افتعال الاخبار في الحط من شانهم: وأقام الامويين شبكة لوضع الاخبار تعد من أخطر الشبكات التخريبية في الاسلام واول من وضع هذه الشبكة معاوية وسار عليها من جاء بعده وكان عملها وضع آلاف الأحاديث على لسان النبي(صلى الله عليه واله) للحط من قيمة أهل البيت(عليهم السلام) وكانت لهذه الشبكة طوائف مختلفة حسب التخطيط السياسي للدولة منها ما يضع الاخبار في فضل الصحابة لجعلهم قبال أهل البيت، وقد عد الإمام الباقر(عليه السلام)أكثر من مائة حديث منها، يقول المحدث ابن عرفة المعروف بنفطويه: "ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم"[١]، كما وضعوا في فضل الصحابة الأحاديث المماثلة للأحاديث النبوية في فضل العترة الطاهرة كوضعهم:" ان سيدي كهول أهل الجنة أبو بكر وعمر "وقد عارضوا بذلك الأحاديث المتواتر" الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة "[٢].

٤. معاقبة من يذكر مناقبهم بأقصى العقوبات.

٥. سبهم على المنابر والآذان وخطب الجمعة، وهذا كله كان امام مرأى ومسمع من الامام السجاد (عليه السلام).

العنف ضد شيعة اهل البيت (عليهم السلام).

عانت شيعة اهل البيت (عليهم السلام) من ضروب المحن والبلاء قبل قتل الامام الحسين (عليه السلام) وبعد قتله حيث تفنن الامويين في ظلمهم وارهاقهم وفتكوا بهم فتكا ذريعا، من صلبهم على جذوع النخل ودفنهم أحياءاً

---

[١] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المولى محمد تقي المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م: ٣٣/ ١٩٣.

[٢] حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، القرشي: ٢/ ١٦٢.

وهدم دورهم وعدم قبول شهادتهم وحرمانهم من العطاء وترويع نسائهم وإذاعة الذعر والخوف في جميع أوساطهم إلى غير ذلك من صنوف الارهاق الذي عاونه ومن امثال هؤلاء الشيعة سعيد بن جبير الذي قتله الحجاج[١] وقتل من أصحاب أمير المؤمنين كميل بن زياد النخعي[٢].

ثالثاً: الانحراف الاقتصادي.

انهار اقتصاد الامة الذي هو شريان حياتها الاجتماعية والفردية فقد عمد الامويون بشكل سافر الى نهب الخزينة المركزية والاستئثار بالفيء وسائر ثمرات الفتوح والغنائم فحازوا الثراء العريض وتكدست في بيوتهم الاموال الطائلة التي حاروا في صرفها واخذوا ينفقون الاموال على ملذاتهم واغراضهم السياسة التي لا تمت بصلة لصالح الامة اما موارد انفاقها فهي شراء الضمائر والدين والانفاق على لجان الوضع لافتعال الاخبار التي تدعم الكيان الاموي وتحط من قيمة اهل البيت والهبات الهائلة والعطايا الوافرة للوجوه والاشراف لتكميم الافواه عما تقترفه السلطة من الظلم للرعية والصرف على المجون والدعارة فقد امتلئت بيوتهم بالمغنين والمغنيات وادوات العزف وسائر المنكرات كما اشرنا سابقاً[٣].

وهذه بعض الموارد التي كان ينفق عليها الاموال في حين ان الجوع قد نهش الامة وعمت فيها المجاعة وانتشر شبح الفقر في جميع الاقطار

---

[١] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، لبنان- بيروت، د. ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٦ م: ١٦/ ٣٨٨.

[٢] شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية، العراق- النجف، ط٥، محرم الحرام ١٣٨٥ هجرية: ١/ ٩٣.

[٣] حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، القرشي: ٢/ ٢٧٩.

الاسلامية سوى الشام فقد رفه عليها لأنها الحصن المنيع الذي كان يحمي ظلم وجور السلطة الاموية.

الخطة الحكيمة للإمام السجاد (عليه السلام).

بدأ الامام (عليه السلام) بالاستعداد لما يتوجبه حمل تلك الأعباء، ويتأهب للقيام بدوره، كوارث لكربلاء، وكمعيل كفيل لعوائل الشهداء، وكإمام يقود الأمة ويحافظ على تعاليم السماء. فأتخذ إجراء خطة حكيمة أذ اتخذ بيتا من (شعر) في البادية، خارج المدينة!

فعن جابر الجعفي عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال:(كان أبي علي بن الحسين (عليه السلام)، قد اتخذ منزله - من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي (عليه السلام) - بيتا من شعر، وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين، كراهية لمخالطة الناس وملاقاتهم[1]. وكان يصير من البادية بمقامه إلى العراق زائرا لأبيه وجده عليهما السلام، ولا يشعر بذلك من فعله)[2].

فأبعد بذلك الإجراء الأخطار الموجهة إليه من الملاحقات، إذ كانت عين الرقابة تلاحقه، فاستفاد الإمام (عليه السلام) من هذا الابتعاد، وقلبه إلى عنصر مطلوب، ومفيد لنفسه، وللجماعة الباقية من حوله على ولائه. حتى أصبح في نظر رجال الحكم (خيرا لا شر فيه).

وبذلك التخطيط الموفق حافظ الإمام (عليه السلام)، لا على نفسه وأهل بيته من الإبادة الشاملة، فقط، بل تمكن من استعادة قواه، واسترجاع موقعه

---

[1] في الاصل (وملابستهم).

[2] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: ٧٩/ ٢٦٦.

الاجتماعي بين الناس، لكونه مواطنا صالحا لا يخاف من الاتصال به والارتباط به. لأنه أصبح (علي الخير)[1].

وطبيعي أن يعود الناس، وتعتدل سيرتهم مع الإمام حينئذ، ولذلك قال الإمام الصادق (عليه السلام): ارتد الناس بعد الحسين (عليه السلام) إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطعم ثم إن الناس لحقوا وكثروا)[2].

أهداف الإمام (عليه السلام) بعد واقعة الطف.

مر الامام (عليه السلام) بمراحل من العمل الجاد والمضني في طريق الاصلاح الشائك، أذ كانت له أهداف محورية بعد واقعة الطف وهي:

١. إبقاء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حيويةً فاعلةً في ضمير أجيال الأمة على الرغم من منع الامويين لذلك لما لها من دور في تربية وتهذيب الامة.
٢. إن يربي جيلا من المؤمنين على التعاليم الحقة التي جاء بها، والأخلاق القيمة التي تخلق بها، لكي يكونوا له أعوانا على الخير.
٣. إن يدخل المجتمع بكل ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلغهم رسالات الله.
٤. إن يقاوم الفساد، الذي يبثه الظالمون في المجتمع، بهدف تفكيكه وشل قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على

---

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م: ١٥/ ٢٧٣.

(٢) الاختصاص، المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد العكبري، انتشارات جماعة المدرسين، قم – إيران، د. ط، د. ت: ص٦٤؛ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي : ١١/ ٤٢.

الحق والخير والجمال، لئلا يصنعوا منه آلة طيعة تستخدم حسب رغباتهم وطوع إرادتهم.

إن مقاومة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مثل هذا الظرف، بل وتمرير خططه، وإنجاح مهماته وأهدافه، مع قلة الأعوان والأنصار، وتسلط الطغاة باسم الخلافة الإسلامية، والتي تقتل من يعارضها وتهدر دمه بعنوان الخروج على الإسلام. يعد معجزة سياسية تحققت على يد هذا الإمام العظيم، الذي سار على خطى جده الرسول الأعظم، في خلقه العظيم.

جهود الإمام (عليه السلام) في مواجهة الانحرافات بعد واقعة الطف.

كان للإمام زين العابدين (عليه السلام) نشاط واسع في عدة مجالات، حتى عد – بحق وجدارة - في صدر المصلحين الإلهيين، بالرغم من تميز عصره بتحكم طغاة بني أمية على الأمة، ومن تلك المجالات:

أولا: ابقاء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حيويةً فاعلةً في ضمير أجيال الأمة.

ثانيا: الأخلاق والتربية.

ثالثا: مقاومة الفساد.

أولا: الإمام السجاد (عليه السلام) يُخَلِّد ثورة ابيه في ضمير الأمة.

حرص الإمام على إبقاء ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) حيويةً فاعلةً في ضمير أجيال الأمة لما لها من دور في تفعيل الوجدان الاخلاقي واحياء للضمائر، وقد أدى الإمام (عليه السلام) دوره في تخليد كربلاء على أحسن وجه، كصلاته وصيامه، لأنه كان يعيش إمامة أبيه ونهضته (صلى الله عليه وآله) عبادةً لربه كبقية عباداته!

فمن الأساليب التي استعملها الإمام (عليه السلام):

١. كان كل عمره يعيش حزن كربلاء: (عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: إن زين العابدين (عليه السلام) بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره وقائماً ليلة، فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي، فيقول قتل ابن رسول الله جائعاً ! قتل ابن رسول الله عطشاناً ! فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبتلَّ طعامه من دموعه، ثم يمزج شرابه بدموعه ! فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل!

وحدَّث مولىً له: أنه برز يوماً إلى الصحراء، قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة، فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه، وأحصيت عليه ألف مرة يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً، لا إله إلا تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً. ثم رفع رأسه من سجوده وإنَّ لحيته ووجهه قد غُمرا بالماء من دموع عينيه، فقلت: يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل ؟ فقال لي: ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبياً ابن نبي، له اثنا عشر ابناً فغيَّبَ الله واحداً منهم، فشابَ رأسه من الحزن واحدَوْدَبَ ظهره من الغمِّ، وذهب بصره من البكاء، وابنه حيٌّ في دار الدنيا. وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي)[1]!

---

[1] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: ٤٥/ ١٤٧؛ اللهوف: ص ١١٥؛ ينابيع المودة: ٣ / ٩٣؛ العوالم: ص ٤٤٦؛ لواعج الأشجان في مقتل الحسين، العلامة المجاهد الكبير الحجة السيد محسن الأمين العاملي قدس سره ويليه كتاب أصدق الاخبار في قصة الاخذ بالثار للمؤلف وكتاب النصاريات، للشيخ محمد النصار قده، د. ط، د.ت: ص ٢٤٢.

وينقل بن عساكر في تاريخ دمشق: (سئل علي بن الحسين عن كثرة بكائه؟ فقال: لا تلوموني فإن يعقوب (عليه السلام) فَقَدَ سبطاً من ولده فبكى حتى ابيضت عيناه من الحزن ولم يعلم أنه مات، وقد نظرت إلى أربعة عشر رجلاً من أهل بيتي يذبحون في غداة واحدة، فترون حزنهم يذهب من قلبي؟ أبداً)[1]!

٢. تبنى الإمام مجالس العزاء على أبيه الحسين (صلى الله عليه وآله): ففي المحاسن: عن عمر بن علي بن الحسين قال: (لما قتل الحسين بن علي (عليه السلام) لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح وكن لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين (عليه السلام) يعمل لهن الطعام للمأتم)[2].

٣. وكان يشرح ظلامة أهل البيت (عليهم السلام) كلما رأى مناسبة: فقد رأيت خطبه في الكوفة والشام، وحديثه مع الصحابي سهل بن ساعدة وغيره.

وعن المنهال بن عمرو قال: (دخلت على علي بن حسين فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ فقال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك لا يدري كيف أصبحنا! فأما إذ لم تدر أو تعلم فأنا أخبرك: أصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم! وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه وبسبه على المنابر! وأصبحت قريش تعدُّ أن لها الفضل على العرب؛ لأن محمداً منها، لا يُعَدُّ لها فضل إلا به

---

[1] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١/ ٣٨٦.

[2] كتاب المحاسن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقعي، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، طهران، د. ط، ١٣٧٠ = ١٣٣٠: ٢/ ٤٢٠.

وأصبحت العرب مقرةٌ لهم بذلك، وأصبحت العرب تَعُدُّ لها الفضل على العجم لأن محمداً منها، لا يعدُّ لها فضل إلا به، وأصبحت العجم مقرةٌ لهم بذلك! فلئن كانت العرب صدقت أن لها الفضل على العجم، وصدقت أن لها الفضل على العرب لأن محمداً منها، إنَّ لنا أهل البيت الفضل على قريش لأن محمداً منا، فأصبحوا يأخذون بحقنا ولا يعرفون لنا حقاً ! فهكذا أصبحنا إذا لم تعلم كيف أصبحنا)[1].

٤. وكان يشيد بأصحاب الحسين (عليه السلام) لتخليد ذكراهم: ففي أمالي الصدوق: (عن ثابت بن أبي صفية قال: نظر سيد العابدين علي بن الحسين إلى عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فاستعبر ثم قال: ما من يوم أشد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يوم أحد، قتل فيه عمه حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله (صلى الله عليه وآله)، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمه جعفر بن أبي طالب.

ثم قال (عليه السلام): ولا يوم كيوم الحسين! ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنهم من هذه الأمة كل يتقرب إلى الله عز وجل بدمه، وهو بالله يذكرهم فلا يتعظون حتى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً! ثم قال (عليه السلام): رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب. وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميعالشهداء يوم القيامة)[2].

---

[1] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١ / ٣٩٦.

[2] الامالي، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، د. ط، ١٤١٧ هـ: ص٥٤٧.

وفي كامل الزيارات:(كان علي بن الحسين (عليه السلام) ميل إلى ولد عقيل، فقيل له: ما بالك تميل إلى بني عمك هؤلاء دون آل جعفر؟ فقال: إني أذكر يومهم مع أبي عبد الله الحسين بن علي فأرق لهم)[1].

٥. وكان يزور قبر الحسين (عليه السلام) في كربلاء ويدعو إلى زيارته: وقد تقدم أنه (عليه السلام) جعل طريق قافلة الأسرى على كربلاء في عودته من الشام، وزاروا قبر الحسين (عليه السلام) وأقاموا عنده المأتم في زيارة الأربعين.

وعندما ترجع إلى كتاب كامل الزيارات، وهو من أقدم الكتب في موضوعه وأوثقها، تجد عدداً من الروايات عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) يؤكد فيها (عليه السلام) على زيارة قبر النبي (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، ويوجه المسلمين إلى إقامة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) والبكاء عليه، وزيارة قبره، ويشرح لهم فضل أرض كربلاء والفرات. ففي كامل الزيارات، عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (بكى علي بن الحسين على أبيه حسين بن علي (صلى الله عليه وآله) عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعاماً إلا بكى على الحسين حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين! قال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله واعلم من الله مالا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك...

أشرف مولى لعلي بن الحسين وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا مولاي يا علي بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه إليه وقال:

---

[1] كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، التحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ط١، ١٤١٧هـ: ص٢١٣.

ويلك، شكى يعقوب إلى ربه في أقل مما رأيت حتى قال: يا أسفا على يوسف! إنه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يذبحون حولي)[1]!

قال الإمام زين العابدين (عليه السلام): (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليَّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إلي السلام، فإنه يبلغني)[2].

وقال (عليه السلام): (أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي (صلى الله عليه وآله) دمعة حتى تسيل على خده، بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً)[3].

وقال (عليه السلام): (من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين (عليهم السلام) يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولوا العزم من الرسل، قلنا: من هم، قال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وآله). قلنا له: ما معنى أولي العزم، قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنها وإنسها)[4].

وقال (عليه السلام): (أن الله اتخذ أرض كربلاء حرماً آمنا مباركاً قبل أن يخلق أرض الكعبة ويتخذها حرماً، وأنها عندما تزلزل الأرض زلزالها، ترفع وتجعل في أفضل روضة من رياض الجنة)[5].

---

[1] كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص٢١٦.

[2] المصدر نفسه: ص ٤٧.

[3] كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص ٢٠١.

[4] كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه: ص٢٣٤.

[5] المصدر نفسه: ص ٤٥١.

الأخلاق والتربية.

نشر الاخلاق في الجانب العملي:

ضرب الإمام زين العابدين (عليه السلام) أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمدي العظيم في التزاماته الخاصة، وفي سيرته مع الناس، بل مع كل ما حوله من الموجودات، فكانت تتبلور فيه شخصية القائد الإسلامي المحنك الذي جمع بين القابلية العلمية الراقية، والفضل والشرف السامق، والقدرة على جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدها بكل صبر وتؤدة وهدوء.

فالصبر الذي تحلى به، بتحمله ما جرى عليه في كربلاء، وفي الأسر، مما لا يحتاج إلى برهان وذكر.

ومثابرته ومداومته على العمل الإسلامي، بارزة للعيان، وحديث مواساته للإخوان، والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، بالبذل والعطاء والإنفاق، مما اشتهر عند الخاص والعام، وسيأتي الكلام حول ذلك كله.

وحنوه وحنانه على الرقيق، وعلى الأقارب والأباعد، بل على أعدائه وخصومه، مما سارت به الركبان.

وأخبار عبادته وخوفه من الله وإعلانه ذلك في كل مناسبة، ملأت الصحف، حتى خص بلقب (زين العابدين، وسيد الساجدين).

ومن أمثلة خلقه الرائع: العفو: "قال رجل من أنصار الأمويين بالشام: دخلت المدينة فرأيت رجلا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولا ثوباً ولا سمتاً ولا دابة منه. فسألت، فقيل: هذا علي بن الحسين ابن علي. فأتيته - وقد امتلأ قلبي له بغضا - فقلت له: أنت ابن علي بن أبي طالب؟

قال: أنا ابن ابنه. فقلت: بك وبأبيك أسب عليا ز فلما انقضى كلامي قال: أحسبك غريبا، مل بنا إلى الدار فإن احتجت منزلا أنزلناك. أو إلى مال واسيناك. أو إلى حاجة عاوناك على قضائها. فانصرفت من عنده، وما على الأرض أحد أحب إلي منه "[1].

وبهذا، تمكن الإمام من جذب قلوب الناس، حتى ألد الأعداء، فكان سببا لانفتاح الجميع على أهل البيت (عليهم السلام) ومذهبهم، بعد أن انغلقوا عنهم، واعتزلوهم بعد وقعة كربلاء.

ولقد ظهرت ثمرة تلك الأخلاق والجهود، في يوم وفاة الإمام (عليه السلام)، فقد خرج الناس كلهم، فلم يبق رجل ولا امرأة إلا خرج لجنازته بالبكاء والعويل، وكان كيوم مات فيه رسول الله[2].

وكان من أطيب ثمرات هذه الجهود أن مهدت الأرضية للإمام محمد بن علي، الباقر (عليه السلام) كي يتسنم مقام الإمامة بعد أبيه زين العابدين، ويقوم بتعليم الناس معالم دينهم، وتتكون المدرسة الفقهية الشيعية على أوسع مدى وأكمل شكل وأتقنه.

نشر الاخلاق في الجانب النظري:

ومن أبرز الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين (عليه السلام) في تحركه القيادي هو ما قام به من جمع صفوف المؤمنين، والتركيز على تربيتهم روحيا، وتعليمهم الإسلام، وإطلاعهم على أنقى المصادر الموثوقة للفكر

---

[1] ملحقات الاحقاق، المرعشي شهاب الدين النجفي، مكتبة آية الله المرعشي، ايران - قم، ط١، ١٤١٥ هـ: ٢٨/ ١٩٣.

[2] الإمام زين العابدين، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٤م: ص ٤١٢.

الإسلامي، ومن خلال روافده الثرة الغنية، بهدف وصل الحلقات، كي لا تنقطع سلسلة عقد الإيمان، ولا تنفرط أسس العقيدة.

وبهدف تحصين العقول والنفوس من الانحرافات التي يثيرها علماء السوء الذين كانوا يبعدون الناس عن الإسلام الحق، ويكدرون ينابيعه وروافده بالشبه والأباطيل.

وتعد هذه البادرة من أهم معالم الحركة عند الإمام زين العابدين، وأعمقها أثرا وخلودا في مقاومة الدولة الحاكمة، التي استهدفت كل معالم الإسلام، بغرض القضاء عليه، وإبادته، والعودة بالأمة إلى الجاهلية الأولى بوثنيتها، وفسادها، وجهلها. فراح الإمام يدعو الأمة إلى التفكير والتدبر: فمن أقواله (عليه السلام):" الفكرة مرآة ترى المؤمن سيئاته فيقلع عنها وحسناته فيكثر منها فلا تقع مقرعة التقريع عليه ولا تنظر عين العواقب شزيرا إليه"[١].

ويدعو إلى العلم والفضل والحكمة: فقال (عليه السلام): "سادة الناس في الدنيا: الأسخياء، وفي الآخرة: أهل الدين، وأهل الفضل، والعلم، لأن العلماء ورثة الأنبياء" [٢].

وقال (عليه السلام): " لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج[٣] وخوض اللجج[٤] إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدي إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأن

---

[١] إحقاق الحق وإزهاق الباطل، التستري نور الله الحسيني المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم – إيران، د. ط، د. ت: ١٢/ ١٠٤.

[٢] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١/ ٣٨٥.

[٣] مع مهجة وهي الدم أو دم القلب خاصة أي بما يتضمن إراقة دمائهم.

[٤] جمع لجة وهي معظم الماء.

أحب عبيدي إلي التقي الطالب للثواب الجزيل، اللازم للعلماء، التابع للحلماء، القابل عن الحكماء "[1].

وكان (عليه السلام) يحث الأمة - والشباب منهم خاصة - على طلب العلم، فكان إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم إليه، فقال: "مرحبا بكم، أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين"[2].

وكان إذا جاءه طالب علم قال: "مرحبا بوصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[3] ".

ويدعو الأمة إلى المراقبة الذاتية لنفسها، لتتحصن من اجتياح وسائل التزوير والخداع، ونفوذ نفثات الشياطين، فيقول (عليه السلام): " ليس لك أن تقعد مع من شئت، لأن الله تعالى يقول في الأنعام [الآية: ٦٨]: **﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره، وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾**. وليس لك أن تتكلم بما شئت، لأن الله يقول في الإسراء [الآية ٣٦]: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾**، وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) :(رحم الله عبدا قال خيرا

---

[1] الأصول من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صححه وعلق عليه :علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران،ط١، ١٣٨٨ هـ: ١/ ٣٥.

[2] الدر النظيم، المشغري جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي العاملي، مؤسسة النشر الاسلامي، ايران، د. ط، د. ت: ص٥٨٦.

[3] الخصال، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د. ط، ١٤٠٣ هـ: ص ٥١٧.

فغنم، أو صمت فسلم) وليس لك أن تسمع ما شئت، لأن الله يقول:﴿**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا**﴾(الإسراء:٣٦) [١].

وبهذا يحذر الإمام (عليه السلام) الأمة من الجلوس مع المزورين والظالمين، ومن التحدث والكلام معهم، أو صرف العمر معهم في حديث الجهالات والخرافات، وما لا يزيد الإنسان معرفة بحياته أو قوة وتركيزا في عقيدته وإيمانه، أو تعديلا في سلوكه وأخلاقه، بل لا تعدو لغو السمر، والشعر الساقط، وأحاديث الفكاهة والمجون، التي كان يروجها السلاطين وأمراء السوء.

وهو (عليه السلام) في الوقت نفسه يحيي بهذا الأسلوب سنن الاستدلال بآيات القرآن الكريم، والاعتماد عليه وعلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اللذين دأب الظالمون على إبعاد الأمة عنهما، وإماتتهما، وإبادتهما بالإحراق بالنار، والإماثة في الماء، والدفن تحت الأرض، ومنع التدوين.

كما حذر الأمة من الارتباط بمن لا يدعو إلى الله والحق، ومن الاستماع إليهم، وهم دعاة السوء، وأدعياء العلم، من علماء البلاط، الذين ركنوا إلى الظالمين وآزروهم.

وقد كان (عليه السلام) يدأب على تربية الأمة وتهذيبها، وتقديم الإرشادات إليها، وتجلى ذلك في وصاياه المأثورة التي جمعت بين معالم الهداية والحكمة، ووسائل الحذر والوقاية، وبث الأمل والقوة، وبعث النشاط والهمة في نفوس أصحابه، ففي رسالته إليهم يقول (عليه السلام):

---

[١] الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي،علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، د. ط، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م: ص٦٠٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

كفانا الله وإياكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين، وبطش الجبارين.

أيها المؤمنون، لا يفتنكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها، وعلى حطامها الهامد، وهشيمها البائد غدا فاحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا في ما زهدكم الله فيه منها.

ولا تركنوا إلى ما في هذه الأمور ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان. والله ! إن لكم مما فيها لدليلا، وتنبيها، من تصرف أيامها، وتغير انقلابها ومثلاتها، وتلاعبها بأهلها، إنها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد أقواما إلى النار غدا، ففي هذامعتبر ومختبر وزاجر لمنتبه.

إن الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مضلات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسوسة الشيطان، لتثبط القلوب عن تنبهها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق إلا قليلا ممن عصم الله، فليس يعرف تصرف أيامها وتقلب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتعظ بالعبر فازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين، ونظر إلى ما في الدنيا بعين نيرة حديدة النظر، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة. فقد - لعمري - استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخالية من الفتن

المتراكمة، والانهماك فيها، ما تستدلون به على تخيب الغواة وأهل البدع، والبغي، والفساد في الأرض، بغير الحق[1].

بهذا يحصن الإمام (عليه السلام) أصحابه خاصة والمسلمين عامة بالطاعة، والزهد، والورع عن المعاصي، والبعد عن بهجة الدنيا وعن مفاتن الحياة المادية، التي يستخدمها الطواغيت، كمغريات لتحريف الأمة عن سنن الهدى.

ويحاول الإمام (عليه السلام) أن يهون عليهم المصائب والأتعاب التي تواجههم على هذا الطريق الوعر.

ويؤكد (عليه السلام) على التزامهم بالحق، واعتقادهم بولاية الأئمة الأطهار (عليهم السلام): الذين فرض الله ولايتهم وأوجب طاعتهم.

وبكل هذه الجهود والتحصينات والتعاليم المركزة، تربى جيل صامد من المؤمنين، المتسلحين بالإسلام، بعلومه وعقيدته وتقواه وإخلاصه، فأصبحوا أمثلة للشيعة، وقدوة صالحة للتعريف لمن يستحق هذا الاسم من المنتمين إلى التشيع.

---

[1] الاصول من الكافي، الكليني: ٨/ ١٥.

المطلب الخامس: في مجال مقاومة الفساد.

وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإن الإمام زين العابدين (عليه السلام) قام بدور بارز في أداء هذا المهم.

وقد تميز عصر الإمام (عليه السلام)، بمشاكل اجتماعية من نوع خاص، وقد تكون موجودة في كثير من الأوقات، إلا أن بروزها في عصره كان واضحا، ومكثفا، كما أن الإمام زين العابدين قام بمعالجتها بأسلوبه الخاص، مما أعطاها صبغة فريدة، تميزت في نضال الإمام (عليه السلام)، أهمها:

١. مشكلة العصبية، والعنصرية.
٢. مشكلة الفقر العام.
٣. مشكلة الرق والعبيد.

ولنبحث عن كل واحدة، وموقف الإمام (عليه السلام) في معالجتها:

١. مقاومة العصبية والعنصرية:

إن الأمويين - بعد إحكام قبضتهم على الحكم - اعتمدوا سياسة التفرقة العنصرية بين طوائف الأمة، والعصبية القبلية بين مختلف طبقاتها، محاولين بذلك تفتيت المجتمع الإسلامي، وتقطيع أواصر الوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية، تلك الوحدة التي شرعها الله بقوله تعالى: **﴿إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**[١] ، ودفعا لها على التفرق الذي نهى عنه الله بقوله تعالى:**﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**[٢].

---

[١] سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

[٢] سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

حتى وصل الأمر إلى- كما يذكر المسعودي في المروج - : أنه تتابع فخر النزارية على اليمنية، وفخر اليمنية على النزارية، حتى تخربت البلاد، وثارت العصبية في البدو والحضر[١].

فقاموا بأعمال تسير على هذه السياسة الخارجة عن حدود الدين والشرع، مثل تأمير العرب، وتقديم العربي ولو كان خاملا على الكفوئين من غير العرب، والسعي في تعريب كل شرائح وأجهزة الدولة، بتنصيب العرب في مناصب الديوان، والقضاء، وحتى الفقه.

وتجاوزوا كل الأحكام الشرعية في التزامهم بأساليب الحياة العربية الجاهلية، فتوغلوا في اللهو والاستهتار بالمحرمات، والظلم، والقتل، حتى تجاوزوا أعرافا عربية سائدة بين العرب قبل الإسلام، فخانوا العهد، وأخفروا الذمة، وهتكوا العرض.

ولقد بلغت تعدياتهم أن كان معاوية: يعتبر الناس العرب، ويعتبر الموالي شبه الناس[٢]!

وقد استغل الجاهلون هذا الوضع، فكان العرب لا يزوجون الموالي[٣].

وجاء في بعض المصادر أن حاكم البصرة - بلال بن أبي بردة - ضرب شخصا من الموالي، لأنه تزوج امرأة عربية[١].

---

[١] مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي: ٢/ ١٩٧.

[٢] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٧/ ٢٨٤.

[٣] تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ط٢، ١٤١٤ هـ، كتاب النكاح، الباب (٢٦) الحديث (٤) تسلسل (٢٥٠٦٠) العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، المحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م: ٣/ ٣٦٠ – ٣٦٤.

ووصلت عدوى هذا المرض إلى علماء البلاط أيضا فاتبعوا سياسة الأسياد، فقد وجهت إلى الزهري تهمة أنه لا يروي الحديث عن الموالي، فسئل عن ذلك؟ فاعترف به[٢].

قال أحمد أمين المصري: لم يكن الحكم الأموي حكما إسلاميا يسوى فيه بين الناس، ويكافأ فيه المحسن عربيا كان أو مولى، ويعاقب من أجرم عربيا كان أم مولى، ولم تكن الخدمة للرعية على السواء، وإنما كان الحكم عربيا، والحكام فيه خدمة للعرب على حساب غيرهم، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية، لا النزعة الإسلامية[٣].

ولقد قاوم الإمام زين العابدين (عليه السلام) هذه الردة الاجتماعية عن الإسلام بكل قوة، وتمكن - بحكم موقعه الاجتماعي، وأصالته النسبية - أن يقتحم على بني أمية، بلا رادع أو حرج.

قال الدكتور صبحي: في ما كان الأمويون يقيمون ملكهم على العصبية العربية عامة، كان زين العابدين (عليه السلام) يشيع نوعا من الديمقراطية الاجتماعية[٤] بالرغم مما يجري في عروقه من دم أصيل، أبا وأما، وقد أقدم

---

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د، ت: ٧/ ٢٦ ق ٢؛ ينظر: تهذيب الكمال، للمزي: ٤/ ٢٧٢.

(٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٢ ه: ١/ ١٩٢.

(٣) ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، د. ط، د. ت: ١/ ١٨٧.

(٤) نظرية الإمامة لدي الشيعة الاثني عشرية، أحمد صبحي، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٦٩ م: ٦/ ٢٥٧.

على ما زعزع التركيب الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الذي أراد له الأمويون أن يقوم على العصبية[١].

وقد قاوم الإمام زين العابدين (عليه السلام) ذلك، نظريا بما قدمه من تصريحات، وعمليا بما أقدم عليه من مواقف: فكان يقول: لا يفخر أحد على أحد، فإنكم عبيد، والمولى واحد[٢].

وكان يجالس مولى لآل عمر بن الخطاب، فقال له رجل من قريش - هو نافع بن جبير -: أنت سيد الناس، وأفضلهم، تذهب إلى هذا العبد وتجلس معه؟!

فقال (عليه السلام): آتي من أنتفع بمجالسته في ديني[٣] أو قال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع[٤].

ومن المعلوم أن ما ينتفع به الإمام (عليه السلام) من هذا المولى ليس إلا بنفس المجالسة، فإن هذه المجالسة تحقق للإمام غرضه السياسي من إعلان معارضته لسياسة بني أمية المبتنية على طرد الموالي وعدم احترامهم، فإذا

---

[١] يلاحظ أن هذا الكاتب نفسه يقول عن الإمام: (لكن الإقبال على الله، واعتزال شؤون العالم... كان منهجه في حياته الخاصة) وقد سبق كلامه في المقدمة: ص ١٠، ١١.

[٢] بلاغة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، خطب ورسائل وكلمات، جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، دار الحديث، قم، د. ط، ١٤٢٥ ق = ١٣٨٣ش: ص ٢١٧.

[٣] سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٩، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣ م: ٤/ ٣٨٨؛ بنظر: حلية الأولياء: ٣/ ١٣٧؛ صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م: ٢/ ٩٨.

[٤] ابن سعد: ٥/ ٢١٦.

جالسه وقال له طاوس اليماني - وقد رآه يجزع ويناجي ربه بلهفة -: يا بن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع...، وأبوك الحسين بن علي، وأمك فاطمة الزهراء، وجدك رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟!

فالتفت الإمام (عليه السلام) إليه وقال: هيهات، هيهات، يا طاوس، دع عني حديث أبي، وأمي، وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبدا حبشيا، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان ولدا قرشيا، أما سمعت قوله تعالى:**﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾**[1] والله، لا ينفعك - غدا - إلا تقدمة تقدمها من عمل صالح[2].

وأعتق الإمام زين العابدين (عليه السلام) مولاة له، ثم تزوجها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي، فعدها تحديا لعرف السلطة الحاكمة، فكتب إلى الإمام يحاسبه ويعاتبه على ذلك، ومما جاء في كتابه: (إنك علمت أن في أكفائك من قريش من تتمجد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا على ولدك أبقيت).

وهذا كلام - مع أنه ينم عن التعزي بعزاء الجاهلية في عنصريتها وغرورها – فهو تعريض بالإمام (عليه السلام) أنه ليس بحكيم، وأنه بحاجة إلى أن يتمجد بمصاهرة واحد من قريش، وأن ولده لا ينجب إلا بمثل ذلك، متغافلا عن أن الإمام (عليه السلام) بنفسه هو مصدر الحكمة والمجد والنجابة.

فأجابه الإمام زين العابدين (عليه السلام) بكتاب، جاء فيه:

---

(1) سورة المؤمنون، الآية: ١٠١.

(2) مناقب آل أبي طالب، بن شهرآ شوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي، المطبعة الحيدرية، العراق- النجف، د. ط، ١٣٧٥ هـ _ ١٩٥٦ م: ٣/ ٢٩١.

(أما بعد: فقد بلغني كتابك، تعنفني فيه بتزويجي مولاتي، وتزعم: (أنه كان في قريش من أتمجد به في الصهر، وأستنجبه في الولد. وإنه ليس فوق رسول الله مرتقى في مجد، ولا مستزاد في كرم. وكانت هذه الجارية ملك يميني، خرجت مني إرادة لله عز وجل بأمر ألتمس فيه ثوابه، ثم ارتجعتها على سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومن كان زكيا في دين الله تعالى فليس يخل به شيء من أمره. وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتمم به النقيصة، وأذهب به اللؤم، فلا لؤم على امرئ مسلم، وإنما اللؤم لؤم الجاهلية. والسلام)[1].

وقد عرض الإمام (عليه السلام) في هذا الكتاب بأن ما يقوم به حكام بني أمية من تبني العصبية هو مخالف للإسلام ولسنة الرسول، بل قلب عليه كل الموازين التي اعتمدها في كتابه إلى الإمام، وجعل العتاب مردودا عليه، والنقص والعار واردا على الجاهلية التي يتبجح بها من خلال العصبية.

وقال (عليه السلام):" لا حسب لقرشي، ولا عربي إلا بالتواضع، ولا كرم إلا بالتقوى، ولا عمل إلا بالنية، ولا عبادة إلا بالتفقه، ألا وإن أبغض الناس إلى الله من يقتدي بسنة إمام، ولا يقتدي بأعماله"[2].

وقال (عليه السلام): "العصبية التي يأثم صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين قومه على الظلم"[3].

---

[1] الفروع من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، علق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، ايران، د. ط، ١٣٦٧: ٥/ ٣٤٤.

[2] الروضة من الكافي، الكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٢، ١٣٨٩ هـ: ٨/ ٢٣٤.

[3] الأصول من الكافي، الكليني: ٢/ ٣٠٨.

وهذا حسم قيم في هذا المجال، حيث أن الميل إلى العصبة والقبيلة أمر طبيعي، جرت عليه العادة، فإذا كان على أساس الحب والولاء فهو أمر جيد، لكن إذا كان على أساس المحاباة، وظلم الآخرين وعلى حساب حقوق الأباعد، أو كان من باب إعانة الظالم، والذي يدعيه أصحاب النعرات العنصرية، وأهل الغرور والجهل الفارغين من القيم، كبني أمية، فهذا هو المردود في الإسلام.

إن هذه التصريحات، وتلك المواقف، بقدر ما كانت مثيرة للسلطة المتبنية لسياسة العصبية والعنصرية، حتى أثارت أحاسيس الملك نفسه، فهي في الوقت ذاته كانت منيرة للدرب أمام الأمة الإسلامية بكل طوائفها وأجناسها وألوانها وشعوبها وقبائلها، تلك المغلوبة على أمرها، تفتح أمامها أبواب الأمل بالإسلام ورجاله المخلصين، الذين يقود مسيرتهم في ذلك العصر الإمام زين العابدين (عليه السلام).

٢. محاربة الفقر.

من المشاكل الاجتماعية الخطيرة، التي يستغلها الحكام لإحكام سيطرتهم على الأمة هي مشكلة الفقر والعوز والحاجة إلى المال، فإن السلطات تحاول اتباع سياسة التجويع من جهة، لإخضاع الناس وترغيبهم في العمل مع السلطات، وثم سياسة التطميع والتمويل من جهة أخرى، لتعويد الناس على الترف وزجهم في الجرائم والآثام.

وهم بهذه السياسة يسيطرون على عصب الحياة في البلاد، وهو المال، يستفيدون منه في القضاء على من لا يرضى بهم، وفي جذب من يرضون به من ضعفاء النفوس أمام هذه المادة المغرية.

وقد ركن معاوية إلى هذه السياسة في بداية سيطرته على البلاد، فكتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان: (انظروا من قامت عليه البينة أنه يحب عليا وأهل بيته، فامحوه من الديوان ولا تجيزوا له شهادة)[1].

ولا ريب في أن رفع المستوى المعيشي لدى أفراد الأمة هو واحد من أهم الأهداف المرسومة لأية محاولة ثورية، أو عمل إصلاحي، حتى لو لم تكن دينية، فكيف بها إذا كانت إلاهية، يقودها شخص الإمام العادل؟!

إن التحرك للإصلاح، والناس في بؤس وتخلف اقتصادي، سوف يكلفهم الكثير الذي قد يعجزون عنه، ولو تمكن قائد ما أن يرفع من المستوى الاقتصادي للأمة، فهم يكونون في حالة أفضل لتقبل أطروحة الإصلاح، ويكون أوكد على صمودهم أمام الضغوط التي تفرض عليهم من قبل الظالمين والمعتدين.

ثم إن السعي في هذا المجال، والمال حاجة يومية لكل أحد، أوكد في تعميق الصلة بين القيادة والقاعدة، من حيث تحسس القيادة لأمس الحاجات، وأكثرها ضرورة وأسرعها نفعا، فتكون دليلا على حقانية سائر الأهداف التي تعلن للخطة الإصلاحية ولقد كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يزاول عملية تموين الناس بدقة فائقة، خاصة عوائل الشهداء والمنكوبين في معارك ضد الدولة، يقوم بذلك في سرية تامة، حتى خفيت - في بعض الحالات - على أقرب الناس إليه (عليه السلام).

والأهم من ذلك: أن الفقراء أنفسهم لم يطلعوا على أن الشخص الممون لهم هو الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلا بعد وفاته، وانقطاع أعطياته! فعن أبي حمزة الثمالي: إن علي بن الحسين (عليه السلام) كان يحمل الخبز

[1] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: ٣٣/ ١٨٠.

بالليل، على ظهره، يتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: (إن الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الرب)[١].

وعن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين (عليه السلام) فقدوا ما كان يؤتون به بالليل[٢].

وعن عمرو بن ثابت، قال: لما مات علي بن الحسين (عليه السلام) وجدوا بظهره أثرا، فسألوا عنه ؟ فقالوا: هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين[٣].

وهذه الدقة في السرية كانت من أجل إلهاء عيون الدولة عن مواقفه. مع أن الهدف الأساسي من هذا العمل - وهو تمويل الناس وتموينهم - كان يتحقق بتلك الطريقة الهادئة.

ومع أن معرفة الناس للأمر- ولو بعد حين - كان أوقع في النفوس وأكثر تأثيرا في حب الناس لأهل البيت (عليهم السلام) ومع ما في ذلك من البعد عن الرياء، والسمعة، والمباهاة.

وقد وصلت سرية عمله (عليه السلام) إلى حد أنه كان يتهم بالبخل: قال شيبة بن نعامة: كان علي بن الحسين يبخل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة[٤].

---

[١] سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٤/ ٣٩٣.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] مناقب آل أبي طالب، بن شهرآشوب: ٣/ ٢٢٢.

[٤] تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، مؤسسة الرسالة بيروت، د. ط، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م، المجلد العشرون: ص٣٩٢.

وقال ابن عائشة، عن أبيه، عن عمه: قال أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين[1].

وهذا واحد من أساليب عمله في رفع هذه المشكلة، وقد اتبع أساليب أخرى، نقرأ عنها الأحاديث التالية:

إنه (عليه السلام) كان يعتبر المشكلة الاقتصادية محنة كبيرة أن يجد الفقر متفشيا في الدولة الإسلامية، وهي السعة بحيث لا يمكن معالجتها بسهولة: ومن ذلك ما قال الزُّهري: إنّ بعض أصحابه (عليه السلام) شكا إليه ديناً، فبكى الإمام (عليه السلام) فلما سئل عن سبب بكائه؟ قال (عليه السلام): وهل البكاء إلا للمحن الكبار! ؟ وأي محنة أكبر من أن يرى الإنسان أخاه المؤمن في حاجة لا يتمكن من قضائها، وفي فاقة لا يطيق دفعها[2].

وأسلوب آخر في التركيز على مقاومة المشكلة: عن الرضا عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، قال: قال علي بن الحسين: (إني لأستحيي من الله عز وجل أن أرى الأخ من إخواني، فأسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل)[3].

إنه رفع لمستوى مقاومة المشكلة إلى مستوى مثالي رائع، وخطاب موجه إلى كل من يعمل في الدنيا على حساب نعيم الآخرة، لا على معطياتها الدنيوية فقط، إنه معنى عرفاني دقيق، ورفيع، وبديع.

---

[1] مناقب آل أبي طالب، بن شهرآشوب: ٣/ ٢٩٣.

[2] بلاغة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، الحائري: ص١٨٢.

[3] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١/ ٣٨٦.

وأسلوب آخر، يدل على إصرار الإمام (عليه السلام) لتجاوز المشكلة: قال عمرو بن دينار: دخل علي بن الحسين على محمد بن أسامة بن زيد، في مرضه، فجعل محمد يبكي، فقال: ما شأنك؟

قال محمد: علي دين. قال: كم هو ؟ قال: خمسة عشر ألف دينار - أو بضعة عشر ألف دينار - قال الإمام: فهي علي[1]. وقد جاء في الحديث أن الإمام (عليه السلام) قاسم الله تعالى ماله مرتين حتى تصدق بفرد نعله[2] هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: نجد الإمام (عليه السلام) يؤكد على تداول الثروة ويحث على تنميتها، واستثمار الأموال، وعدم تجميدها، لأن تجميدها هو التكنيز المذموم، للخسارة الواضحة فيها، ولاحتمال سقوط القيمة الشرائية لها، وتسببها لعدم ازدهار السوق الإسلامية، بينما تداولها يؤدي إلى نقيض كل ذلك.

فقد قال الإمام (عليه السلام): استنماء المال تمام المروءة[3].

وإذا قارنا هذه المواقف من الإمام (عليه السلام) بما كان يجري على أيدي بني أمية من البذخ والترف والإسراف والإهدار لأموال بيت المال، ومن منع الموالين لعلي (عليه السلام) من الرزق والعطاء، ومن حاجة الشخصيات مثل محمد بن أسامة بن زيد، فضلا عن عوائل الشهداء المغضوب عليهم من قبل الدولة.

---

[1] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ٤١/ ٣٨٦.

[2] المصدر نفسه: ١٣/ ٢٤٤.

[3] تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٢٩هـ: ص٢٨٣.

لـو قارنـا بـين الأمـرين: لعلمنـا - بكـل وضـوح - أن لأعمـال الإمـام (عليـه السـلام) بعـدا سياسـيا، وهـو الوقـوف أمـام اسـتغلال السـلطة للأزمـة الاقتصـادية عنـد النـاس، ومنـع اسـتدراج الظـالمين لـذوي الحاجـة والمحنـة وخاصـة المنكـوبين إلـى مهـاوي الانتمـاء إليهـا أو حتـى الفسـاد والجريمـة، بالمـال الـذي اسـتحوذت الدولة عليه، وأن لا تطبق به سياسة التطميع بعد التجويع.

٣. تحرير الرقيق.

إن تحريـر الرقيـق يشـكل ظـاهرة بـارزة فـي حيـاة الإمـام السـجاد (عليـه السـلام) بشـكل لـيس لـه مثيـل فـي تـاريخ الإمامـة، فهـو أمـر يسـترعي الانتبـاه والملاحظة.

وإذا دققنـا فـي الظـروف والملابسـات التـي عايشـها الإمـام، وقمنـا بـبعض المقارنـات بـين أعمـال الإمـام، والأحـداث التـي كانـت تجـري مـن حولـه، والظـروف التـي تكتنـف عمليـة الإعتـاق الواسـعة التـي تبناهـا الإمـام (عليـه السـلام)، تتضـح الصورة الحقيقية لأهداف الإمام (عليه السلام) من ذلك. فيلاحظ أولا:

١. إن أعـداد الرقيـق، والعبيـد، كانـت تتـواتر علـى الـبلاد الإسـلامية، فكـان الموالي في ازدياد بالغ مذهل، على أثر توالي الفتوحات[١].
٢. أن الأمـويين كـانوا ينتهجـون سياسـة التفرقـة العنصـرية، فيعتبـرون المـوالي شبه الناس[٢].

---

[١] فجـر الإسـلام، أحمـد أمـين لاحـظ، دار المعـارف، بيـروت - لبنـان، د. ط، ١٩٦٩ م: ص ٩٠.

[٢] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٧/ ٢٨٤.

٣. غظن الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية، أخذا من نفس الخليفة، إلى جميع الأمراء وموظفي الدولة، لا يمثل الإسلام، بل كان كل واحد يعارض معنوياته وأخلاقه، وإن تنادى بشهاداته واسمه.

٤. إن انتشار العبيد والموالي، وبالكثرة الكثيرة، ومن دون أي تحصين أخلاقي، أو تربية إسلامية، لأمر يؤدي- لا محالة - إلى شيوع البطالة، والفساد، وهو ما تركز عليه الدولة الظالمة التي تعمل في هذا الاتجاه بالذات.

ويلاحظ ثانيا:

١. إن الإمام زين العابدين (عليه السلام) كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يبقي أحدهم عنده أكثر من مدة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنيا عن خدمتهم[١]. فكان يعتقهم بحجج متعددة، وبالمناسبات المختلفة.

إذن، فلماذا كان يشتريهم؟ ولماذا كان يعتقهم؟

٢. إنه (عليه السلام) كان يعامل الموالي، لا كعبيد أو إماء، بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، مما يغرز في نفوسهم الأخلاق الكريمة، ويحبب إليهم الإسلام، وأهل البيت الذين ينتمي إليهم الإمام (عليه السلام).

٣. إنه (عليه السلام) كان يعلم الرقيق أحكام الدين ويملؤهم بالمعارف الإسلامية، بحيث يخرج الواحد من عنده محصنا بالعلوم التي يفيد منها في حياته، ويدفع بها الشبهات، ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

---

[١] الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، رضى الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، ١٦١٦: ص٤٧٧.

٤. إنه (عليه السلام) كان يزود كل من يعتقه بما يغنيه، فيدخل المجتمع الجديد ليزاول الأعمال الحرة، كأي فرد من الأمة، ولا يكون عالة على أحد.

إن المقارنة بين هذه الملاحظات، وتلك، تعطينا بوضوح القناعة بأن الإمام كان بصدد إسقاط السياسة التي كان يزاولها الأمويون في معاملتهم مع الرقيق.

إن عمل الإمام زين العابدين (عليه السلام) أنتج نتائج عظيمة، هي:

١. حرر مجموعة كبيرة من عباد الله، وإمائه الذين وقعوا في الأسر، وتلك حالة استثنائية غير طبيعية، ومع أن الإسلام كان قد أقرها لأمور يعرف بعضها من خلال قراءة التاريخ، إلا أن الشريعة قد وضعت طرقا عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم الحرية، وقد استغل الإمام (عليه السلام) كل الظروف والمناسبات لتطبيق تلك الطرق، وتحرير العبيد والإماء.

وفي عمله تطبيق للشريعة وسننها، كما يدل عليه الحديث التالي:

فعن سعيد بن مرجانة، قال: سمعت أبا هريرة يقول: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إربا منه من النار، حتى أنه يعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج). فقال له علي بن حسين يا سعيد سمعت هذا من أبي هريرة، قال نعم قال لغلام له أقرب غلمانه ادع لي قبطيا، فلما قام بين يديه قال:- اذهب فأنت حر لوجه الله عز وجل[1].

[1] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر ١٧/ ١٣٦.

إن الإمـام زيـن العابـدين (عليـه السـلام) لا يخفـى عليـه ثـواب عتـق الرقبـة، وإنمـا أراد أن يؤكـد علـى سـنة العتـق مـن خـلال تقريـر الـراوي علـى سـماع الحديث! وليكون عمله قدوة للآخرين كي يقوموا بعتق ما يملكون من الرقاب.

٢. إن الرقيـق المعتقين يشـكلون جـيلا مـن التلامـذة الـذين تربـوا فـي بيـت الإمـام (عليـه السـلام) وعلـى يـده، بأفضـل شـكل، وعاشـوا معـه حيـاة مفعمـة بـالحق والمعرفـة، والصـدق والإخـلاص، وبتعـاليم الإسـلام مـن عقائـد وشـرائع وأخلاق كريمة.

فقـد كانـت جماعـة الرقيـق تحـتفظ بكـل ذلـك فـي قـرارات النفـوس، فـي شـعورهم أو لا شـعورهم، وينقلونـه إلـى الأجيـال المتعاقبـة، وفـي ذلـك حفـظ الإسـلام. ولا ريـب أن الإمـام (عليـه السـلام) لـو أراد أن يفـتح مدرسـة لتعلـيم مجموعـة مـن النـاس، فـلا بـد أنـه كـان يواجـه منعـا مـن الجهـاز الحـاكم، أو عرقلـة لعمله، أو رقابة شديدة على أقل تقدير.

٣. إن الإمـام (عليـه السـلام) اسـتقطب ولاء الأعـداد الكبيـرة مـن هـؤلاء المـوالي المحـررين، إذ لا يـزال ولاء العتـق يـربطهم بالإمـام (عليـه السـلام)، ولا ريـب أنهـم أصـبحوا جيشـا، فـإن عـددهم بلـغ - فـي مـا قيـل - خمسين ألفا، وقيل: مائة ألف! [1].

فعـن عبـد الغفـار بـن القاسـم أبـي مـريم الأنصـاري، قـال: كـان علـي بـن الحسين خارجـا مـن المسـجد فلقيـه رجـل فسـبه! فثـارت إليـه العبيـد والمـوالي، فقـال علـي بـن الحسين: مهـلا عـن الرجـل، ثـم أقبـل علـى الرجـل، فقـال لـه: مـا سـتر عنـك مـن أمرنـا أكثـر، ألـك حاجـة نعينـك عليهـا؟ - فاسـتحيى الرجـل - فـألقى عليـه

[1] بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المجلسي: ٤٦/ ١٠٤، ١٠٥.

خميصة كانت عليه، وأمر له بألف درهم. فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول[1].

وقد كان لهؤلاء العبيد موقف دفاعي آخر، عن أهل البيت، لما سمعوا أنباء ضغط ابن الزبير على آل أبي طالب في مكة، وشيخهم محمد بن الحنفية عم الإمام زين العابدين (عليه السلام)، في ما رواه البلاذري بسنده عن المشايخ يتحدثون: أنه لما كان من أمر ابن الحنفية ما كان، تجمع بالمدينة (!) قوم من السودان، غضبا له، ومراغمة لابن الزبير. فرأى ابن عمر غلاما له فيهم، وهو شاهر سيفه! فقال له: رباح!

قال رباح: والله، إنا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلى حقنا. فبكى ابن عمر، وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا[2].

حقا لقد تحين الإمام (عليه السلام) الفرص، واهتبل حتى الزلة الصغيرة تصدر من أحد الموالي ليهب له الحرية، فكان يكافئ الإساءة بالإحسان ليكون أعذب عند الذي يعتق، وأركز في خلده، فلا ينساه. فقد (عليه السلام) استنفد كل وسيلة للتحرير. وإليك بعض الأحاديث عن ذلك:

١. وروى أنه (عليه السلام) دعا مملوكه مرتين فلم يجبه وأجابه في الثالثة فقال له:- يا بني أما سمعت صوتي، قال:- بلى، قال:- فما لك لم تجبني، قال:- أمنتك، قال:- الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[3].

---

(١) كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت: ٢/ ٨١.

(٢) من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وقدم له: سهيل ذكّار، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط١، د. ت: ٣/ ٢٩٥.

(٣) كشف الغمة في معرفة الأئمة، الأربلي: ٢/ ٢٨٢.

٢. عن عبد الرزاق، قال: جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء يتهيأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه، فشقه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عز وجل يقول:(والكاظمين الغيظ). فقال لها: قد كظمت غيظي. قالت: (والعافين عن الناس).

فقال لها: قد عفا الله عنك. قالت: **﴿والله يحب المحسنين﴾**. قال: اذهبي، فأنت حرة[١].

فكأن هذا الحوار كان امتحانا واختبارا، نجحت فيه هذه الجارية، بحفظها هذه الآية، واستشهادها بها، فكانت جائزتها من الإمام (عليه السلام) أن تعتق!

٣. قال عبد الله بن عطاء: أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنبا استحق منه العقوبة، فأخذ له السوط، فقال: (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)[٢].

فقال الغلام: وأما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله وأخاف عقابه. فألقى السوط، وقال: أنت عتيق[٣].

فلقد لقنه الإمام (عليه السلام) بقراءة الآية، وهو يختبر معرفته بمعناها وذكاءه، فأعتقه مكافأة لذلك.

٤. وكان عند الإمام (عليه السلام) قوم، فاستعجل خادم له شواءا كان في التنور، فأقبل به الخادم مسرعا، وسقط السفود من يده على بني للإمام

---

[١] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٧/ ٢٤٠.

[٢] سورة الجاثية، الآية: ١٤.

[٣] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٧/ ٢٤٠.

(عليه السلام) أسفل الدرجة، فأصاب رأسه، فقتله، فوثب الإمام (عليه السلام)، فلما رآه، قال للغلام: إنك حر، إنك لم تتعمده، وأخذ في جهاز ابنه[1].

ولعملية الإعتاق على يد الإمام (عليه السلام) صور مثيرة أحيانا، تتجاوز الحسابات المتداولة: ففي الحديث المتقدم عن سعيد بن مرجانة، وجدنا أن الإمام (عليه السلام) قد أعتق غلاما اسمه (مطرف) وجاء في ذيل الحديث، أن عبد الله بن جعفر الطيار كان قد أعطى الإمام زين العابدين (عليه السلام) بهذا الغلام (ألف دينار) أو (عشرة آلاف درهم)[2].

ففي إمكان الإمام (عليه السلام) أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار على إعتاق هذا الغلام بالخصوص - مع غلاء ثمنه - يحتوي على معنى أكبر من العتق: فهو تطبيق لقوله تعالى: **﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾**[3].

وهو إيماء إلى أن الإنسان لا يعادل بالأثمان، مهما غلت وعلت أرقامها!

ولعل السبب الأساسي هو: أن غلاء ثمن الغلام لا يكون إلا من أجل أدبه، وذكائه، وحنكته، وقوته، وغير ذلك مما يجعله فردا نافعا، فإذا صار حرا، وهو متصف بهذه الصفات، يفيد المجتمع ككل، فهو أفضل - عند الإمام (عليه السلام) - من أن يكون عبدا يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصة، مهما كانت شريفة!

---

[1] المصدر نفسه: ١٧/ ٢٤٤.

[2] تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ١٧/ ٢٣٩.

[3] سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

وبهذا واجه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مشكلة الرق، واستفاد منها، في صالح المجتمع والدين.

وبعد هذه الصور الرائعة: فهل يصح أن يقال: إن زين العابدين (عليه السلام) كان منعزلا عن السياسة، أو مبتعدا عنها وهو يقوم بهذا النشاط الاجتماعي الواسع.

الفصل الثالث

صناعة التغيير من منظور الإمام السجاد "عليه السلام"

المبحث الأول

التغيير الشخصي من منظور الإمام السجاد (عليه السلام)

المطلب الأول: وظيفة الانسان في صناعة التغيير.

إن التغيير مهمة أساسية للإنسان، باعتباره الجزء الأهم من هذا العالم المتغير الذي لا يقبل السكون إضافة إلى ذلك انه مزود بخصائص الخلافة، ومأمور بالاستعداد لها. فالتصور القرآني يعتمد إرادة الإنسان وحرية الاختيار، فهي بوابة التغيير، للمحتوى الداخلي نفسه، ولكل ما يحيط به من علاقات ونظم وظواهر مختلفة. فالإنسان في نظر الإسلام هو كائن له حرية الاختيار في كل خطوة من حياته، فيستطيع أن يختار سبيل الفساد، كما يستطيع أن يسلك طريق الصلاح، ولا بد أن تستمر هذه الحرية معه حتى لحظة موته.

والإنسان في الرؤية الإسلامية، خلق ذو قوة متحركة، وطاقة مغيّرة، ومن خلال قوته وطاقته، وتأثيره وتأثره بما حوله، يستطيع أن يختار طريق الصلاح والإصلاح لما يحيط به. فالإنسان الذي يريده الإسلام هو الذي يسمع نداء الحق، ويتطلع إلى ما تمليه عليه فطرته السليمة من مشاهد كثيرة، ثم إن طريق الفساد ليس مغلقا إمامه تماما، بل يستطيع يميز بين الصلاح والفساد، ذلك إن قيمة الإنسان تكمن في قدرته على اختيار طريق الفساد ثم يعرض عنه، بل ويسعى جاهدا في تغييره وإصلاحه.

فحركة التغيير تبدأ بحركة الإنسان في داخل نفسه، ثم يتجه صوب العالم الخارجي، لتسخير طاقات هذا الكون نحو الأهداف والغايات التي ينشدها الإنسان...، وهنا يقول مالك بن نبي: (التاريخ يبدأ بالإنسان المتكامل الذي يطابق دائما بين جهوده وبين مثله الأعلى وحاجاته الأساسية، والذي يؤدي في

المجتمع رسالته المزدوجة، بوصفه ممثلا وشاهدا)[1]. ممثلا باعتباره خليفة في الأرض، وشاهدا بحسب قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً..﴾**[2].

فالإنسان عجيب في تركيبه، فريد في طبيعته، عظيم في مسؤولياته، وغاية وجوده ومصيره ومآله. خلق ليعرف ربه ويعبده، ويكون خليفة في أرضه، خلق ليحمل الأمانة الكبرى في هذه الحياة القصيرة: أمانة التكليف ومسؤوليته، فيطهره الابتلاء وتصقله التكاليف، وبذلك ينفع ويعد لحياة أخرى هي حياة الخلود والبقاء، والأبد الذي لا ينقطع[3].

ولكي تتحقق أبعاد خلافة الإنسان ورسالته في الأرض، زوده الخالق تبارك وتعالى بمختلف الطاقات العقلية، والقدرات الجسدية ومنحه حرية الاختيار، وذلك إن خلافة الله في الأرض، وإصلاحها بإقامة الحق والعدل وتحقق معالم الخير والفضيلة في ربوعها ولن يتحقق ذلك إلا إذا شعر الإنسان بإيجابية دوره، وفاعليته في الكون والحياة، وهي ما تقره الرؤية القرآنية التي تعتبر الإنسان (بنية متحركة، وهو يتحرك لأداء وظيفته، وتحقيق غاية، فما لم نفهم طبيعة الوظيفة وكنه الغاية، لم نفهم طبيعة الحركة)[4]. كما إن القرآن الكريم قد احترم إرادة الإنسان؛ حيث جعله حرا مختارا لأفعاله، ومسؤولا عن تصرفاته، قال تعالى: **﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً﴾**[5]، اي:

---

(1) وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م: ص ٣٢.

(2) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

(3) ينظر: أنوار التنزيل: ١/ ٤١٦.

(4) مقومات التصور الاسلامي، سيد: ص ٣٧٢.

(5) سورة الانسان، الآية: ٣.

عرّفناه طريق الهدى والضلال، والخير والشرّ[١]، وقال تعالى: ﴿**وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ**﴾[٢]، فالإنسان وفق الرؤية القرآنية، ومنطلق العقل الإسلامي، يجب أن يكون حرا ومختارا، ليكون مسؤولا، فلا مسؤولية بلا حرية الاختيار.. وهذا من عدل الله سبحانه وتعالى، ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[٣]، وقال تعالى أيضا: ﴿**فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ**﴾[٤]. وهكذا تتلازم الحرية والمسؤولية في منهج القرآن الكريم، وهكذا تكون قيمة الإنسان واحترامه في كونه حرا مسؤولا. فالإنسان الذي لا يملك الحرية والاختيار لا يمكن أن يصنع الحياة، ولا يستطيع أن يحدث النهضة والتغيير في مجتمعه[٥].

إذاً الإنسان هو أساس التغيير في التصور الإسلامي، والعبودية والفوز برضا الله تعالى هو هدفه حقق مظاهر حضارته الإسلامية في عمره المحدود أم لم يحققها على ارض الواقع طالما انه التزم بمنهاج النبوة في جميع خطواته وتخطيطاته. لهذا كان الإنسان -الفرد - هو أداة التغيير في مجتمعه إذا حقق المراد من خلقه[٦].

والرسول (صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) هو الداعية الأول في الإسلام إلى تغيير الباطل، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً***

---

[١] فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت- لبنان، ١٩٨٣م: ٥/ ٣٤٥.

[٢] سورة الصافات، الآية: ٢٤.

[٣] سورة البلد، الآية: ١٠.

[٤] سورة الأعراف، الآية: ٦.

[٥] مبادئ النهوض الاجتماعي: ص ٤٧.

[٦] خطوات على طريق النهضة، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة، الاسكندرية ، د. ط، ٢٠١٢م: ص ٣٢.

وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾[1]، وقد كرر الله تعالى الخطاب إلى النبي (صَلَّى اللهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ). آمرا إياه بدعوة التغيير، والاستمرار عليها، وعدم التحول عنها، قال تعالى: **﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾**[2]، وقوله تعالى: ﴿**وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [3]، وقد أمره سبحانه وتعالى أن يستمر في هذه المهمة العظيمة، والعبادة الجليلة حتى يأتيه اليقين من ربه، وينتقل إلى جواره الكريم راضيا مرضيا، قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾**[4].

وقد كانت مهمة تغيير الباطل وظيفة جميع رسل الله وأنبيائه **(عليهم السلام)**، ومن اجلها بعثهم الله سبحانه وتعالى إلى الناس، فكانوا جميعهم خير أداة للتغيير يدعون إلى التمسك بالحق ونبذ الباطل، قال تعالى: **﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** [5].

فإن النظرة القرآنية تجعل هذا الإنسان سيدا لهذه الارض بخلافته فيها، وهو عاملاً مهما في نظام الكون، ملحوظا في هذا النظام... وإن دور الإنسان

---

[1] سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

[2] سورة الحج، من الآية: ٦٧.

[3] سورة (القصص، من الآية: ٨٧.

[4] سورة الحجر، الآية: ٩٩.

[5] سورة النحل، الآية: ٣٦.

فـي الأرض هـو الـدور الأول. فهـو الـذي يغيـر ويبـدل فـي أشـكال الحيـاة وفـي ارتباطاتها؛ وهو الذي يقود اتجاهاتها ورحلاتها[١].

المطلب الثاني: منهج الإمام السجاد (عليه السلام) في صناعة التغيير.

إن تغييـر المنكـرات والـدعوة إلـى الخيـر والـى الحـق مسـؤولية كبيـرة وتكليـف شـاق؛ لأن الإصـلاح والتغييـر للمحتـوى الـداخلي للإنسـان، وتطهيـر عقائـده، وصـياغة أفكـاره وعواطفـه وسـلوكه صـياغة جديـدة تحتـاج الـى جهـد متواصل، وعمل دؤوب.

ولهـذا وجـب علـى العـاملون فـي هـذا المجـال أن يتّصـفوا بخصـائص وصـفات متميـزة، تـؤهلهم لخـوض غمـار المسـؤولية، وتغييـر ذهنيـة المجتمـع إلـى ذهنيـة إسـلامية، وتغييـر سـلوكه إلـى سـلوك إسـلامي. فـلا بـد أن يقـوم المكلـف بهـذه المهمـة مـن تقـويم نفسـه أولا؛ وذلـك بصـلاح عقيدتـه وعبادتـه وأخلاقـه ومعاملاتـه..، فالشـخص الـذي لا يسـتطيع إصـلاح نفسـه فهـو عـن إصـلاح الآخرين أعجز.

إن أخـلاق الـداعي المسـلم هـي أخـلاق الإسـلام التـي بينهـا الله تعـالى فـي قرآنـه وفصـلها الإمـام السـجاد (عليـه السـلام) ومـا عليـه إلا أن يعـرض نفسـه عليهـا ليـزن نفسـه فـي ميزانـه لـيعلم مـا عنـده منهـا ومـا يصـل إليـه بعـد منهـا. وهـذه الأخـلاق لهـا صـلة وثيقـة بعمـل الـداعي ويحتـاج إليهـا حاجـة ملحـة تبلـغ حـد الضرورة إذا أراد النجاح في عمله الطيب المبرور[٢].

---

[١] ينظـر: فـي ظـلال القـرآن، سـيد قطـب إبـراهيم حسـين الشـاربي (ت: ١٣٨٥ هــ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ: ٧٢/١.

[٢] أصـول الـدعوة، عبـد الكـريم زيـدان، مؤسسـة الرسـالة، ط٩، ١٤٢١ هــ-٢٠٠١ م: ص ٣٤٦.

إن منهج الإمام السجاد (عليه السلام) يؤكد على بناء الشخصية الإسلامية المتماسكة، وذلك من خلال الأوامر والنواهي والخطابات والنداءات القرآنية الموجهة إلى المؤمنين.. إن الكثير من الناس يدّعون أنهم يحبون التغيير ويأمرون به، ولكن القليل منهم الذين يتحلون بصفات وأخلاق الدعاة المصلحين التي دعا إليها القرآن الكريم. ومن هذه الصفات الكثيرة:

الفرع الاول: الإخلاص.

إن الإخلاص من أهم السمات التي يجب على أهل التغيير قادته ودعاته أن يتحلوا بها، (إن أهم سمة للقيادات الإلهية هي التوجه الصادق، والانقطاع الكلي، والإخلاص التام لله سبحانه، فهم متوجهون إليه كليا بالطاعة والذكر، والسعي والكدح، والتوكل والإنابة بكل أحاسيسهم ومشاعرهم، بل بكل وجودهم... قال تعالى: **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾**[1]، إذ يستجيبون لكل عمل خير، ويسعون لكل صلاح، وينشطون لكل هدى، ويكدحون لكل فضيلة، ويجاهدون في سبيل الحق... شعارهم جميعا: **﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي﴾**[2]، ونداؤهم قوله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** [3][4]. وقوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾**[5]، أي أخلص له

---

[1] سورة الأنبياء، من الآية: ٩٠.

[2] سورة الزمر، الآية: ١٤.

[3] سورة الأعراف، من الآية: ٢٩.

[4] المنهج الحركي في القرآن الكريم، عبد اللطيف الراضي: ص ١٦٢.

[5] سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢، ١٦٣.

صلاتك وذبحك. وقال تعالى عن موسى **(عليه السلام)**: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً﴾**[1].

فالإخلاص أذن من أهم الصفات اللازمة لنجاح تغيير الباطل، فالقيام بهذه الفريضة يهدف إلى قصد عظيم وغاية سامية، وهي أن تعلو كلمة الله على الأرض ويظهر دينه ويعم نوره... فإذا علم ذلك فينبغي لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن ينوي في ذلك وجه الله تعالى، ويجعل نيته خالصة له سبحانه، وأن يقصد بعمله هذا أن تكون كلمة الله هي العليا وأن يكون الله **عز وجل** هو المطاع في الأرض.

أما الإمام السجّاد(عليه السلام) فيقول في دعائه في الانقطاع إلى الله: "اللهم إنّي أخلصتُ في انقطاعي إليك ـ فليس هناك شخص يشغله(عليه السلام) عن الله سبحانه، فانقطع إليه انقطاع الإخلاص، إخلاص العقل والقلب، لأنَّ الحياة كلَّها لله ـ وأقبلتُ بكلِّي عليك ـ فقد أقبل عقلي وقلبي وحياتي إليك ـ وصرفتُ وجهي عمّن يحتاج إلى رفدك ـ إنَّ بعض الناس قد يتوجّهون إلى من يملك المال أو الجاه ليطلبوا منه حاجاتهم، ولكني رأيت أنَّ من يُتوجَّه إليه هو المحتاج إلى رفدك وعطائك ـ وقلبت مسألتي عمّن لم يستغنِ عن فضلك، ورأيت أنَّ طَلَبَ المحتاج إلى المحتاج سَفَهٌ من رأيه وضلّةٌ من عقله ـ فأيُّ سَفَهٍ أشدُّ من أن يطلب المحتاج حاجته من المحتاج ـفكم قد رأيتُ يا إلهي من أناسٍ طلبوا العزَّ بغيرك فذلّوا، وراموا الثروة من سواك فافتقروا، وحاولوا الارتفاع فاتّضعوا، فصحَّ بمعاينة أمثالهم حازمٌ وفّقه اعتباره، وأرشدَه إلى طريق صوابه اختيارُه، فأنت يا مولاي دون كلِّ مسؤول موضعُ مسألتي، ودون كلِّ مطلوبٍ وليُّ حاجتي". هذا هو عليّ بن الحسين(عليه السلام) الذي عاش مع الله وأقبل بكلّه عليه، يقول لنا من خلال هذا الدعاء: أيّها الناس التجئوا بكلّكم إليه، لأنَّه

[1] سورة مريم، الآية: ٥١.

ليس هناك عدا الله، فكلٌ من عداه خلْقُه وعبيدٌ له، لذلك انطلقوا مع الخالق، ولا تكونوا مع المخلوق الضعيف مثلكم.

إذا فالإخلاص هو تجريد قصد القُرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب وتصفية العمل عن شوائب الكدر وعن ملاحظة المخلوقين، قال تعالى: **﴿وَمَا أُمِروا إِلا لِيَعبُدوا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ...﴾**[1]، وقال تعالى أيضا:**﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾**[2].

وأبرز ما يدل على الإخلاص في دعوة التغيير، أن يكون زوال الباطل بإنكار غيره أحب إليه من زواله على يده، أن لا يترك العمل الدعوي من اجل الناس.

الفرع الثاني: العلم والعمل.

إن العلم بعد الإخلاص من أهم ما يحسن بالأمة التي تتصدى للإصلاح والتغيير ان تتحلى بها- جماعة وأفرادا-، فإن العلم زينة لها، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والتغيير، قال تعالى: **﴿قُل هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾**[3]، وقال تعالى أيضا: **﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾**[4].

---

(1) سورة البينة، من الآية: ٥.

(2) سورة الكهف، الآية:١١٠.

(3) سورة الزمر، الآية: ٩.

(4) سورة سبأ، الآية: ٦.

فمن هذا كانت أول الآيات التي نزلت في القرآن الكريم هي قوله تعالى: **﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾**[1]، تعطي إشارة إلى أن معالم هذه الرسالة مبنية على العلم والمعرفة والعقل. فإن جهالة من يأمر وينهى و فيما يدعو إليه، قد يوقع الداعي في إشكاليات عديدة، بل ربما حدثت بسبب ذلك مفاسد كبيرة، أو تعطلت مصالح راجحة. قال تعالى: **﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** [2]، قال الحافظ ابن كثير -**رحمه الله**-: أي: وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذي يفرقون به بين الحق والباطل، المؤمنون بالله ورسوله(صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ) أنَّ ما أوحيناه إليك هو الحق من ربك [3].

وجاء في رسالة الحقوق عنه (عليه السلام) " تعلموا العلم فإن تعلمه حسنة ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وهو عند الله لأهله قربة، لأنه معالم الحلال والحرام وسالك بطالبه سبيل الجنة، وهو أنيس في الوحشة وصاحب في الوحدة وسلاح على الأعداء وزين عند الأخلاء، يرفع الله به أقواما يجعلهم في الخير أئمة يقتدى بهم وترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكة في خلتهم، يمسحونهم بأجنحتهم في صلواتهم، لأن العلم حياة القلوب من الجهل ونور الأبصار من العمى وقوة الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسة الأخيار في الدنيا والآخرة، وبالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد، وبالعلم توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله

---

[1] سورة العلق، الاية: ١.

[2] سورة الحج، الآية: ٥٤.

[3] تفسير ابن كثير: ٥/ ٤٤٦.

السعداء ويحرمه الأشقياء."

وعنه (عليه السلام) إنه قال: " أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال لأن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه."

الفرع الثالث: الرحمة والرفق:

ومن الصفات المهمة التي يجب أن تتوفر في قادة التغيير ودعاته الرحمة والرفق ولين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف؛ فعلى الداعي أن يعرف بوضوح أن رسالته للناس جميعا هي رسالة رحمة كما أخبرنا القرآن وهو يخاطب الرسول (صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ وسَلَّمَ): **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾**[1]، رحمة في العقيدة، ورحمة في التشريع، رحمة في الأخلاق...[2].

ومن حكم الإمام السجاد عليه السلام: "وما رفق أحد بأحد في الدنيا إلّا رفق الله عزّ وجلّ به يوم القيامة، ورأس الحكمة مخافة الله".

ما أروع معاني هذه الحكمة!! وما أسمى مقاصدها، فقد أوصت بكلّ ما يسعد به الإنسان ويشرفه على كل كائن حيّ.

وحكى الإمام عليه السلام لأصحابه إحدى مناجاة الله تعالى مع نبيّه موسى عليه السلام قال: "أوحى الله إلى موسى: حبّبني إلى خلقي، وحبّب خلقي إليّ، فقال موسى: يا ربّ كيف أفعل؟ قال: ذكرهم آلائي، ونعمائي ليحبّوني،

---

[1] سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

[2] الدعوة قواعد واصول، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م: ص ٥٥.

فلا ترد آبقاً عن بابي، أو ضالاً عن فنائي. إن ذلك أفضل لك من عبادة مائة سنة، يصام نهارها، ويقام ليلها، قال موسى: من هذا العبد الآبق منك؟ قال الله: المتمرّد، قال: فمن الضال عن فنائك؟ قال: الجاهل بإمام زمانه، والغائب عنه بعدما عرفه، الجاهل بشريعة دينه، تعرفه شريعته، وما يعبد به ربّه تعالى، ويتوصل به إلى مرضاته".

لقد حث الإمام عليه السلام بهذا الحديث الدعاة إلى الله تعالى على بذل المزيد من الجهود لإنقاذ الناس من معاصي الله، وترغيبهم في طاعته، وأن لا ينفروهم من ذلك، وإن عملهم في هذا السبيل من أفضل الطاعات، وأحبّها إلى الله.

الفرع الرابع: الشجاعة والثقة بالله:

ومن الصفات التي تزين دعاة التغيير، بل وينبغي أن تتوفر فيهم، الشجاعة والإقدام في مواجهة الباطل، وإنهم لا تأخذهم بالله لومة لائم، ولا يخشون أحدا إلا الله تعالى؛ فبهما لا تخيب آمالهم، ولا يخسرون صفقتهم مع الله. إذ أن الجبن والخوف والتردد تحول بين المرء والوصول إلى هدفه. إن مواجهة الناس ومواجهة الأحداث والمواقف لتغييرها بالإسلام بحاجة إلى شجاعة والإقدام؛ لان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والداعي له يصطدم بشهوات البعض وبالضعف النفسي لهم، ويصطدم بالجاهلين الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ويصطدم بمخططات ومؤامرات أعداء الإسلام أو التيارات الفكرية المنحرفة التي لا تروق لها انتشار مبادئ الإسلام في المجتمع، ويصطدم بالقوى الشريرة التي تتعامل بالأذى والتكذيب والاستهزاء، ويصطدم بالمثبطين له عن الانطلاق في التكليف أو الاستمرارية، فإن الجبان لا يستطيع الإقدام على عمل، كما انه لا يستطيع الاستمرار عليه، وانه يتراجع

عن الطريق إذا سمع عواء إي كلب، فهو ليس يصلح ليتسلم منصب التغيير، الذي هو من اخطر المناصب، ومن أعظم المهمات والأهداف[١].

والشجاعة لها دور كبير في التغيير؛ لان الناس يتأثرون لاإراديا بالشجاع، ويكون له تأثير لاشعوري على سلوكهم وممارساتهم العملية كما أثبتت التجارب الاجتماعية.

ويفترض أيضا بدعاة التغيير أن يكونوا على ثقة بالنجاح في دعوتهم، وبتوفيقهم في مهمتهم التي خلقوا من اجلها، وان العراقيل التي تواجههم، والمشاق التي تصيبهم في سبيل مواجهة الباطل، لا تخيب آمالهم، ولا تغير طريقهم، ولا تثنيهم عن مواصلة دعوتهم، ولا تزيل ثقتهم بالله بأنه ناصرهم ولا محالة[٢].

وحين نستعرض حياة الإمام زين العابدين(عليه السلام)، نجد أن هناك أكثر من مرحلة مرّت بها حياته: فالمرحلة الأولى، هي مرحلة الشباب التي عاشها مع أبيه الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)، فقد كان يرافقه ليلاً ونهاراً، وكان الإمام الحسين(عليه السلام) يتحدّث إليه كما يتحدّث الإمام إلى الإمام الذي سيخلفه؛ فكان يعطيه من عقله عقلاً، ومن علمه علماً، ومن روحانيته روحانيةً، ومن زهده زهداً، ومن عبادته عبادةً، ومن شجاعته وصلابته شجاعةً وصلابةً، ونحن نقرأ في جانب المأساة من سيرته، أنّه عندما هدّده ابن زياد بالقتل، قال له: "أبالقتل تهدّدني يا بن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة".

---

(١) محمد في القرآن، رضا الصدر، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠هـ: ص١٩١.

(٢) محمد في القرآن: ص ١٩٢.

كان موقفه صلباً وشجاعاً، حيث استطاع أن يسقط عنفوان يزيد في مجلسه، بالرغم من كلّ أجواء الحزن والمأساة والأسر التي كانت تحيط به. ولذلك فإنّ الإمام السجَّاد(عليه السلام) انطلق في إمامته من إمامة أبيه الحسين(عليه السلام) الذي أخذ سرّ الإمامة من أبيه علي(عليه السلام)، والّذي انطلق في أخلاقه وروحانيته من أمّه فاطمة(عليه السلام) ومن جدّه رسول الله(صلى الله عليه وسلم). وقد كانت هذه المرحلة مرحلة تربية الحسين لولده زين العابدين، والّتي أغنت تجربة الإمام زين العابدين(عليه السلام)، الذي كان ينقل عن أبيه الإمام الحسين(عليه السلام) بعض وصاياه، ومن بينها، أنه قال له: «يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي حين حضرته الوفاة، قال يا بني: إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله»، لأنَّ الأئمة(عليه السلام) منذ رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، وامتثالاً لما جاء في القرآن الكريم، كانوا أئمَّة العدل، وكانوا يريدون أن تقوم الحياة على أساس العدل؛ فلا يُظلَم فيها أحدٌ، ولاسيما من المستضعفين الذين لا يجدون ناصراً إلاّ الله.

الفرع الخامس: الحلم والأناة.

والحِلم: بالكسر الأناة، والتثبت في الأمور. وذلك من شعار العقلاء[1]. وهو ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب، وجمعه أحلام، وضده السفه[2].

ولقد وصف الله تعالى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) بهذه الصفة مادحاً له في قوله سبحانه تعالى: **﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّ**

---

[1] ينظر: لسان العرب، مادة (حلم).

[2] ينظر: مختار الصحاح، الرازي، مادة (سفه).

[3] سورة هود، الآية: ٧٥.

إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[1]، أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال كان من حلمه أنه كان إذا أذاه الرجل من قومه قال له: هداك الله[2].

ومن أخلاقيات الإمام السجاد (عليه السلام÷ في عفوه وصفحه وتسامحه مع من أساء إليه، ينقل إلينا كتب سيرته عدّة روايات في هذا المجال، منها:

أنّه كان في المدينة والٍ من قبل الخليفة الأموي، واسمه هشام بن إسماعيل، وكان هذا الوالي يؤذي الإمام (عليه السلام) إيذاءً شديداً، ويؤذي أهل بيته أيضاً... ودارت الدوائر على هذا الوالي، حيث عزله الوالي الأموي آنذاك، وأمر بأن يوقف للناس إمعاناً في إهاناته، لأنّه كان والياً ظالماً. فكان هذا الرجل يفكّر والناس يطوفون به، أنّه من الممكن جداً أن يأتيه أشدّ الإيذاء من الإمام زين العابدين(عليه السلام) ومن بني هاشم، لشدّة ظلمه لهم وإيذائه إيّاهم، ولكنَّ الإمام(عليه السلام) أوصى أصحابه بأن لا يتعرض أحد له بسوء، وهكذا كان، إذ مرّ عليه الإمام(عليه السلام) وبنو هاشم، فكانوا يسلّمون عليه، حتى اهتزَّت مشاعر هذا الرجل وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وأيضاً مما يذكر في سيرته(عليه السلام) ، أنه عندما ثار أهل المدينة على الأمويين، كان مروان بن الحكم شيخ الأمويين، وكان من الطبيعي أن ينالـه ما ينالهم من الإهانة والتعسّف، وكانت لمروان عائلة كبيرة ـ بحسب بعض الروايات ـ تبلغ أربعمائة شخص بين ولد وابنة وزوجة وغيرهم، وكان حائراً يبحث عن مكان يحمي عياله فيه، لأنّه كان يريد الهرب والخروج من

---

[1] سورة التوبة، من الآية: ١١٤.

[2] الدر المنثورفي التاول بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ط١، دار المعرفه، جدة، د. ط، ١٣٦٥هـ: ٣/ ٢٨٥.

المدينـة، وعـرض علـى أكثـر مـن شـخص فـي المدينـة، ومـنهم عبـد الله بـن عمـر، أن يستضـيف عيالـه، فـرفض ذلـك، وجـاء إلـى الإمـام زيـن العابدين(عليـه السـلام) ، وعـرض عليـه ذلـك، فقـال لـه الإمـام: إبعـث بعيالـك إلـى عيـالي، وأنـا سـوف أستضـيفهم. ونحـن نعـرف أن مـروان بـن الحكـم هـو الـذي كـان يقـول لـوالي المدينـة بخصـوص الحسـين(عليه السـلام): اقتلـه قبـل أن يخـرج مـن عنـدك، فـلا يبـايع بعـد ذلـك. ولكـنّ الإمام(عليـه السـلام) أحسـن إلـيهم، وعـاملهم أفضـل المعاملـة، حتّـى قالـت إحـدى بنـات مـروان: "لـم نجـد مـن الرعايـة والعنايـة والعاطفـة عنـد أبينـا مـا وجدناه عند علي بن الحسين."

وهذا ما يتمثَّل بقول الشاعر:

ملكنا فكان العفو منّا سجيّةً فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح

وحلَّلتم قتل الأسارى وطالما غدونا عن الأسرى نعفُّ ونصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلُّ إناء بالَّذي فيه ينضح

وتنقـل كتـب السـيرة، أنّـه كـان هنـاك شـخص مـن بنـي هاشـم مـن أقربـاء الإمـام زيـن العابدين(عليـه السـلام) ، وكـان حاقـداً علـى الإمـام، وبينمـا كـان الإمام(عليـه السـلام) فـي يـوم جالسـاً بـين أصـحابه، وقـف هـذا الرجـل، وبـدأ يـتكلم بكـلام سيّـيء بحـقّ الإمـام، والإمـام صـامت، ثـم ذهـب هـذا الرجـل، وبعـد قليـل، قـال الإمـام لأصـحابه: «قـد سـمعتم مـا قـال هـذا الرّجـل، وأنـا أحـبُّ أن تبلغـوا معـي إليـه حتّـى تسـمعوا ردّي عليـه. فقـالوا لـه: نفعـل، وقـد كنّـا نحـبّ أن تقـول لـه ونقـول، قـال: فأخـذ نعليـه ومشـى وهـو يقـول:﴿**وَالكَـاظِمِينَ الغَـيْظَ وَالعَـافِينَ عَـنِ النَّـاسِ وَاللهُ يُحِـبُّ المُحْسِـنِينَ**﴾[1]فعلمنـا أنـه لا يقـول لـه شـيئاً. قـال: فخـرج حتـى أتـى منـزل

[1] سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

الرجل، فصرخ به قائلاً: قولوا له: هذا عليّ بن الحسين، قال: فخرج إلينا متوثّباً للشر... فقال له الإمام: "يا أخي، إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت، فإن كنت قلت ما فيّ فأستغفر الله منه، وإن كنت ما قلت ما ليس فيّ، فغفر الله لك. فاهتزّ الرجل، وقال: بل قلت فيك ما ليس فيك، وأنا أحق به"

وينقل عنه(عليه السلام) أنه كان يقول: "ما تجرَّعت جرعة غيظ قطُّ أحبُّ إلي من جرعة غيظ أعقبها صبراً، وما أحبُّ أن لي بذلك حمر النعم». وقال الزهري، وهو أحد أصحاب الإمام(عليه السلام)، ولم يكن شيعياً: "ما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السرّ ولا عدوّاً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: لأنّي لم أرَ أحداً وإن كان يحبّه، إلاّ وهو لشدّة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه، إلاّ وهو لشدة مداراته يداريه".

كما إنّ هناك كلمةً للإمام زين العابدين(عليه السلام) في النهي عن العصبية، وما أكثر العصبيات في أيامنا؛ عصبيات طائفية ومذهبية وعشائرية وسياسية، فنحن مجتمع العصبيات. ومما ينقل عنه(عليه السلام) أنّه قال: «العصبية التي يأثم عليها صاحبها، أن يرى الرّجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين ـ على مستوى العشيرة والحزب والطائفة ـ وليس من العصبية أن يحبَّ الرجل قومه، ولكن من العصبيّة أن يُعين قومه على الظلم"، فإذا رأيت أحداً من أقربائك يتعارك مع شخص آخر، فلا تقف مع قريبك فوراً ضد الآخر، لأنّه من المكن أن يكون هو الظالم، ولا يجوز لك أن نساعد الظالم، سواء كان من حزبك أو من عائلتك أو طائفتك أو مذهبك، على المظلوم الّذي هو من مذهب آخر أو من طائفة أخرى وما إلى ذلك.

الفرع السادس: الصبر.

إن من أهم الصفات التي تجعل الداعية قادراً على الإصلاح والتغيير هي أن يتحلى بالصبر على تحمل أعباء الدعوة، والصبر على أذى الناس.

والصبر في اللغة: الحبس والكف في ضيق، ومنه قيل: فلان صبر، اذا امسك وحبس للقتل، وشرعا: حبس النفس عن الجزع، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش[1].

والصبر في الاصطلاح: هو حبس الإنسان نفسه على فعل الطاعة، وعلى ترك المعصية. أما الصبر على طاعة الله، فيكون بالمحافظة عليها دوما والإخلاص فيها، وأما الصبر على المعصية فيكون بهجر السيئات والفرار من المعاصي والدوام على هذا الفرار.. أما الصبر على البلاء والمصائب، فيكون بترك التسخط واحتمال المؤلم المكروه، وترك الشكوى للناس فان الصبر الجميل ينافي الشكوى للمخلوق[2]. والصبر من أبرز الأخلاق القرآنية التي عنى بها الكتاب العزيز، وهو أكثر خلق تكرر في القرآن؛ لأنه لا إيمان لمن لا صبر له، وإن وجد فإيمان ضعيف وصاحبه ممن يعبد الله على حرف إن أصابه خير اطمئن به وإن أصابته فتنة انقلب على عقبيه خسر الدنيا والآخرة، وذلك جعله رسول الله **(صَلَّى اللَّهِ عَلَيْهِ سَلَّمَ)** نصف الإيمان، إذ الإيمان نصفه شكر ونصفه صبر، وهو أحد أطباق السعادة كما يقول الإمام ابن القيم **(رحمه الله)**: أطباق السعادة ثلاثة: إذا انعم عليه شكر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أذنب استغفر[3]. قال تعالى:**﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** [1].

---

[1] تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت: ٧/ ٧١.

[2] اصول الدعوة: ص ٣٤٨، ٣٤٩.

[3] الدعوة قواعد واصول، جمعة امين عبد العزيز: ص ٦٢.

و(الصبر) قيمة خلقية ومظهر من مظاهر الشخصية الإنسانية المؤمنة، تُعرف به حقيقة الإيمان وحسن اليقين بالله، إذ ذكر مثل هذا في قول الإمام علي (عليه السلام): ((عليكم بالصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فكما لا خير في جسد لا رأس له، لا خير في إيمان لا صبر معه)).

إنّ الإمام زين العابدين (عليه السلام) جعل من مفهوم الصبر منظومة اخلاقية متكاملة صاغها على وفق المنهج القرآني صياغة فنية جمالية بلاغية في سياق حديثه، وبناء تربويا متماسكا جمع فيه معاني التربية الخلقية كلها، وعدت بوصفها رسالة وجهة للإنسان المؤمن في كل زمان ومكان مرشدا تربويا على أن يتصف بسمة التحمل لما يصيبه من المحن، والصعاب والمواقف التي تقهره بإرادته، أو من دونها، سواء أكانت نفسية ام بدنية.

والصبر ضرورة للإنسان لما له من قيمة كبيرة دينية وخلقية، فهو ضرورة لازمة له ليرقى مادياً ومعنوياً، ويسعد فردياً واجتماعيًا، فلا ينتصر دين، ولا تنهض أمة إلا بالصبر، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر.

---

(١) سورة إبراهيم، من الآية: ٥.

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية البحث لا بد من وقفة نوضح أهم معالم هذا البحث، وكما يأتي:

١. امتاز الامام السجاد عليه السلام بمزايا كثيرة لعل من أهمها قدرته على اكتشاف الأمراض التي تصيب الفرد والمجتمع.
٢. قدرة الإمام السجاد على توظيف قلمه السيال في التغيير على كافة الصعد المختلفة.
٣. تتجلى امكانية الإمام السجاد ع في التغيير الشخصي في القوة الناعمة التي كان يبثها من خلال كلماته المبثوثة في الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق.
٤. تجلت القوة الناعمة في تغيير من خلال محور الاخلاص لله تعالى وهذه أولى مراحل التغيير الشخصي عند الامام السجاد ع.
٥. ربط الإمام السجاد العلم بالعمل وجعلهما ثنائية مهمة من وسائل التغيير الشخصي.
٦. ربط الإمام السجاد عليه السلام بين العقل والحكمة فجات متوائمة غير متضادة.
٧. كان اساس التعاطي مع عملية التغيير الشخصي تبدأ عند الامام السجاد ع من الرفق.
٨. دعا الامام السجاد الى التحلي بالشجاعة في أصعب حالات الضعف التي مر بها لكي يثبت للعالم حجم ثقته بالله تعالى.
٩. وقد أكد الإمام السجاد ع على الحلم والأناة في التعاطي مع الحوادث الجديدة.

١٠.وركـن الأمـام السـجاد غلـى الصـبر ورأى فيـه العـلاج الأنجـع لأجـراء عمليـة التغيير الشخصي

المصادر والمراجع

١. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤٢٢ هـ.

٢. الإحتجاج على أهل اللجاج، أحمد بن علي الطبرسي، دار المرتضى للنشر، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣. إحقاق الحق وإزهاق الباطل، التستري نور الله الحسيني المرعشي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم – إيران، د. ط، د. ت.

٤. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.

٥. الاختصاص، المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد العكبري، انتشارات جماعة المدرسين، قم – إيران، د. ط، د. ت.

٦. اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، أبى جعفر الطوسي، تحقيق: مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، د. ط، ١٤٠٤هـ.

٧. الأخلاق الإسلامية بين النظرية والتطبيق، لمحفوظ علي عزام، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٨. الأخلاق الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط٣، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

٩. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: ٩٥١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.

١٠. إرشاد القلوب إلى الصواب، حسن بن محمد ديلمي (ت: ٨٤١ق)، تحقيق وتصحيح: ندارد، الناشر: الشريف الرضي، قم - إيران، د. ط، د. ت.
١١. اساس التربية والتعليم في القرآن والأحاديث، رضا فرهاديان، ترجمة: عبد الهادي الركابي، دار الرسول الاكرم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٢. الإسلام وحقوق الإنسان ضرورات لا حقوق، د. محمد عمارة، المشرف العام: أحمد مشاري العدواني، د. ط، ١٩٨٥م.
١٣. أصول التربية الإسلامية وأساليبها، عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق، ط٣، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
١٤. أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
١٥. اصول الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨ – ٣٢٩هـ)، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
١٦. اصول تزكية النفس وتوعيتها، محمد باقر السيستاني، دار المؤرخ العربي، د. ط، ٢٠١٨م.
١٧. أصول علم النفس الحديث، د. فرج عبد القادر طه، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٤م.
١٨. الأصول من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط١، ١٣٨٨ هـ.
١٩. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد السيد أرناؤوط، مكتبة مدبولي، القاهرة، د. ط، د. ت.

٢٠. أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن محمد ديلمي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، د. ط، ٢٠١٦م.
٢١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٢. اعلام الهداية، الامام علي بن الحسين زين العابدين(عليه السلام)، لجنة تأليف، المعاونية الثقافية في المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام)، لبنان، د. ط، ١٤٣٠هـ.
٢٣. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د. ط، د. ت.
٢٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.
٢٥. الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرة في السنة، رضى الدين علي بن موسى بن جعفر بن طاووس، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، ط١، ١٦١٦.
٢٦. الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٢٧. الامالي، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، د. ط، ١٤١٧ هـ.

٢٨. الامام السجّاد (عليه السلام) البكاء والدعاء عوامل لإصلاح النفوس، محمد علي جواد تقي، https://www.annabaa.org/arabic/ahlalbayt/.
٢٩. الإمام زين العابدين (عليه السلام) قدوة الصالحين، السيد محمد الشيرازي، مؤسسه تحقيقات ونشر معارف اهل البيت (عليهم السلام)، د. ط، د. ت.
٣٠. الإمام زين العابدين، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط١، ١٤٢٤م.
٣١. الامام علي بن الحسين (عليه السلام) دراسة تحليلية، مختار الاسدي (معاصر)، مركز الرسالة، د. ط، د. ت.
٣٢. الإنسان من التراب إلى التراب، نعمة الله صالحي، ترجمة: خضير عبد الله، دار الرسول الأكرم، بيروت، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣٣. الانسان والحضارة في القرآن الكريم بين العلمية والعولمة، فرح موسى، دار الهادي، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣ م.
٣٤. اهل البيت القدوة والدور التاريخي، محمد باقر الصدر، تحقيق: عبد الرزاق هادي الصالحي، اهل الذكر للطباعة، ايران، قم، د. ط، ١٤٢٩.
٣٥. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.
٣٦. بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، د. ط، ١٤٠٣ هـ.

٣٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، المولى محمد تقي المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان - بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٣٨. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز– مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: عبد الحليم الطحاوي، مطبعة الكتاب الرابع، القاهرة، د. ط، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.
٣٩. بلاغة الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام)، خطب ورسائل وكلمات، جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، دار الحديث، قم، د. ط، ١٤٢٥ ق = ١٣٨٣ش.
٤٠. بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام المؤلف، جعفر عباس الحائري، تحقيق: جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائري، طبع ونشر، دار الحديث للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥ - ١٣٨٣ش.
٤١. بناء المجتمع الإسلامي، د. نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
٤٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، دار الهداية، د. ط، د. ت.
٤٣. تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٤٤. تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر، لبنان- بيروت، د. ط، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٥. تاريخ مدينة دمشق، الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١ هـ)، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر دمشق، د . ط، ١٤١٩هـ.
٤٦. التبيان في تفسير غريب القرآن، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.
٤٧. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤ هـ.
٤٨. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ذوي القربى، قم، ط٣، ١٤٢٩هـ.
٤٩. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوى، ط١، ١٣٩٣هـ.
٥٠. تذكرة خواص الامة في خصائص الأئمة، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله سبط بن الجوزي (ت: ٦٥٤هـ)، مؤسسة أهل البيت، بيروت، د. ط، د. ت.
٥١. التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥.
٥٢. التغيير الاجتماعي، احمد الخشاب، القاهرة، ط١، ١٩٧١م.
٥٣. التغيير على منهاج النبوة، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، د. ط، ١٩٩٥م.

٥٤. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ.
٥٥. التفسير الكبير، الرازي فخر الدين محمد بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، د. ت.
٥٦. تفسير الميزان، محمد حسين الطباطبائي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، د. ط، د. ت.
٥٧. التفسير الوسيط، الشيخ محمد سيد طنطاوي، مطبعة القاهرة، د. ط، د. ت.
٥٨. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة محمد بن الحسن الحر العاملي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المشرفة، ط٢، ١٤١٤ هـ.
٥٩. تنظيم الإسلام للمجتمع، لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي، مصر – القاهرة، ط١، د. ت.
٦٠. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، مؤسسة الرسالة بيروت، د. ط، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٦١. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد الأزهري، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، د. ط، د. ت.
٦٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، ضبط وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٦٣. جامع المدارك في شرح المختصر النافع، سيد احمد الخونساري، مكتبة الصدوق، ط٢، د. ت.

٦٤. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٦٦. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٢ هـ.

٦٧. جنود العقل والجهل، الإمام الخميني، منشورات مؤسسة الأعلمي للنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٦٨. حركة التغيير الاجتماعي في القرآن، محسن عبد الحميد، مطبعة الحوادث، بغداد، ط١، ١٩٧٩م.

٦٩. حقائق عن التصوف، الشيخ عبد القادر عيسى، مطبعة النواعير، الرمادي، د. ط، ١٩٩٢م.

٧٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، ابو نعيم، السعادة – مصر، د. ط، ١٩٩٦م.

٧١. حول اعادة تشكيل العقل المسلم، عماد الدين خليل، دار الكتاب الإسلامي، قم – إيران، ط١، د. ت.

٧٢. حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، باقر شريف القرشي، موسسة الامام المجتبى، إيران - قم، ط٢، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

٧٣. حياة الإمام علي بن الحسين عليهما السلام، باقر شريف القرشي، موسسة الامام المجتبى، إيران - قم، د. ط، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
٧٤. الخصال، الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، د. ط، ١٤٠٣ هـ.
٧٥. خطوات على طريق النهضة، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة، الاسكندرية، د. ط، ٢٠١٢م.
٧٦. خواطر الإنسان بين منظوري علم النفس والقرآن، وليد عبد الله زريق، دراسات عليا في التربية وعلم النفس، مطبعة اللداوي، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، حلب، د. ط، ١٩٩٦م.
٧٧. خواطر القصة في القرآن الكريم، الدكتور مصطفى السيد، بحث منشور في مجلة البيان، العدد ٣٣.
٧٨. الدر المنثور في التأول بالمأثور، جلال الدين السيوطي، ط١، دار المعرفه، جدة، د. ط، ١٣٦٥هـ.
٧٩. الدر النظيم، المشغري جمال الدين يوسف بن حاتم بن فوز بن مهند الشامي العاملي، مؤسسة النشر الاسلامي، إيران، د. ط، د. ت.
٨٠. دستور الأخلاق في القرآن الكريم، لمحمد عبد الله دراز، المحقق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، د. ط، د. ت.
٨١. الدعوة قواعد واصول، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط٤، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٨٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)،

المحقق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٨٣. الرأي العام في المجتمع الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة السادسة عشرة، العدد الواحد والستون، محرم- صفر - ربيع الأول ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨٤. ربيع الأبرار في نصوص الاخيار، ابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري(ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤١٢هـ.

٨٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

٨٦. الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م.

٨٧. روضة الطالبين وعمدة السالكين، من مجموعة رسائل الغزالي دار الفكر، بيروت، نسخة مصححة محققة، د. ط، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٨٨. الروضة من الكافي، الكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، طهران، ط٢، ١٣٨٩ هـ.

٨٩. الرياضة وآداب النفس، أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي (ت: ٣٢٠هـ)، أخرجه: د. أ. ج اريدي، د. علي حسن عبد القادر، مطبعة مصطفى البابي، مصر، د. ط، ١٩٤٧م.

٩٠. الزواجر عن اقتراف الكبائر، الإمام احمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي السعدي الأنصاري الشافعي (ت: ٩٧٤هـ)، مطبعة الحلبي وأولاده بمصر، ط٢، ١٣٩٠هـ.
٩١. سلسلة أعمال قلوب، الشيخ محمد صالح المنجد، اعتنى بها قسم التحقيق بمركز الدكتور عبد الوارث الحداد للبحث العلمي، دار الفجر للتراث، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٩٢. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط٩، ١٤١٣ هـ-١٩٩٣ م.
٩٣. شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري، منشورات المكتبة الحيدرية، العراق- النجف، ط٥، محرم الحرام ١٣٨٥ هجرية.
٩٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي(ت: ١٠٨٩هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
٩٥. شرح الصحيفة السجادية، السيد محمد الحسيني الشيرازي، دار العلوم، لبنان، د. ط، ٢٠٠٨م.
٩٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٣٧٨ - ١٩٥٩ م.
٩٧. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨ هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د عبد العلي عبد الحميد حامد [ت ١٤٤٣ هـ]، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي [ت ١٤٢٨ هـ]، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، مكتبة

الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٩٨. شفاء السائل لتهذيب المسائل، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، د. ط، د. ت.
٩٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
١٠٠. الصدوق أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، علل الشرائع، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف، د. ط، ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦م.
١٠١. صفوة الصفوة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر، د. ط، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٠٢. ضحى الإسلام، أحمد أمين، مكتبة النهضة، القاهرة، د. ط، د. ت.
١٠٣. الطبقات الكبرى، ابن سعد، دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د، ت.
١٠٤. عبادة الامام زين العابدين وشرح الصحيفة السجادية، باقر شريف القرشي (ت: ٢٠١٢م)، تحقيق: مهدي باقر القرشي، دار المعروف– مؤسسة الامام الحسن (عليه السلام)، النجف الاشرف، د. ط، ١٤٣٥ه.
١٠٥. العقد الفريد، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، المحقق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.
١٠٦. علم النفس الإسلامي، محمد رمضان القذافي، صحيفة الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٩٠م.

١٠٧. علم النفس معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، سميح عاطف الزين، دار الكتاب المصري - دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٩٩١م.
١٠٨. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د. ط، د. ت.
١٠٩. عيون الحكم والمواعظ، علي بن محمد الليثي الواسطي، تحقيق: الشيخ حسين الحسيني البيرجندي، دار الحديث، ط١، د. ت.
١١٠. غريب الحديث، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي [ت ١٤٤١ هـ]، دار الفكر، دمشق، د. ط، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
١١١. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
١١٢. الفائق في غريب الحديث أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان، ط٢، د. ت.
١١٣. فتح القدير (الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر، بيروت- لبنان، د. ط، ١٩٨٣م.
١١٤. فجر الإسلام، أحمد أمين لاحظ، دار المعارف، بيروت - لبنان، د. ط، ١٩٦٩ م.
١١٥. الفروع من الكافي، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، علق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الاسلامية، إيران، د. ط، ١٣٦٧.

١١٦. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١١٧. الفصل في الملل والأهواء والنحل، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ط، د. ت.
١١٨. الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة (عليهم السلام)،علي بن محمد بن احمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت: ٨٥٥هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ط، ١٤٠٨هـ.
١١٩. فقه تغيير المنكر، محمود توفيق محمد سعد، موقع الإسلام. http://www.al-islam.com.
١٢٠. في النفس، ارسطو طاليس، راجعها: عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٥٤م.
١٢١. في ظلال الصحيفة السجادية، شرح: الشيخ محمد جواد مغنية، حققها: سامي الغريري، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ط١، د. ط.
١٢٢. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ هـ.
١٢٣. الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية، اسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، دار العلوم الحديثة، بيروت، د. ط، د. ت.
١٢٤. قاموس القرآن، الفقيه المفسر الجامع الحسين بن محمد الدامغاني، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٠م.
١٢٥. القاموس المحيط، القاضي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي الفيروز آبادي (ت: ٨١٧هـ)، المطبعة الحسينية المصرية، ط٢، ١٣٣٤هـ.

١٢٦. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ)، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ.
١٢٧. قراءة في ركائز المشروع الحضاري الاسلامي، جمعة امين عبد العزيز، دار الدعوة، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
١٢٨. كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، التحقيق: الشيخ جواد القيومي، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ط١، ١٤١٧هـ.
١٢٩. الكبائر، محمد بن عثمان الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ط، د. ت.
١٣٠. كتاب المحاسن، أبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقعي، عنى بتصحيحه والتعليق عليه: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الاسلامية، طهران، د. ط، ١٣٧٠ = ١٣٣٠.
١٣١. كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (ت: ١١٦٢هـ)، مكتبة القدسي، لصاحبها حسام الدين القدسي، القاهرة، د. ط، ١٣٥١ هـ.
١٣٢. كشف الغمة في معرفة الأئمة، أبى الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، دار الأضواء، بيروت - لبنان، د. ط، د. ت.
١٣٣. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط ١٥، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١٣٤. كواشف زيوف، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (ت: ١٤٢٥هـ)، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

١٣٥. لُبَاب التَّأوِيل فِي مَعَانِي التَّنْزِيل المعروف ب تَفْسِيْر الخازن، لعلاء الدِّين علي بن مُحَمَّد بن إبْرَاهِيم البَغْدَادي الصوفي المعروف بالخازن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٥٥م.
١٣٦. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٣٧. لواعج الأشجان في مقتل الحسين، العلامة المجاهد الكبير الحجة السيد محسن الأمين العاملي قدس سره ويليه كتاب أصدق الاخبار في قصة الاخذ بالثار للمؤلف وكتاب النصاريات، للشيخ محمد النصار قده، د. ط، د.ت.
١٣٨. المجتمع المتكافل في الإسلام، لعبد العزيز الخياط، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط٣، ١٩٨٦م.
١٣٩. المُحَرَّر الوَجِيْز فِي تَفْسِيْر الكِتَاب الْعَزِيز، المعروف ب (تَفْسِيْر ابن عطية)، لأبي مُحَمَّد عبد الحق بن عطية الغرناطي الأندلسي، (ت ٥٤١ه)، تحقيق: عبد الله بن إبْرَاهِيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبْرَاهِيم، مؤسسة دار الْعُلُوم، الدوحة، ط١، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
١٤٠. محمد في القرآن، رضا الصدر، مركز النشر التابع لمكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط٢، ١٤٢٠هـ.
١٤١. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
١٤٢. المرأة في القرآن، عباس محمود العقاد، نهضة مصر للطباعة، د. ط، د. ت.

١٤٣. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، دارالهجرة، إيران– قم، ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
١٤٤. المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام للطباعة، القاهرة، ط١٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
١٤٥. المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي (ت: ٢٣٥ هـ)، تقديم وضبط: كمال يوسف الحوت، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١٤٦. معاني القرآن الكريم، أبو جعفر احمد ابن محمد بن إسماعيل النحوي النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.
١٤٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت: ١٤٢٤ هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
١٤٨. المعجم المدرسي، محمد خير أبو حرب، وزارة التربية، دمشق، د. ط، ١٩٨٥ م.
١٤٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية، د. ط، ١٣٦٤م.
١٥٠. المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، محمد بسام رشدي الزين، تحقيق: محمد عدنان سالم، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، د. ط، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
١٥١. معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، د. ط، د. ت.

١٥٢. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٥٣. مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
١٥٤. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسين الشافعي المعروف بالفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، د. ت.
١٥٥. مفاهيم قرآنية، لمحمد أحمد خلف الله، عالم المعرفة، د. ط، د.ت.
١٥٦. مفردات غريب القرآن، الراغب الاصفهاني، ط١، ١٤٠٤هـ.
١٥٧. مقتل الحسين (عليه السلام)، عبد الرزاق المقرم، المكتبة الحيدرية، العراق، النجف الاشرف، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٥٨. مقومات التصور الإسلامي، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، د. ط، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.
١٥٩. ملحقات الاحقاق، المرعشي شهاب الدين النجفي، مكتبة آية الله المرعشي، إيران - قم، ط١، ١٤١٥ هـ.
١٦٠. الملل والنحل، الشهرستاني (ت: ٥٤٨ هـ)، مؤسسة الحلبي، تحقيق: محمد سيد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، بيروت، د. ط، ١٤٠٤هـ.
١٦١. من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، حققه وقدم له: سهيل ذكّار، بيروت- لبنان، دار الفكر، ط١، د. ت.
١٦٢. من روائع القرآن - تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل، محمّد سَعيد رَمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٦٣. مناقب آل أبي طالب، بن شهرآ شوب شير الدين أبي عبد الله محمد بن علي، المطبعة الحيدرية، العراق- النجف، د. ط، ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م.
١٦٤. منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، محسن عبد الحميد مطبعة الزمان، بغداد، ط١، ١٤٠٢ هـ.
١٦٥. منهج التغيير الاجتماعي في الاسلام، محسن عبد الحميد، بغداد، ط١، ١٩٨٦م.
١٦٦. المنهج الحركي في القرآن الكريم، عبد اللطيف الراضي، دار المنتدى، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩١م.
١٦٧. منهج القرآن الكريم في إصلاح المجتمع، د. محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
١٦٨. مؤسسة الإسلامية في الشريعة الإسلامية، لعبد السلام التنوجي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط١، د.ت.
١٦٩. موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. سعد رياض، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.
١٧٠. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبطبائي، منشورات اسماعيليان، د. ط، د. ت.
١٧١. نحو علم نفس إسلامي، د. حسن محمد الشرقاوي، تقديم: د. عبد الحليم محمود، د. مصطفى محمود، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، مصر، د. ط، ١٩٨٤م.
١٧٢. نصوص قرآنية في النفس الإنسانية، عز الدين اسماعيل، دار الشؤون الثقافية، بغداد، د. ط، د. ت.

١٧٣. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط٤، د. ت.
١٧٤. نظرية الإمامة لدي الشيعة الاثني عشرية، أحمد صبحي، دار المعارف، القاهرة، د. ط، ١٩٦٩ م.
١٧٥. النفس الإنسانية في القرآن الكريم، ابراهيم محمد سرسيق، دار تهامة، جدة، ط١، ١٩٨١م.
١٧٦. النهاية في غريب الحديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م
١٧٧. نهج البلاغة للإمام علي، علي محمد دخيل، دار المرتضى، بيروت، د. ط، ٢٠٠٣م.
١٧٨. نهج البلاغة للإمام علي، محمد عبده، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د. ط، ١٩٩٣م.
١٧٩. وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
١٨٠. وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط٥، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.